

مجلة ثقافية شهرية - السنة ٤٠ - رمضان - شوال ١٤٣٦هـ/ يوليو - أغسطس ٢٠١٥م

الخطاب الإعلامي وتغييب الوعي

ALFAISAL Mag

٤٧١ - ٤٧٢

تنويه

تعمل مجلة الفيصل على تحقيق نقلة نوعية شاملة للمجلة وموقعها الإلكتروني ضمن رؤية جديدة تواكب تاريخ المجلة وتطلّعات قرائها.
وتود المجلة إحاطة قرائها ومشتركيها الكرام بأنها ستحتجب عن الصدور في المدة القصيرة المقبلة؛ استعداداً لانطلاقة جديدة نأمل أن تنال استحسان الجميع. وسيتم إبلاغ القراء الكرام بموعد عودة المجلة، ومستجدات خطة التطوير، عبر الموقع الإلكتروني للمركز ووسائل التواصل الاجتماعي.

www.alfaisalmag.com





www.alfaisalmag.com

السنة ٤٠ - رمضان - شوال ١٤٣٦ هـ / يوليو - أغسطس ٢٠١٥م

مجلة ثقافية شهرية، أصدرها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل ضمن إصدارات دار الفيصل الثقافية، وصدر العدد الأول منها في شهر رجب سنة ١٣٩٧هـ/ يونيو (حزيران) ١٩٧٧م.

رئيس التحرير
عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير
حسين حسن حسين
محسن بن حمد الخرابة
محمد نصير

الإخراج الفني
أزهري أحمد النويري

الإعلانات
هاتف: ١١٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ١١٤٦٤٧٨٥١

ردمد
٠٤١١ - ٨٥٢٠

الناشر
دار الفيصل الثقافية

رقم الإيداع
مكتبة الملك فهد الوطنية ٤١/٢٤٥٠

مراسلات التحرير والإدارة
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ المملكة العربية السعودية
هاتف: (٩٦٦+) ١١٤٦٥٣٠٢٧ - (٩٦٦+) ١١٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: (٩٦٦+) ١١٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي
١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته: يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- المواد التي يعتذر عن عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . الإمارات ١٠ دراهم . قطر ١٠ ريالات . البحرين دينار واحد . عُمان ريال واحد . الأردن ٧٥٠ فلساً . اليمن ١٠٠ ريال . مصر ٤ جنيهات . السودان ١,٥ جنيه . المغرب ١٠ دراهم . تونس ٢,٥٠ دينار . الجزائر ٨٠ ديناراً . العراق ٨٠٠ فلس . سورية ٤٥ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنكاً . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف: ٤٨٧١٤١٤(٠١١) . فاكس: ٤٨٧١٤٦٠(٠١١)، مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ . فاكس: ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢...، سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف: ٨٤٢٨٣١٢ . فاكس: ٢١٢٢٠٣٢ . ١١. ٩٦٣..، تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٣ نهج المغرب . ص.ب ٧١٩ فاكس: ٧١٤٠٠٣٢٣/ هاتف: ٩٣٢٢٢٤٩ . ٧١ . ٢١٦..، قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف: ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس: ٤٦١١٨١٥ . ٩٧٤..، الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف: ٤٦٣٠١٩١ . فاكس: ٤٦٣٥١٥٢ . ٦ . ٩٦٢..، البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف: ٢٩٤٠٠٠ . فاكس: ٥٣١٢٨١ . ٩٧٣..، الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف: ٦٩٣٥١٦٢ . فاكس: ٢٦١٩٨٢٧ . ٤ . ٩٧١..، الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس: ٢٤١٧٨٠٩ . ٩٦٥..، المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٠٣١/٣٢ . ٢١٢.. هاتف: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع هاتف: ٣ . ٢٠١٩٠١/٢ . ٩٦٧.. فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧

contact@alfaisalmag.com - alfaisalmagazine@yahoo.com

تبادل الكُتَّاب

بين الإمارات واليابان



أصدرت هيئة الثقافة والفنون اليابانية كتيباً تعريفياً عن مبادرة (تبادل الكُتَّاب) بين الإمارات واليابان، المبادرة التي أطلقتها مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ضمن برنامج دبي الدولي للكتابة، وتضمنت إقامة أربعة كُتَّاب يابانيين في دولة الإمارات مدة شهر كامل، يعقبه انتقال أربعة كُتَّاب إماراتيين إلى دولة اليابان لقضاء مدة مماثلة؛ مما يثري قيمة التبادل الحضاريّ، وبناء جسور التواصل بين الشعوب والثقافات.

تتمحور فكرة تبادل الكُتَّاب حول عقد اتفاقيات شراكة وتفاهم بين مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ومؤسسات وهيئات عالمية في دول مختلفة، وكانت البداية مع اليابان؛ ليقوم الطرفان بترشيح فريق يمتلك موهبة الكتابة، ثم تبادل إقامة كل فريق في بلد الفريق الآخر مدة زمنية محددة؛ للمعايشة واختبار أسلوب حياة مختلف وإسقاطه على الواقع الذي عاشه؛ الأمر الذي من شأنه أن يُطلق العنان لطاقات الإبداع، ويساهم في اتساع المدارك من خلال تعرُّف ثقافات الشعوب وحضاراتها، وترجمتها إلى أعمال أدبية تعكس واقع تلك التجارب.

وبدأت فكرة تبادل الكُتَّاب ضمن برنامج دبي الدولي للكتابة، الذي انطلق تحت رعاية سموّ الشيخ أحمد بن محمد بن راشد آل مكتوم، رئيس المؤسسة، في مطلع شهر أكتوبر من عام ٢٠١٣م بوصفه إحدى المبادرات الإبداعية الهادفة إلى رفع المستوى الفكريّ، وإثراء الحراك المعرفيّ محلياً وإقليمياً ودولياً من خلال دعم المواهب الشابة وتمكينها في جميع أنحاء العالم وخصوصاً الذين يمتلكون موهبة الكتابة في شتى مجالات المعرفة من العلوم والبحوث إلى الأدب والرواية والشعر.

وقام فريق الكُتَّاب اليابانيّ -حسب محيط- بزيارة بعض أشهَر معالم دبي الحديثة؛ مثل: برج خليفة، ونخلة جميرا، كما تعرَّفوا تاريخ الدولة وحضارتها من خلال زيارة عدة مناطق تاريخية؛ مثل: قرية حتا الثقافية، ومنطقة ليوا، ومنطقة الفهيدي التاريخية (قلعة الفهيدي، متحف دبي)، وجمعية الثقافة والعلوم، ومركز سلطان بن علي العويس الثقافيّ، إضافة

إلى زيارة خاصة إلى مقر صحيفة البيان، ومسجد الفاروق عمر بن الخطاب، واتحاد كتاب الإمارات في الشارقة.

ويصف الكاتب الياباني كيكا هوتا المدة التي قضاها في الإمارات بالمذهلة؛ قائلاً: لا أستطيع أن أخفي إعجابي الشديد بالمزيج الرائع الذي تحظى به دبي ودولة الإمارات بين الحداثة والتراث، إن التناغم والتلاحم بين العادات والتقاليد مع مواكبة متطلبات العصر الحديث والتعايش السلمي بين مختلف الجنسيات والحضارات الموجودة على أرض دولة الإمارات؛ أمر يثير الإعجاب والتقدير.



رواية صينية

تنال جائزة «هوجو» في أدب الخيال العلمي

حصل الكاتب الصينى ليو تسي شين على جائزة هوجو: أهم جائزة في العالم في مجال أدب الخيال العلمي، ويطلق عليها جائزة (نوبل الخيال العلمي)، وذلك عن النسخة الإنجليزية من روايته (سان تي)، التي تُرجمتْ إلى الإنجليزية بعنوان: مشكلات الجسم الثلاثة The Three Body Problem، التي يحمل غلافها صورة هرم خوفو.

وأعلنت الدورة الـ ٧٣ للمؤتمر الدوليّ لروايات الخيال العلمي في الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة الجائزة بعد تصويت ٥٩٥٠ عضواً في الجمعية العالمية للخيال العلميّ، ليصبح ليو تسي شين أول كاتب صينيّ وآسيويّ يفوز بهذه الجائزة، والنسخة الإنجليزية للرواية الفائزة هي العمل الأول الذي تُرجِم للكاتب من سلسلة روايات تحمل الاسم نفسه، وصدرت النسخة الإنجليزية العام الماضي، ويجري الآن إنتاج فلم سينمائيّ صينيّ عن الرواية، ومن المتوقع أن يُعرَض في يوليو عام ٢٠١٦م.

المكتبة البريطانية

ترفض وثائق طالبان



رفضت المكتبة البريطانية حفظ مجموعة من الوثائق لها علاقة بحركة طالبان؛ خشية خرق قوانين الإرهاب البريطانية، وتتضمن حزمة الوثائق عدداً من الصحف الرسمية، وخرائط، وموادّ إذاعية لها علاقة بحركة طالبان الأفغانية، وانتقد أكاديميون قرار المكتبة، واصفين تلك الوثائق بأنها مهمّة وضرورية لفهم ما يحدث في أفغانستان، وتقول المكتبة -حسب بي بي سي: إنها تخشى خرق قانون الإرهاب، وأضافت أنها اتخذت القرار بناءً على نصيحة قانونية.

ويقول أليكس فان يسنخوتين، الباحث والمؤلف الذي ساعد على تدشين مشروع حفظ الوثائق: إن قرار المكتبة مفاجئ ومخيب للآمال. ويضيف: تلك الوثائق لا تحتوي على وصفات لإعداد قنابل أو أي شيء من هذا الطراز. ويكمل فان يسنخوتين قائلاً: تلك الوثائق ستساعد الأفغان على فهم تاريخ بلادهم الحديث، وتساعد الأجانب الذين يريدون تعرُّف المزيد حول حركة طالبان. ويدرك طالبو العلم والأكاديميون أن عليهم قراءة موادّ من أجل فهم كيفية عمل الحركات الجهادية، لكنَّ هناك جواً من الخوف في أوساط الأكاديميين الذين يدرسون موادَّ لها علاقة بالحركات الجهادية؛ لأن القوانين البريطانية فضفاضة.

ويقول جايمس فيتزجيرالد، الأستاذ بجامعة دبلن الأيرلندية، ورئيس تحرير دورية دراسات نقدية في الإرهاب: إن قرار المكتبة سخيف جداً. وألقى فان يسنخوتين اللوم على الحكومة البريطانية؛ لأن قوانينها المتعلقة بالإرهاب تجعل الأكاديميين قلقين بشأن دراسة التنظيمات المتشدّدة، ويضيف جايمس: نحن بالفعل يمكننا رؤية آثار تلك القوانين؛ فبعض المحاضرين بالجامعات الآن يتجنّبون تناول موادَّ لها علاقة بالإرهاب في محاضراتهم؛ خوفاً من تعريض أنفسهم للشبهات.

وقام المشروع، الذي دُشن في عام ٢٠١٢م وضمّ مجلسه الاستشاري أعضاء من المكتبة البريطانية، بإنتاج نسخة رقمية من الوثائق مترجمة إلى الإنجليزية، وقالت المكتبة البريطانية: إنها كانت تناقش إمكانية حفظ تلك الوثائق، لكنها نُصحت قانونياً بعدم القيام بذلك، وقال متحدث باسم المكتبة: على الرغم من أهمية الوثائق من الناحية البحثية، فقد قيل لنا: إن تلك الوثائق تضمنت ما قد يخالف قانون الإرهاب الرسميّ، مما يصعب علينا إتاحتها للباحثين. ويُجرّم قانون الإرهاب لعامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٦م جمع أيّ موادّ قد تستخدم أو تساعد على التحضير لهجوم إرهابي، أو توزيع أيّ منشورات إرهابية.

بعد ٧٥ عاماً..

العثور على قصة لـ«سكوت فيزجيرالد»



بعد مرور ٧٥ عاماً على وفاة الكاتب الأمريكّي سكوت فيزجيرالد الذي تُوفّي في الرابعة والأربعين من عمره، نشرت الولايات المتحدة الأمريكية إحدى قصصه التي عُثر عليها في أرشيف جامعة برنستون؛ إذ وجدها أندرو جولي، رئيس تحرير مجلة ستراند الأدبية، في أثناء البحث في أرشيف الجامعة، وقام بنشرها في مجلة ستراند مع أعمال كُتاب آخرين. وأشارت وكالة أسوشيتد برس إلى أن القصة كُتبت بلغة سينمائية، تدور أحداثها حول كاتب في الحادية والثلاثين من عمره، وهو سكّير ومصاب بمرض في القلب، وأوضح جولي أن المخطوطة مكتوبة بعناية والنص المطبوع نص نظيف، وهي لم تُنشَر من قبلُ، وكُتبت بعد أن اختلف فيزجيرالد مع وكيله الأدبيّ، وهي تحمل تاريخ ٧ يوليو ١٩٣٩م.

«الدامون»

يترجم كبريات القصائد الإنسانية

«في صمت وإخلاص يليقان بالأدباء الصادقين، يواصل الشاعر والمترجم نور الدين الدامون مشروعه الإبداعي بإصرار وتفانٍ كبيرين، سواءً أتعلق الأمر باستكشاف مناطق جديدة في الكتابة الشعرية أم بترجمة أعمال شعرية لشعراء ما زالوا يتربّعون قِمَم الشعر العالميّ، فبعد إصداره عدة دواوين شعرية، احتفى من خلالها بإشكاليات العيش في المغرب، على صُعُد السياسة، والوجدان المشروخ بقوة المعاناة والرياء الدائم، والحياة البسيطة لعامة الناس، والتماهي مع أسئلتهم البسيطة لكنها عميقة حول المعاني التي قد تحملها ظواهر الحياة وتقلُّباتها؛ انتقل نور الدين الدامون إلى مرحلة جديدة، دشن من خلالها مشروعه الطموح بترجمة كبريات القصائد الإنسانية، وتقديمها للقارئ العربي»، بهذه الكلمات قدم الروائي رشيد الجلولي ترجمة الأديب المغربي كتاب (أنطولوجيا الشعر الفرنسي للقرن العشرين)، الصادر ببيروت عن دار النّاية للنشر والتوزيع. يحوي الكتاب ١٣٩ قصيدةً، متباينة الطول والنفس، لكنها تمنح القارئ العربيّ منجماً فريداً يمكنه التنقيب عن كنوزه، وتشكيل صورة واضحة عن الذات الفرنسية، وكيفية استبطانها ما حولها من كائنات ومجتمعات وطبيعة؛ لِتَنْتَصِبَ كمرآة يرى فيها العربيُّ حدود الذات وإمكانياتها المتناهية؛ في السياسة، والشِّعر، وطرق العيش، مساهماً في تجسير المسافات التي تفصل الحضارات والثقافات بعضها عن بعض.

ويجد القارئ المستكشف نفسه بحضرة أعلام مشهورين؛ أمثال: بول إيلوار، وهنري ميشو، وجان كوكتو، وأندريه بروتون، وغيوم أبولينير، ولويس أراغون، وغيرهم، ويجد القارئُ نفسه –أيضاً– بحضرة شعراء غير مشهورين، لكنهم ليسوا أقلَّ من سابقيهم في أحاسيسهم الجياشة، واكتناه لغز صيرورة الحياة، وتجديد شباب الإدراك العقليّ والرُّوحيّ لدى الإنسان.

وفي تقديم قصير بعنوان: شعر حاضر؛ يقول جان شاربترو، صاحب هذه الأنطولوجيا: هذه حال شعر هذا القرن؛ شعر أبولينير والسرياليين، والمقاومة والحرية، انتهى هذا القرن وبزغ قرن آخر، والشعر يواصل مسيرته.

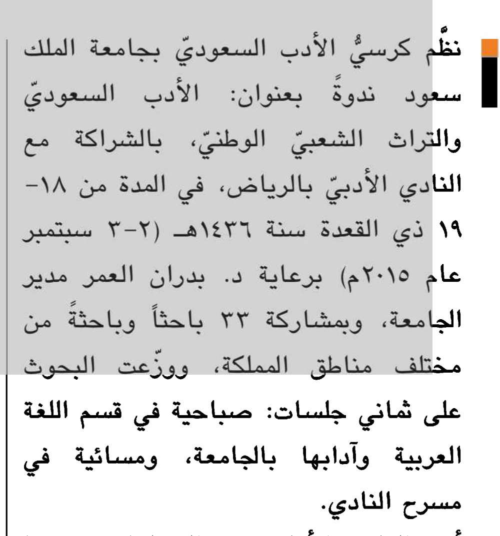
الكنيسة الصربية

ترفض إدراج معالم أثرية في كوسوفو باليونيسكو

رفضت الكنيسة الأرثوذكسية الصربية إدراج معالم ثقافية وأثرية أرثوذكسية في جمهورية كوسوفو بمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو)، وكانت كوسوفو قد طلبت من الأمم المتحدة إدراج قطع ثقافية بمنظمة اليونسكو، تحت عنوان: التراث الثقافي لكوسوفو، على القائمة الحالية لليونسكو، وهي: دير فيسوكي ديكاني الأرثوذكسي الصربيّ، وجراتسانيتسا، والرئاسية البطريركية.

وقال الأسقف إيرينج بولوفيتش رئيس الكنيسة الصربية: إن تسجيل كوسوفو بوصفها دولةً مستقلةً للمعالم الثقافية الصربية في اليونيسكو من شأنه الإضرار بصربيا. ودعا بولوفيتش الكنائس الأرثوذكسية الشقيقة والكنيسة الكاثوليكية إلى دعم موقفها، مشيراً إلى أن الكنيسة الأرثوذكسية الصربية تتمسك بموقفها الرافض إدراج كوسوفو التراث الثقافي الأرثوذكسي في اليونيسكو، وذلك أمام مجلس الكنائس العالميّ، ومؤتمر الكنائس الأوربية، والمنظمات الدولية، والمحافل المسيحية الأخرى. وكان إيفيكا تاديتش، وزير الخارجية الصربي، قد عبر عن رفض بلاده إدراج كوسوفو مواقع ثقافية صربية في اليونيسكو، وقال في رسالة وجَّهها إلى بان كي مون، الأمين العام للأمم المتحدة: إن استقبال كوسوفو في منظمات الأمم المتحدة بوصفها دولةً ذات سيادة أمر غير مقبول بموجب القانون الدولي. وأعلنت كوسوفو التي تقطنها أغلبية من أصل ألباني، استقلالها عن جمهورية يوغسلافيا من جانب واحد في عام ٢٠٠٨م. ونالت اعتراف نحو نصف الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، بعد أن خضعت للحماية الأممية بعد الحرب.

الأدب السعوديّ والتراث الشعبيّ الوطنيّ





نظّم كرسيُّ الأدب السعوديّ بجامعة الملك سعود ندوةً بعنوان: الأدب السعوديّ والتراث الشعبيّ الوطنيّ، بالشراكة مع النادي الأدبيّ بالرياض، في المدة من ١٨-١٩ ذي القعدة سنة ١٤٣٦هـ (٢-٣ سبتمبر عام ٢٠١٥م) برعاية د. بدران العمر مدير الجامعة، وبمشاركة ٣٣ باحثاً وباحثةً من مختلف مناطق المملكة، ووزّعت البحوث على ثماني جلسات: صباحية في قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة، ومسائية في مسرح النادي.

أدار الجلسة الأولى د. خالد الحافي، وفيها أربعة بحوث، وهي: قلق الانتقال من العامي إلى الفصيح في الشعر للدكتور جمعان عبدالكريم، والرمز الشعريّ عند مطلق الثبيتي بين الفصحى والعامية للباحث سامي الثقفي، وموقف حسين سرحان من الشعر العاميّ للدكتور عبدالله الحيدري، والفصحى والعامية في الرواية السعودية للدكتور محمد البنداري. وأدار الجلسة الثانية د. صالح زيّاد، وبحوثها هي: الحسّ الشعبيّ في روايات عبدالعزيز مشري للدكتور أبو المعاطي الرمادي، وحضور التراث الجنوبيّ في رواية (لوعة الغواية) لعبده خال للدكتورة بسمة عرّوس، وشعريّة المرأة في الثقافة الشعبية: مقاربة في روايات مها الفيصل للدكتور حسين المناصرة، والموروث الجنوبيّ في رواية (رقص): الرقص أنموذجاً للباحثة دلال المالكيّ.

وأدار الجلسة الثالثة هاني الحجي، وفيها أربعة بحوث، وهي: الحكاية الشعبية في السيرة الذاتية السعودية للباحث جزّاع الشمري، وتأنيث النص بين الموروثات الشعبية والسوسيولوجيا: دراسة في السرد النسويّ السعوديّ للباحثة سامية صديق، والخطاب التراثيّ في رواية (أيامنا الصعبة) للباحث سلطان الخرعان، وطقوس القرية في خطاب السيرة الذاتية في الأدب السعودي للباحث قليّل الثبيتي.

وأدار الجلسة الرابعة الأديب خالد اليوسف، وفيها أربعة بحوث، وهي: تجليات الموروث في بنية الشخصية القصصية: دراسة في مجموعة (فضة) لجمعان الكرت و(سيد واوي) لهاني الحجي للدكتورة سحر الشريف، والعادات والتقاليد المكيّة في القصة القصيرة للدكتورة كوثر القاضي، وتمثيلات الموروث الشعبيّ في القصة القصيرة السعودية للباحث محمد الراشدي، ومكانة اللهجة عند أدباء منطقة الباحة: الدميني والكرت أنموذجاً للباحثة مريم الزهراني. وأدار الجلسة الخامسة د. إبراهيم السماعيل عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام، واشتملت على أربعة بحوث، وهي: تجربتي الشخصية في جمع الموّال وتوثيقه في الساحل الشرقيّ والخليج العربيّ للباحث عليّ الدرورة، وجهود عبدالرحمن الرفاعي في تدوين الأدب الشعبي بجازان للباحث نايف كريري، والتفريع الحكائي في حكاية (التبات والنبات) للدكتورة نجلاء مطري، والحكاية الشعبية السعودية بين التأثُّر والتأثير للباحثة نوف الشمري.

وأدار الجلسة السادسة الكاتب محمد عزيز العرفج، وفيها خمسة بحوث، وهي: الشفاهية والكتابية في (أساطير شعبية) لعبدالكريم الجهيمان للدكتور إبراهيم الشتوي، وأهمية تدوين الأدب الشعبي للدكتورة الجوهرة الجميل، وجمع الحكايات الشعبية السعودية وتدوينها للباحث صالح الهزّاع، والوسائط التفاعلية وأثرها في تدوين وإشهار الأدب الشعبيّ السعوديّ: الفرص والرهانات للدكتور عبدالحق هقي، واستلهام الأغنية الشعبية في الشعر السعوديّ الفصيح للباحثة مستورة العرابي. وأدار الجلسة السابعة د. عليّ الحمود، وكيل كلية اللغة العربية بالرياض، وفيها أربعة بحوث، وهي: توظيف الموروث الشعبيّ في الشعر السعوديّ: أحمد الصالح (مسافر) أنموذجاً للدكتورة آمال يوسف، وتوظيف النص العاميّ في الشعر السعوديّ الفصيح: شعر عليّ الدميني أنموذجاً للدكتور عبدالحميد الحسامي، وصدى الحياة الاجتماعية والشعبية في شعر علي آل عمر عسيري للدكتور محمود عمّار، وتوظيف الشعر الشعبيّ في الشعر السعوديّ للدكتور ناصر الرشيد. وأدار الجلسة الثامنة الأديب حسين علي حسين، وفيها أربعة بحوث، وهي: الهويّة العربية الحراك الثقافيّ في سوق عكاظ للباحثة أماني الأنصاري، وتوظيف التراث الشعبيّ في المسرح السعوديّ للدكتورة لطيفة البقمي، والملهمة الفاتنة: استلهام السِّيَر الشعبية في الأدب السعوديّ للدكتور محمد ربيع الغامدي، وتوظيف موروث منطقة الباحة في رواية (في وجدان القرية) للعشماوي للدكتورة هند المطيري.

السينمائي الإسباني أندريه جوميز:

سأخرج فلماً عن حياة الملك فيصل





أندريه فيسنت جوميز أحد أشهر المنتجين السينمائيين الإسبان، استطاع أن يحقق شهرة واسعة بأفلام متميزة أدّى أدوارها نجوم عالَميُّون، ونفَّذها مخرِجون لهم مكانتهم الكبيرة في الفن السابع، ويتطلع جوميز دائماً إلى تقديم الجديد، وفي هذا الإطار يسعى إلى إنتاج فلم عن حياة جلالة الملك فيصل -رحمه الله- وفي زيارة قام بها إلى المملكة كان هذا اللقاء الذي يحاول الإحاطة بمسيرته الفنية الحافلة، وبما يفكر في إنجازه من أعمال سينمائية في المستقبل.

المنتج الحقيقيّ رجل خلَّاق ومبدع بمعنى الكلمة؛ أعني أن المنتج هو من يختار السيناريو، أو يكلّف آخرين بإعداد سيناريوهات، ويقوّمها من الناحيتين الشكلية والموضوعية، ويضع تصوُّراً كاملاً لفريق العمل

● البدايات دائماً صعبة ومع ذلك لا بد منها؛ إذاً لماذا السينما؟

السينما ومشاهدة الأفلام السينمائية ومطاردتها هي كل ما فعلته في الشطر الأعظم من حياتي، فمنذ طفولتي -أو بالأحرى صباي- صنعت أول أفلامي في سن الحادية والعشرين من عمري في مدريد التي ولدت فيها، وفي سن الثامنة عشرة أتيحت لي فرصة العمل مساعد مخرج، وفي يوم ما بينما كنت متوجِّهاً إلى زيارة بعض الأصدقاء أُصِبتُ في حادث رهيب وافق اليوم نفسه الذي اغتيل فيه الرئيس الأمريكي جون كينيدي، ولَزِمتُ الفراش بالمستشفى بعض الوقت، وبعد انتهاء مرحلة العلاج اكتشفت أن نظام التأمين قد أعدّ لي تعويضاً مالياً ضخماً، فخصصته لإخراج أول فلم كامل للمرة الأولى، واشترك فيه بعض الممثلين الأمريكيين المتميّزين، والفلم كان من نوع الويسترن، وقد حقَّق نجاحاً معقولاً في مدة عرضه في دور السينما.

ومنذ ذلك التاريخ لا عمل لي سوى صناعة الأفلام السينمائية والتلفزيونية التي تجاوزت ١٢٠ عملاً إضافةً إلى عملي ممثلاً ورئيساً للهيئة العالمية لمنتجي السينما، وكنت أنجز -أحياناً- عملين في وقت واحد وفي مناطق مختلفة، ففي السبعينيات -على سبيل التمثيل- أنجزت عملين في وقت واحد؛ أحدهما في طنجة بالمغرب، والثاني في كوستاريكا؛ هذه سيرتي العملية باختصار.

● أود التركيز في السينما الإسبانية؛ لأنها غير معروفة عالمياً مثل نظيراتها الأمريكية والفرنسية والإيطالية وسواها

ترجع سيادة الفلم الأمريكيّ والثقافة الأمريكية سينمائياً إلى قوَّة شبكات التوزيع الأمريكية، كما أن السوق الداخلية الأمريكية سوق ضخمة تَسَع قدراً هائلاً من المنافسة يبلغ نحو ٣٥٠ مليون نسمة، إضافةً إلى أن موازنة الفلم الأمريكيّ الواحد لا تقارن بحجم الموازنة المخصّصة للفلم الإسبانيّ، فتعداد سكان البلد يشكل سوقاً صغرى مقارنة بالسوق الأمريكية؛ كلّ هذه العوامل شكلت أرضية خصبة وقوية للفلم الأمريكيّ ساعدته على

إزاحة ما سواه، وسيادته على مستوى العالم.

السينما الفرنسية والإسبانية -على سبيل التمثيل- لها أسواق محلية محدودة، فنصيب الفلم الفرنسيّ داخل فرنسا يبلغ نحو ٥٠٪، أما في إسبانيا فالنسبة متواضعة، ويحتلّ الفلم الأمريكيّ المرتبة الأولى عالمياً، أما صناعة السينما في بريطانيا فهي جزء لا يتجزأ من الصناعة الأمريكية، واندمج التمويل والتسويق معها على الصُّعُد كافة، حتى إن الصين إذا واصلت سياسة الانفتاح فسوف تشهد غزواً سينمائياً بالغ القوة.

أما من ناحية السينماتوغرافيا؛ أي: فنيات صناعة السينما، فإن الأفلام الإسبانية والألمانية والفرنسية ملتزمة قواعد محددة لا تتجاوزها مثلما هو الحال في السينما التجارية الأمريكية، فالفلم الواحد لا تتجاوز نفقاته نحو ٣ ملايين دولار في أوربا، على حين تبلغ تكلفة عمل مماثل نحو ٨ ملايين دولار في الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا أمر من شأنه أن يرجّح كفّة السينما الأمريكية، والعامل الحاسم -أيضاً- في انتشار الفلمين الأمريكيّ والبريطانيّ هو اللغة؛ إذ إن المجال اللغويّ الفرنسيّ والإيطاليّ والإسبانيّ محدود، ولا يقارن بهيمنة اللغة الإنجليزية بوصفها لغة عالمية.



أورسون ويلز

أخرجت أول فلم كامل للمرة الأولى بتعويض حادث تعرضت له، واشترك فيه بعض الممثلين الأمريكيين المتميّزين، وقد حقق نجاحاً معقولاً

ترجع سيادة الفلم الأمريكيّ إلى قوة شبكات التوزيع الأمريكية، كما أن السوق الداخلية الأمريكية سوق ضخمة تسع قدراً هائلاً من المنافسة

• في سيرتك الذاتية ذكرت شيئاً عن أورسون ويلز

نعم، بدأ تعاوننا في عام ١٩٧٢م؛ إذ كان أورسون ويلز يؤدِّي دوراً في فلم تاريخيّ قمتُ بإنتاجه، ثم تعاونّا معاً في فلمَي: التزوير، والجانب الآخر من الريح The other side of the wind الذي لم يكتمل؛ لأنني اضطررت إلى العودة إلى إسبانيا للبقاء بجانب أسرتي وأطفالي، وكان ذلك آخر عمل مشترك بيننا، وقد تعلّمت منه أشياء مفيدة جداً؛ لأنه كان يتمتع بقدر عالٍ من الذكاء الاجتماعي والفني، واستطاع فرض رؤيته وشروطه على دهاقنة هوليود في تلك الحقبة.

• ما أميز شيء جذبك إلى شخصية ويلز؟

أَحَبَّ ويلز الطعام حباً جماً، فعندما كنا نجلس لنتناول وجبة الغداء كنت أشعر أن كل حياته مخصصة للأكل، وأنه خبير بكل فنون صناعة الطعام، وإذا ذكرتَ أمامه اسم أي مطعم أو فندق مشهور، أعطاك لمحةً كاملةً عن خِدماته على نحو لا يتاح إلا لخبير بقطاع السياحة والفنادق، إضافةً إلى موهبته الفذّة بوصفه فناناً استثنائياً، بدأ حياته الفنية في الثامنة عشرة من عمره، وسافر بقارب قديم من نيويورك إلى دبلن بأيرلندا؛ لإشباع طموحاته الفنية، وصار في وقت قصير مرجعاً في أعمال شكسبير بوصفه ممثلاً ومُخرجاً في الوقت ذاته، ومن نجوم برودواي Broodway، وكان ويلز مفاوضاً بارعاً عندما يتعلّق الأمر بإقناع المموّلين والمنتِجين والمصرفيين بتمويل أعماله ومشروعاته الفنية، وكان صريحاً جداً، ويعمد إلى وضع كل أوراقه على الطاولة.

• ما أقرب الأفلام من قلبك من بين ١٢٠ عملاً سينمائياً منجزاً إلى اليوم؟

كل أعمالي نتاج جهد كبير ورأسمال فنيّ ونفسيّ وأخلاقيّ وماليّ، ودرجة عالية من الصدق والأمانة، لكن فلم إلدورادو **Eldorado** يحتل مكانة متميزة من غيره؛ لأننا بذلنا فيه نحو ثلاث سنوات من العمل الشاقّ؛ في حفر القنوات والممرّات المائية الصناعية في كوستاريكا، وغيرها من الأعمال. واحتاج الفلم إلى أموال ضخمة، وكان أكثر الأفلام الإسبانية تكلفةً على الإطلاق؛ ومع ذلك لم ينجح، لكنني ما زلت أُعدّه من أعظم الأعمال التي شاركت فيها، فالفلم عامة سواءٌ أكان ناجحاً أم لا فإنه يرتبط عندي

المخرج مع رئيس التحرير



وتمثيل مجموعة رائعة من النجوم، وعنوان الفلم ليس له علاقة بتلك الحقبة الزمنية المعروفة باسم Belle Epoque في فرنسا، وتقع أحداث الفلم قبل أيام من الحرب الأهلية في إسبانيا بين أنصار القديم والجمهوريين حين يهرب جندي بسيط اسمه فيرناندو من الجيش ويلتقي رجلاً من أثرياء الريف يدعى مانولو، ويتعرف إلى بناته الأربع اللائي يَقعْنَ في حبّه؛ كلّ فتاة بطريقتها الخاصة، ويَحَار فيرناندو في أيّهن الأنسب للزواج، وبتشجيع من والد البنات يتأنّى في الأمر إلى أن يكتشف أن البنت الصغرى على الرغم من سذاجتها وبراءتها، فإنها الأنسب له، فيتزوجها. وقد أدَّت الإسبانية بنيلوب كروز دور البنت الصغرى، وذاع صيتها بعد ذلك بوصفها واحدة من أكثر الممثّلات تميزاً في إسبانيا وهوليود.

كم بلغت تكلفة هذا الفلم؟

لم تتجاوز تكلفة فلم الأزمنة الجميلة Belle Epoque ثلاثة ملايين دولار، ومعظم الأفلام الإسبانية تتكلف هذا المبلغ تقريباً إلا إذا أضيف ممثلون أمريكيون، فإن التكلفة قد تصل إلى نحو ثلاثين مليون دولار، وقد حدث لي ذلك في فلم من بطولة بنيلوب كروز.

العامل الحاسم في انتشار الفلمين الأمريكيّ والبريطانيّ هو اللغة؛ فالمجال اللغوي الفرنسيّ والإيطاليّ والإسبانيّ محدود، ولا يقارن بهيمنة اللغة الإنجليزية

هناك مهرجانات مستقلّة عن الأوسكار وتقاليد هوليود؛ هل شاركت فيها؟

نعم، شاركت في مهرجان ومعي جون ماركوفيتش المخرج في منطقة جبلية بولاية يوتا في فصل الشتاء، وعُرضت أفلام مستقلة؛ أي: خارج المؤسسة المهيمنة في هوليود، وهي أفلام قمينة بالمشاهدة؛ لأنها أُنتجت بجهد وتمويل ذاتيين، ولا تتوخى إلا الجودة الفنية والصدق والأصالة، والأفلام المعروضة في المهرجانات المستقلة منخفضة التكلفة، ومتاحة للسينمائيين في كل أنحاء العالم.



ما علاقتك بسكورسيزي؟

علاقتي به سطحية، وقد عملنا معاً منتجين فلماً بجامعة كولومبيا، لكن هذا التعاون لم يتعدَّ التمويل ومراحل (المونتاج)، ولم يُفضِ إلى إقامة رابطة قوية بيننا.

ماذا عن عملك في شركة بلانيتا؟

بلانيتا هي أكبر شركة للنشر في إسبانيا، وقد عرضوا عليَّ منذ سنوات الإسهام فيها، وأملك الآن ٥٠٪ من أسهمها إضافةً إلى آخرين. وقد موَّلت الشركة بعض أعمالي التي أحرص على جودتها مثل سائر الناس الذين يتعاملون مع المموّلين المستقلّين.

هل يمكن عدّك من الناجحين وفق مقياس نافذة التذاكر؟

في السنوات الأخيرة لا أعدّ نفسي ناجحاً؛ لتغيُّر الظروف، وظهور مواهب جديدة في الساحة، ولا أحد يملك مفتاح النجاح، وكما قال المخرج الأمريكيّ وليام جولدن: الشيء الوحيد الذي أعرفه هو أنني لا أعرف شيئاً. وهذا

بذكريات، وتقدير عالٍ لأسباب عاطفية أو لاعتبارات أخرى قد يراها البعض ثانويةً. المهمّ أنني في أفلامي التي تجاوزت المئة بذلت جهداً صادقاً، وربما سيذكرني الناس بسبب ٩ أفلام أو عشرة من تلك الأعمال، ولا مشكلة لديّ في هذا الأمر، وسوف أتعايش مع هذه الحقيقة من دون ندم أو مرارة.

حاز فلمك الأزمنة الجميلة Belle Epoque الأوسكار عام ١٩٩٤م؛ فما حيثيات ذلك الفوز؟

الفلم أُنجِز عام ١٩٩٢م، وهو من إخراج فيرناندو ترويبا Fernando Trueba

الأعمال ذات النفس الاجتماعيّ أو السياسيّ أو الفلسفيّ. وفي كل الأحوال فإن البنية الشعورية لكلّ منا هي التي تحدِّد نوع الفلم المفضّل الذي لا يزول سحره بسهولة.

● بوصفك منتجاً متمرِّساً؛ ما موقفك مـن التقنيـات الحديثة فـي صناعة السـينما؟ هل خفضـت تكلفة الإنتاج أم لا؟

التقنيات الحديثة شجَّعت على إنتاج أعمال تتّسم بالفخامة، لكنها زادت تكلفة الإنتاج؛ فقبل عشرين عاماً كانت تكلفة إنتاج الفلم الأمريكيّ تبلغ نحو ٣٠ مليون دولار، أما الآن فقد وصلت تكلفة إنتاج الفلم إلى ٢٠٠ مليون دولار؛ فالمؤثرات الخاصة Special effects أصبحت بالغة التكلفة، وأنا شخصياً لا أحبها؛ لأنها لا تخدم فنّ السينما، إنما تخدم أهدافاً أخرى إثارية أو جاذبة لقطاع معين من مرتادي السينما، لكن من ناحية أخرى فإن التقنيات الحديثة مثل التقنيات الرقمية منحتنا كاميرات ولقطات طبيعية وفعالة وبتكلفة معقولة، وهذا يمكن أن تسمعه من المصوِّرين الحاليين الذين يرون أن التقنية الحديثة تتيح إنتاج أفلام متوسطة التكلفة أو منخفضة من دون الإخلال بالمقاييس والمعايير الجمالية المعهودة حالياً.

إن تقنيات العرض السينمائي أصبحت ذات سطوة وانتشار لم يسبق له مثيل؛ فيستطيع ٣٠٠ مليون إنسان مشاهدة فلم في وقت واحد في كل أرجاء الكرة الأرضية، هذه ثورة حقيقية، وهي مرتبطة بتطور تقنية الماسحات الضوئية Scanners، وهذه التقنية الأخيرة؛ أي: تقنيات العرض زهيدة التكلفة، وهي تفتح باباً للعالم العربي والإسلامي لعرض ثقافاته باللغة العربية وغيرها من اللغات الحية، وتوصيل رسالته إلى كل المهتمّين، وتتيح هذه الثورة في مجال الاتصال للجميع مشاهدة أي فلم أو عمل سينمائيّ بسهولة ويسر، ولا يمكن وضع أي قيود عليها، هذه ظاهرة ذات تبعات كونية.

● هـل هنـاك مسـتلزمات ومتطلبات جديدة؟

نعم، هذه الظاهرة تقودها شركة ماتريكس Matrix الأمريكية، والاستفادة القصوى منها سوف



■ الفلم الواحد لا تتجاوز نفقاته نحو ٣ ملايين دولار فـي أوربا، على حين تبلغ تكلفـة عمـل مماثل نحـو ٨ ملاييـن دولار في الولايات المتحدة الأمريكية

ملخّص مركّز لكل من يعمل في مجال السينما؛ إذ إن سرّ النجاح هو حصيلة عوامل لا حصر لها، وفي هوليود يضع صانعو الأفلام؛ من مخرجين، وكتّاب السيناريو، والمنتجين وسواهم نحو خمسين تصوُّراً وخطة للفلم الواحد، وبعد عرض التصوُّرات ونقدها من جميع الوجوه يستقرُّون على خطة محددة تصبح هي الموجِّه ومُرشِد العمل طوال مراحل تصوير الفلم إلى أن يصبح جاهزاً للعرض، سواء أنجح الفلم أم لم ينجح؛ إذ إن النجاح أو الإخفاق يشكّلان تحدياً كبيراً للأعمال التالية. ووفق معايير هوليود والسينما الأوربية الجادّة عامةً نجد أن فلماً واحداً من كل ثمانين إلى عشرة أفلام يحقق النجاح.

وفي أوربا تعرض دور السينما نحو ثمانية أفلام جديدة كلَّ أسبوع، وفي الأغلب يكون النجاح من نصيب فلم واحد فقط. هذا هو الحل في إسبانيا، وأعتقد أن هذه الملحوظة تصدق -أيضاً- على فرنسا وإيطاليا وألمانيا على الأقل.

● ما أَحَبّ الأفلام إلى نفسك سوى التي أسهمتَ فيها بوصفك منتجاً أو ممثلاً؟

الأفلام الكلاسيكية المُحبَّبة إليّ هي: كازبلانكا، وذهب مع الريح، والمواطن كين؛ هذه أفلام لا أملّ مشاهدتها؛ لأنني أكتشف كل مرة أشياء كانت غائبة عن مشاهداتي السابقة، وإن الأثر الذي يتركه العمل عامةً يعتمد على ذوقك الخاص وحالتيك النفسية والذهنية لحظة المشاهَدة، فالتعامل مع الفلم شبيه بالتعامل مع الأعمال الأدبية مثل الرواية، ففي سنّ معينة قد تستهويك المغامرات والأحداث البطولية، وفي سن الشباب والرشد قد تميل إلى الرومانسية، أو

تفرض على منتجي أفلام السينما والتلفزيون الدقة في اختيار الموضوعات ومعالجتها فنياً، ووفق هذا النظام تتولّى شركات محلية في دول العالم ترويج الأعمال وتوزيعها بالوكالة عن شركة ماتريكس مقابل نصيب من الأرباح، كما هي الحال مع شركات الاتصالات الحالية.

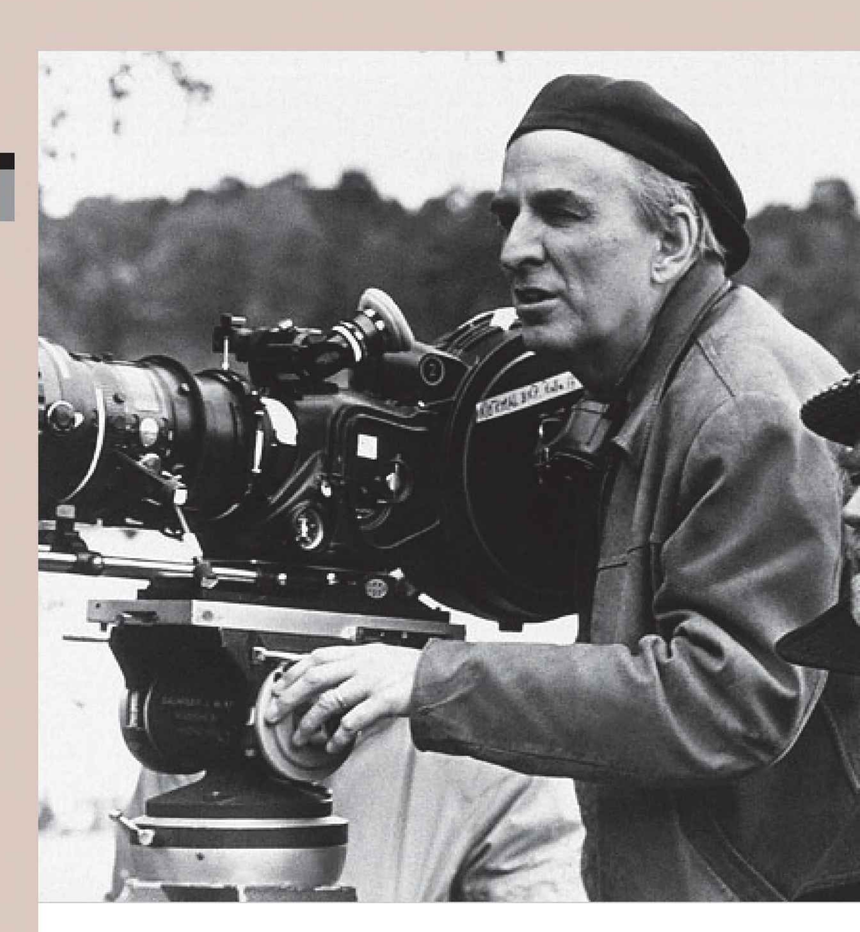


● دعنا ننتقل إلى موضوع آخر: العالم كلّه يعرف أسماء مخرجين لامعين؛ مثل: فليني، وبرجمان، وبازوليني، وكيراساوا، وغيرهم، لكنه لا يعرف منتجين مشهورين، أو على نحو أدقّ لا يوجد منتج مشهور؟

هذا صحيح، ويصدق على أغلبية الأفراد الذين يعملون في مجال الإنتاج، سواءً أكانوا في بريطانيا أم فرنسا أم الولايات المتحدة الأمريكية أم إسبانيا؛ فالصورة الراسخة للمنتج هو أنه من يتولّى الجانب المالي في صناعة السينما، ويقوم بمهمة التمويل بعد أن تقدّم له موازنة الفلم من إحدى الشركات؛ مثل: متروجولدن ماير، أو فوكس، أو غيرهما من المؤسسات الكبرى، أو من مخرج، أو كاتب سيناريو، لكن المنتج الحقيقيّ هو

تعلّمت من أورسون ويلز أشياء مفيدة جداً؛ لأنه كان يتمتع بقدر عالٍ من الذكاء الاجتماعي والفني، واستطاع فرض رؤيته وشروطه على دهاقنة هوليود

أَحَبَّ ويلز الطعامَ حباً جماً، وكان خبيراً بكل فنون صناعة الطعام، وكان فناناً استثنائياً، ومرجعاً في أعمال شكسبير، ومفاوضاً بارعاً وصريحاً جداً



بطاقة تعريفية

أندريه فيسنت جوميز من مواليد مدريد في ١٦ سبتمبر عام ١٩٤٣م، منتج أفلام، رئيس شركة Lolafilms للإنتاج، له أكثر من ١٠٠ فلم، نال جائزة أوسكار في فئة أفضل فلم باللغات الأجنبية غير الإنجليزية عن فلم Belle Epoque، ونال جوائز عدة من مهرجانات سينمائية عالمية؛ مثل: برلين، والبندقية، ومونتريال، وسان سيباستيان.

أنتج مجموعة كبيرة من الأفلام الإسبانية الشهيرة، وعمل مع أبرز المخرجين؛ من أمثال: فيرناندو ترويبا، وبيدرو المودوفار، وكارلوس ساورا، وبيجاس لونا، وفيسنتي أراندا، وأليكس دي لا إجليسيا، ومانويل جوتيريز أراجون، وبيلار ميرو، وسانتياجو سيجورا، وخوسيه لويس جارسيا سانشيز، وجون مالكوفيتش، وراي لوريجا، وغيرهم.

كرَّمه مهرجان كان السينمائيّ تكريماً خاصاً في عام ١٩٨٠م؛ تقديراً لمسيرته السينمائية، بوصفه أحد أبرز المنتجين في العالم. له أفلام باللغة الإنجليزية، وبعض المسرحيات الموسيقية الاستعراضية.

في السنوات الأخيرة لا أعدّ نفسي ناجحاً؛ لتغيُّر الظروف، وظهور مواهب جديدة في الساحة، ولا أحد يملك مفتاح النجاح

كازبلانكا، وذهب مع الريح، والمواطن كين؛ من الأفلام الكلاسيكية المُحبَّبة إليَّ ولا أملّ مشاهدتها؛ لأنني أكتشف كل مرة أشياء جديدة

رجل خلّاق ومبدع بمعنى الكلمة؛ أعني أن المنتج هو من يختار السيناريو، أو يكلّف آخرين بإعداد سيناريوهات، ويقوّمها من الناحيتين الشكلية والموضوعية، ويضع تصوُّراً كاملاً لفريق العمل؛ من مخرجين، وممثلين، وخبراء التقنيات الأخرى؛ مثل: التصوير، والملابس، والموسيقا، والمفروشات، ومهندسي الأبنية والديكور وغيرها من عناصر الفلم، إضافة إلى الموازنة المالية التفصيلية لكل المهمات، ومنها: الإقامة، والسفر، والتأمين الصحيّ، وغيرها.

المنتج الحديث هو مفتاح كل شيء، فهو الذي يختار المخرج والسيناريست، ويتعاون مع الأول في اختيار فريق العمل؛ من ممثلين، ومصورين، وخبراء المونتاج والملابس إلى غير ذلك. ولا يقتصر الأمر على هذه المهمات، لكن يتعدّاها إلى وضع خطة لتسويق المنتج النهائي؛ أي: الفلم؛ لضمان عائدات مجزية، وسوف تلاحظ أن أغلبية الأفلام المعاصرة تحمل اسم ثلاثة منتجين أو أكثر، وهذه الأسماء قد تعود للمموّل الفرديّ أو للمصرف أو لأحد المستثمرين، لكن المنتج الحقيقي هو رجل واحد مسؤول عن كل هؤلاء؛ يحافظ على حقوقهم، ويدفع الأموال إلى أصحابها مع الأرباح والفوائد؛ هذه مهمات المنتج المعاصر باختصار.

من ناحية أخرى، يتعامل المنتِج مع المنتَج النهائيّ؛ أي: الفلم كما لو كان أحد أطفاله؛ فهو يمنح الفلمَ كلَّ وقته وجهده، ثم يعدّ خُطَّة للتسويق والتوزيع، وبعد مرور سنوات من عرضه ربما يُطلَب منه تقديم نسخة أو بيعها لمناسبة، أو مهرجان، أو احتفال، أو عرض تلفزيونيّ، أو مؤسسة بحثية أكاديمية. ولا تهتم أجهزة الإعلام عامةً بالمنتِج، بل تركز جلّ اهتمامها في المخرج والممثلين وغيرهما.



• أتذكر الآن بعض ملحوظات غارسيا ماركيز على السينما. هل التقيتَه خلال مسيرتك الفنية؟

نعم، التقيتُه بمدريد مع زوجته، وشاهد أحد أفلامي، وتحدثنا طويلاً عن السينما ورواياته التي حوّلت إلى أفلام، وكان رأيي دائماً أن سحر ماركيز لا يمكن الإفصاح عنه بوساطة الكاميرا؛ لذلك فإن الأفلام القائمة على أعماله لم تلقَ النجاح المتوقع.

كان ماركيز شديد الارتباط بإسبانيا، وقد أقام ببرشلونة معظم الوقت، ونشر جلّ كتبه هناك مع ناشرة معروفة، ثم توقف عن زيارة إسبانيا؛ لأن الحكومة فرضت تأشيرات دخول على الكولمبيين الراغبين في زيارة إسبانيا، فقرّر عدم العودة إلا إذا غيَّرت حكومتنا موقفها تجاه مواطني كولومبيا.

• ما تقويمك لأعمال كلينت ستوود بوصفه منتجاً ومخرجاً مستقلاً، وخصوصاً أفلام الويسترن التي نفذها؟

أنا أعرف كلينت ستوود، فقد عملت معه منذ أول فلم لي، وقصته لا تختلف عن قصة أقرانه وتجربتهم ممن انتقلوا من التمثيل إلى الإخراج.

• ما الحلم الذي سعيتَ إلى تحقيقه؛ الشهرة أم المال أهم القناعات الفنية؟

كنت محظوظاً طوال حياتي؛ لأنني كنت أفعل ما أريد، فكنت أصنع -أحياناً- أكثر من ستة أفلام في السنة، وقد جئت إلى المملكة العربية السعودية لأصنع فلم رسوم متحركة Animated Film يدور حول التطورات الحديثة في المملكة، لكن لمَّا تكتمل الاستعدادات الفنية والإدارية بعد، وقد أتاحت زيارتي المملكة العربية السعودية تعرّف نواحي الحياة فيها على نحو أفضل، ولديَّ مشروع لعمل فلم عن حياة الملك فيصل بن عبدالعزيز ومنجزاته، مع العلم أنني وثَّقت جزءاً من حياة الملك عبدالعزيز عندما كان في العشرينيات من عمره في فلم إسباني بعنوان: آخر الفرسان The Last Horseman الذي حقق نجاحاً كبيراً لدى المشاهدين عند عرضه بمدريد قبل سنوات.

كل أعمالي نتاج جهد كبير ورأسمال فنيّ ونفسيّ وأخلاقيّ وماليّ، ودرجة عالية من الصدق والأمانة، لكن فلم إلدورادو Eldorado يحتل مكانة متميزة من غيره

فيديريكو فيليني

ترجمة: عاطف محمد عبدالمجيد | مصر

سِرٌّ سِرِّيٌّ جداً



فَقَدْتُ معرفةَ الوقتِ، لمْ أَعُدْ أدري منذ كمْ مِن الوقتِ ونحن هناك؛ ساعة؟ ساعتين؟ ثلاث، ربما؟ لديّ ساعة حقاً، لكني لم أتوصل إلى تمييز عقاربها. في أول الأمر كان الظلام مُطْلَقاً، بعد ذلك، وشيئاً فشيئاً، اعتادت أعيننا على الوضع. الآن، يمكنني أن ألمح ظِلّ توماس ووجه كاميل. كلا. في الواقع أنا لا أرى وجه أختي الصغيرة؛ أنا أُخَمّنه. هي شُجَاعةٌ جداً. لمْ أكنْ أتخيل هذا عنها أبداً. تتحمل كثيراً. لا تتذمر. لا يبدو عليها أنها خائفة، بل تمتصّ إبهامها وكأن شيئاً لم يكن. ربما لم تستوعب في أي موقف نكون؟ ربما ... هذا أفضل بالنسبة لها. كذلكَ توماس لا يبدو خائرَ القوى. يجلس قُرْبَ السُّلّم على الأرض. ساقاه مرفوعتان ويضَع ذقنه على ركبتيه. سألتُ نفسي في أي شيء يفكر؛ أهو يجتر؟ أهو هادئ؟ أهو مُنْهمكٌ في رسم خُطّةٍ؛ كي نخرج من هناك؟ أنا واثقة فيه. لقد ساعدنا مِن قبل في كثير من الأحيان... اسمي ڤانسان، لديّ اثنا عشر عاماً؛ ثلاثة عشر عما قريب. لا أستطيع أن أخبركم عن المزيد؛ لأنه ليست هذه حقيقةً لحظةَ النقاش والتعارف كما لو كنا في حفلة شاي.

عليَّ أن أفكر ملياً في ضجة الخارج. عليَّ أن أفهم. لا بد من أنْ أحاول أنْ أرى الأشياء قليلاً أكثر وضوحاً. هذا مهمّ جداً. لم يعد يحقّ لنا أن نرتكب خطأً. أسمع جيداً وَقْع خطواتٍ وصيحاتٍ، لكني لا أتوصل إلى تقدير المسافات، أحبس أنفاسي وأعضُّ إبهامي، أنا كقنّاص، كمستكشف، كناسِكٍ هنديّ. علَيَّ أن أستخدم رأسي، وأن أُبْدي صَبْراً لا محدوداً. إنه السبيل الوحيدة لتحقيق غاياتنا وليس الإمساك بها. لا أجرؤ على أن أتخيل ما سيحدث منا لو أنّ أحداً كان قد عثر علينا الآن... من جهة أخرى أمنع نفسي عنه. عليَّ أن أظل منكمشاً على ذاتي، منكمش وواثق.

اقتربتْ مني كاميل، أخبرتني أنها جائعة، أضع إصبعي أمام فمها مشيراً إليها بأن تصمت، عيناي المتورمتان جعلتاها تخاف، أرى وجهها قاطباً ويتلوى كأنها كانت تبكي، أتحدث بأخفت صوت ممكن وأمدُّ ذراعيَّ ناحيتها.

– تعالي على ركبتي.

تُقبل إليَّ وتتكئ على ذراعي.

– ڤانسان، أنا جائعة، تُكرر.

أُلقي نظرةً على خُرْجي، ما زال يُبقي لنا بعضَ الفواكه الجافة، عُلْبتيْ بسكويت وإناءً مملوءاً تماماً. أتردد. لا أريد أنْ أهاجم مؤننا بسرعة مفرطة، بل أريد تماماً أنْ تنام. عادةً، هذا أوان قيلولتها، وأعرف أنها ستنام بسهولة أكثر إنْ كان في بطنها شيء. هل لحكايةٍ أن تَحلَّ مَحلَّ قطعةِ جاتوه؟ لا أدري. سأجرب.

– هل تعرفين حكاية الفتاة الصغيرة التي أكلتْ أرنبها؟ تُحرك رأسها من اليمين إلى اليسار وترفع أرنبها القطيفة الصغير مرة أخرى أسفل ذقنها.

– عجباً، ها هي... إنها الفتاة الصغيرة التي دائماً ما تتخذ وضع امتصاص أُذنيْ أرنبها دائماً، حتى في الشارع، حتى وهي نائمة، حتى وهي ذاهبة للّعب في الحديقة. عليها دائماً أن تمتصّ وأن تعضّ أذنيْ أرنبها. آنذاك، يندهش الناس، يقولون لها: لكن لِنَنْظر، أيتها الفتاة الصغيرة، لمَ تضعين دائماً أُذن الأرنب في فمكِ؟ إنه ليس نظيفاً! إنه مقزز! إنه يتسكّع في كل مكان. إنه يلتقط كل ميكروبات العالم، وأنتِ تحملينها في فمك. هذا خطير، أيتها الفتاة الصغيرة. لا تعودي إلى فعل هذا أبداً! لكن أنتِ ترينها تسخر مما يقوله الناس؛ لأنها تحتفظ بسرٍّ. سِرٌّ سِرّيٌّ جداً درجة أنه لا يعرفه أحد. لا أحد! حتى أمها، حتى أبوها، حتى أخوها الكبير...

– ما هو سِرها؟ تسأل كاميل وهي تلوك أُذنَ أرنبها.

– سأحكيه لكِ حينما تكونين قد نِمْتِ. هيا، اسْتلقي عليَّ جيداً وتناولي إبهامك. عليكِ أنْ تحْصُلي على قسْطٍ من النوم الآن. على الفور نامتْ. كنتُ أرتاب فيها. كانتْ ميّتةً من التعب.

– ما هو سِرها؟ يسأل توماس.

– ماذا سنصبح؟ أرد عليه.

يتمدد ويُغيّر من وضعه.

– لا أدري.

– ألستَ قلِقاً؟

– لا أدري.

لا أُلحُّ. أسْتند بظهري على عارضة، أفرش قميصي على ساقيْ كاميل وأغمض عيني... لا بد من إيجاد حلّ. لن نستطيع أن نظل هكذا. النهار انقضى، ولهذا سيعود آباؤنا. لا بد أن نقول: إنهم كانوا مستكشفين وحالياً هم يبحثون راضين عن معبد في الأدغال. ما من نجدة تُنْتظر من هذا الجانب. كان لا بد من قضاء النهار في الغابة المجاورة، لن يقلق جدودنا مبكراً جداً. ثلاثتنا مقْدامون بما يكفي وليس من النادر أن نعود إلا وقت هبوط الليل. عندما نلد مغامرين كآبائنا لا يكون مستغرباً أن أبناءهم كانوا كذلك مغامرين. إضافة إلى ذلك، سيبحثون هناك عنا وليس أسفل بئر سُلّم منزلنا!

يا له من غباء أن نمرّ على منازلنا لاسترداد هذا الأرنب! غير أن كاميل لم تكن تريد أن تنصرف من دونه، ولمْ أستطع أبداً أن أقاومها حينما تنظر إليَّ مطأطأة الرأس وهي تقول: أرجوك ڤانسان.

لم تعرف قط أن تقول (آنْ)، والآن العائلة كلها تناديني بفانسان. في تلك الأثناء، فوجئنا داخل المنزل بلصَّيْن كانا يسعيان لسرقة قناع ڤودو[1] الذي استرده الآباء في آخر رحلاتهم. لم يكتفيا بالقناع، حينذاك قررا أن يحتجزونا كي يطلبوا فدية. كأنّ مستكشفين ما حصلوا على النقود! فجأة ثار توماس في ركنه. كان أخي البِكْر هادئاً للغاية ومُتّزناً. كان لا يتحدث سُدًى وكان الجميع يصغي إليه دائماً. ها هو راح يقول بصوت خفيض:

– الأرنب، أرنب كاميل، أتَذْكرُ بأي مناسبةٍ حصلتْ عليه؟



– أجل، لقد استرده الآباء في الوقت نفسه الذي استردوا فيه قناع ڤودو الشهير.

– هل تذكر ما الذي قالوه وهم يقدمونه لها؟

هناك، أتوقف. ماذا استطاعوا أن يقولوا؟ لم أعد أتَذَكَّر. على أي حال، لمْ يعد ذا أهمية. هل جعل الجوع والخوف أخي الممتاز يَهْذي؟ لكن، الآن، يرد:

– قالوا: إنه كان أرنب سِحْر أبيض. لو استطعنا أن نصل إلى قلبه فسينقذنا في كل المواقف. لكن، ماذا يعني هذا: نصل إلى قلبه؟ بهدوء، آخذُ قطيفةَ ذراعي أختنا الصغيرة. أعود إلى كل الجهات بلا جدوى، أضربها على صدرها، سِرُّها محفوظٌ بعناية. أبدأ في الانزعاج، وأخي أيضاً، وها نحن منشغلين بفحْص صَدْر هذا الأرنب الملعون من أعلى إلى أسفل، من اليمين إلى اليسار... مع كل هذه الجلبة، تستيقظ كاميل، تفتح عينيها الكبيرتين المذعورتين وتمدّ ذراعيها إلى قطيفتها المعشوقة. أعدناها إليها قبل أن تجهش بالبكاء. حينذاك، بكل هدوء، تهمس في أذن حيوانها: أرنوبي، أنا خائفة. أخْرِجْنا من هنا، أنا أريد جدي، جدتي، أبي وأمي. حينئذ لن تصدقني. لكن فجأة أصبحتْ عينا الأرنب لامعتين. لامعتان جداً حتى إننا كنا نستطيع أن نرى في الغرفة الضيقة كما لو أن هناك مصباحاً قد أشعل! راحت شفتاها تتحركان وصوت خافت يخرج منهما. كنا في حالة إرهاب أكثر مما كنا عليه لحظة اختطافنا. لكن الأرنب يقول لنا:

– لا تخافوا. ماذا سيلحق بكم؟ يمكنني أن أساعدكم. حينذاك، تمسك كاميل به بين ذراعيها وتهمس في أُذنه بمغامرتنا الشاقة. لا يبدو أنها خائفة من هذا الموقف الغريب وتحكي له كل شيء من دون تردد. يعرف الأرنب قناع ڤودو وسلطاته. هم من المنطقة نفسها ولو كان القناع يحقق السحر الشيطاني (السيئ)، فهو يمارس السحر الأبيض (الجيد). يغمض عينيه وينكمش على نفسه. حينئذ، ينفتح باب الغرفة الضيقة ونسمع ضجةً مرعبةً للغاية حتى لم نعد نجرؤ على الحركة: تَعْزيماتٌ، صيحاتُ خوفٍ، وسقوط. عقبَ لحظات طويلة، أخرجُ أنا وتوماس من سجننا. وكلنا دهشة، نَلْقى خاطفينا مشلولين، منبطحين أرضاً، أعينهم جاحظة من الذعر وقناع ڤودو يجعل كل شيء يلمع في أقدامهم. نتمكن من الاتصال بجدودنا الذين يأتون في الحال يبحثون عنا، ويسلمون هؤلاء اللصوص إلى رجال البوليس. لا بد أن نستفهم. في أثناء ذلك، حين نتحدّثُ عن حَدَثِ هذا الأرنب تحديداً، لا يصدقنا أحد. لا بد أنْ نقول: إنَّ هذه القطيفة قد استعادتْ هيئتها كقطيفة. ما من كلمة، ما من عينين لامعتين. ويظل سِرّها سِريّاً جداً.

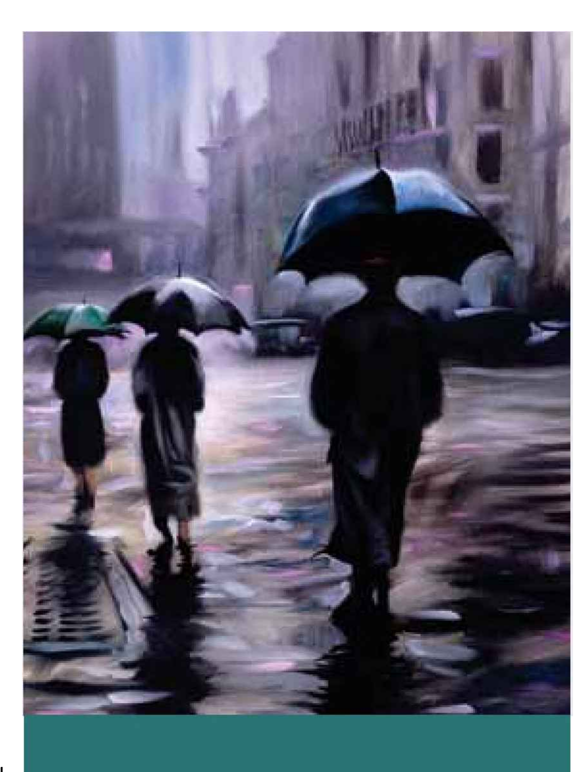
الهوامش

* القصة من أعمال الروائية والقاصة الفرنسية آنا جاڤالدا، وهي من مواليد بولوني بيانكور في التاسع من ديسمبر عام ١٩٧٠م، ونشرت مجموعة من قصصها القصيرة عام ١٩٩٩م وعنونتها بـ (أريد أن ينتظرني شخص ما في مكان ما) ولاقت هذه المجموعة استحسان النقاد وقتها، وحققت أعلى مبيعات؛ إذ وصل ما بِيع منها إلى أكثر من ٧٥٠ ألف نسخة، وترجمت إلى عدة لغات، وحصلت على جائزة الأدب الكبرى (RTL - LIRE) عام ٢٠٠٠م. وفي عام ٢٠٠٧م وصلت مبيعات كتب آنا جاڤالدا إلى ثلاثة ملايين نسخة في فرنسا.

(١) نوع من أنواع السحر الأسود الذي يقوم أهله باستخدام الأشباح والجن لخدمتهم.

حديث الصباح

رأيتُ الصباحَ يمشّط نجماً ... ويشكو له في الدُّجى حالَهُ
يقول حزيناً: أفي ضوئيَ اللَّيْ ... لُ يسبحُ؟ يغسل أسمالَهُ؟!
يسرد أطفاليَ الطيبين ... وأحمي من التِّيه أطفالَهُ
ويرميهمُ في دروب الذئابِ ... يذيقهمُ الموت أهوالَهُ
وأجلو هموم الحياةِ، ويلقي ... على صدرها السمحِ أثقالَهُ
وأزرع في الرُّوحِ زهرَ الطموحِ ... وفي الرُّوح يزرع أغلاله
وأملأ بالطهر زوّادتي ... وبالحقد يملأ أحمالَهُ
وأسكِرُ بالضوءِ قلبَ الحياةِ ... وبالعتم يسكرُ أوصاله
وأوقظُ في الميتِ آماله ... ويُغرِقُ في الوحل آمالَه
ولم يكملِ الصبحُ، فالنجم نامَ ... فمن سحرِ عينيه أهدى لَهُ
وعَلَّقَ في شعرِهِ وردةً ... وعلّق في الجيدِ سلسالَهُ
وقام، ودمعتُهُ حرَّةٌ ... وراح يجرِّر أذيالَه
أينشغل النجمُ في حسنِه ... وينسى الصباحَ، وما قالَه؟!



إبراهيم عبدالموجود حسن | مصر



ناصر الدين الأسد..

عاشق العربية



صورة عامة للجامعة الأردنية

فقدت الثقافة العربية أحد أبرز رموزها، ورائداً من روّاد التنوير، وعاشقاً متيماً للغة العربية، ومعلماً من البناة العظام لمؤسسات التعليم العالي الجامعيّ في الوطن العربي، هو الأكاديميّ والمَجْمعيّ والوزير الأردنيّ الدكتور ناصر الدين الأسد، الذي وافته المنية في ٢١ مايو عام ٢٠١٥م عن عمر ناهز ٩٣ عاماً، قضى معظمها في خدمة الثقافة العربية باحثاً، وكاتباً، وأديباً، وشاعراً، ومعلّماً، وناقداً تاركاً خلفه مكتبة عامرةً في الأدب، والشعر، والنقد، وتحقيق التراث.

سيرة ومسيرة

هو: ناصر الدين بن محمد بن أحمد بن جميل الأسد، الابن البكر لأب أردنيّ وأم لبنانية من جبل لبنان، وُلد في العقبة عام ١٩٢٢م (وذكرت بعض المصادر أن مولده كان عام ١٩٢٣م)، كان والده موظفاً شغل عدة وظائف، وشغل في مرحلة من عمره منصب رئيس ميناء جدة، وكانت والدته تُحسِن القراءة والكتابة وتعرف شيئاً من الفرنسية، نشأ في العقبة في رحاب طبيعة تنوعت فيها المظاهر الجغرافية؛ من بحر وجبل وصحراء؛ مما أثّر في تكوينه النفسيّ والذهنيّ والثقافيّ عامة، وفي حبّه الباديةَ والشعر الجاهليّ خاصة.

تلقّى تعليمه الأوليّ في أماكن مختلفة في شرقيّ الأردن، وأمضى مدة قصيرة في مدن الجنوب؛ حيث تعلم في الشوبك ووادي موسى، والعقبة، ومعان، واستكمل تعليمه في عمان؛ حيث انتقل والده والأسرة إلى العاصمة عام ١٩٣٣م، وكانت علاقته بالقراءة والكتاب قد بدأت في سنّ مبكرة من عمره؛ إذ كان والده حريصاً كلّ الحرص على أن يجعل صِلته بالكتاب والقراءة صلةً وطيدةً، فكان يحضر إليه في أثناء رحلاته مجموعةً من الكتب، وبخاصة كتب كامل كيلاني رائد أدب الأطفال، فتمكّن في تلك المدة من التزود بمفردات اللغة، وأُتيح له في هذه المرحلة أن يقرأ أول ديوان شعر لشاعر سوريّ حداثيّ، وقد أثر هذا الديوان في نفسه وتكوينه، فامتلك من جراء مطالعاته قدرة مبكرة على التعبير بلغة عربية سليمة، واكتسب معرفة بتاريخ أُمته العربية والإسلامية، وقد شارك في هذه الحقبة والده في حضور المناسبات الوطنية والسياسية؛ مما ساهم في تشكيل وعيه الوطنيّ والقوميّ مبكراً.

وفي عمان التحق بالصف الثالث الابتدائي، وكانت الدراسة الابتدائية مدّتها سبع سنوات، وفي عام ١٩٣٥م تُوفّيت أمُّه، فحَزَنَه موتُها حُزناً عميقاً، ثم انتقل بعد ذلك إلى المرحلة الثانوية المتوسطة، وفيها أخذت مداركه الفكرية والسياسية تتفتح، وبدأ اهتمامه الشديد بالأدب والشعر، إذ إن تلقّي العلم وقتها كان على أيدي معلّمين شعراءَ وكُتّابٍ مبدعين، وكان في طليعتهم كاظم الخالدي الذي فتح أمام تلاميذه آفاقاً رحبة في العلم والثقافة والانتماء إلى الوطن، فكان يعرض عليهم نماذج

> **عانى ناصر الدين الأسد عسر الحال وضنك العيش؛**
> فاضطر إلى العمل في أثناء مدة دراسته الجامعية، فعمل تارة مترجماً، وتارةً أخرى مراسلاً صحفياً



خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -رحمه الله- يسلِّم د. شوقي ضيف جائزة الملك فيصل العالمية

ترك الفقيد مكتبةً عامرةً بمؤلفات تجاوزت ٨٠ مؤلفاً متنوعاً في حقول الدراسـات الأدبية، والنقد، والترجمة، والتحقيق، والشعر، والبحث العلميّ

من نصوص نثرية وشعرية لم تكن مألوفةً لديهم في سنواتهم السابقة، وترك الأستاذ سعيد الدرة مدير المدرسة أثراً واضحاً في تربية ناصر الدين وزملائه؛ إذ حفظوا ما كان ينشده من عيون الشعر في أثناء إلقائه دروس التاريخ، فكان يستشهد على كل حادثة من حوادث التاريخ العربيّ الإسلاميّ بأبيات من عيون الشعر العربيّ قديمه وحديثه، وتأثر -أيضاً- بكل من عبدالمنعم الرفاعي المتخرّج في الجامعة الأمريكية بيروت، وكنج شكري المتخرج في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وكان الرفاعي شاعراً معروفاً في لبنان والأردن، ويمتلك موهبةً في إلقاء الشعر سواءٌ أكان الشعرُ من نظمه هو أم من نظم غيره، فتربّى الأسد وزملاؤه على تذوق الشعر، حتى إنهم بدؤوا وهم في سِنِي الخامسة عشرة والسادسة عشرة ينظمون الشعر.

وكانت لناصر الدين تجربته الأولى في كتابة قصيدة متكاملة عام ١٩٣٩م، يعارض فيها قصيدة أستاذه الرفاعي التي كان قد نظمها عام ١٩٣٧م، وظهرت عليه في هذه السن بوادر (الناثر) الذي يحاول أن ينظّر لفن الشعر ومفهومه؛ إذ نشرت له مجلة المدرسة عام (١٩٣٨-١٩٣٩م) مقالاً بعنوان: (الشاعر) يؤكد فيه مفهوم القصيدة الشعرية بوصفها فناً نابعاً من الوجدان، وليست عملية نظم آلية، وأظهر فيه احترامه الشاعر ومكانته المقدسة لديه.

وفي هذه الحقبة كان الأسد من قرّاء جريدة الأردن التي كانت تصدر في عمان، وكان ينشر فيها شاعر الأردن وعرار مصطفى وهبي التل، والدكتور محمد صبحي أبو غنيمة، وكان الأمير عبدالله بن الحسين يدخل كثيراً في مساجلات شعرية معهما بأسماء مستعارة، لكنها كانت معروفةً للقارئ الأردنيّ في ذلك الوقت.

وفي شهر مارس عام ١٩٣٩م فجع ناصرَ الدين موتُ والده، وكان في السابعة عشرة من عمره، وقد واجَهَ هذه المصيبةَ التي أثَّرت فيه بشدة بالصمت، لكنه قرَّر أن يردَّ الجميل إلى والده، وأن يَهَبَ أباه الحياةَ التي تمنَّاها لابنه، فكان ردّه العمليّ الوفاء بذكرى أبيه من خلال اجتهاده العمليّ والدراسيّ؛ إلى أن أصبح ملحمةً أدبيةً وثقافيةً وضعت اسمه في سجل الخالدين في الأردن والوطن العربيّ، وفي تاريخ التعليم العالي الأردنيّ والعربيّ.

انتقل ناصر الدين الأسد إلى السلط للدراسة في الثانوية الكاملة عام (١٩٣٨- ١٩٣٩م)، وما كاد ينتظم في الدراسة حتى استدعته مديرية

المعارف، فأبلغته حصوله على منحة للدراسة في الكلية العربية بالقدس؛ إذ إنه حصل على المركز الأول في الثانوية المتوسطة، وكان قد اضطرّ إلى العمل بعد وفاة والده؛ لمساعدة الأسرة مادياً، فعُيِّن كاتباً في ديوان قاضي القضاة، ثم التحق بديوان المحكمة الشرعية لكنه لم يستمرّ طويلاً في عمله؛ إذ التحق بعد ذلك بالبعثة الدراسية بالقدس، وكانت هذه الكلية أعلى معهد تعليميّ في فلسطين والأردن، وكان التعليم فيها ينقسم إلى مرحلتين: تنتهي المرحلة الأولى بالصف الرابع الثانويّ، وينال الطالب في نهايتها شهادة اجتياز التعليم العالي بفلسطين matriculation، والمرحلة الثانية تنتهي بالصف السادس الثانوي (وهي مرحلة جامعية) ينال الطالب عَقِيبها شهادتين: الشهادة المتوسطة الجامعية Intermediate ودبلوم التربية والتعليم، وعلى الرغم من التحاق ناصر الدين بالكلية بعد مرور شهر وبضعة أيام من بدء الدراسة فيها، فإنه استطاع أن يفوق أقرانه، ويحصل على المركز الأول في نهاية العام، وظلَّ محافِظاً على تفوقه طوال السنوات الأربع في تلك الكلية، التي تعلَّم فيها المنهج العلميَّ في التفكير والأسلوب الموضوعيّ في البحث، وكانت الدروس تُلقى بالإنجليزية سوى دروس

ينطلق الأسد في رسم منهجه العلميّ من نقطة عميقة في التاريخ يستمدّ منها رؤيته في وضع الأسس المنهجية لفلسفة التعليم؛ لتصير القاعدة المتينة التي يؤسّس عليها العلوم المعاصرة



بوّابة الجامعة الأردنية

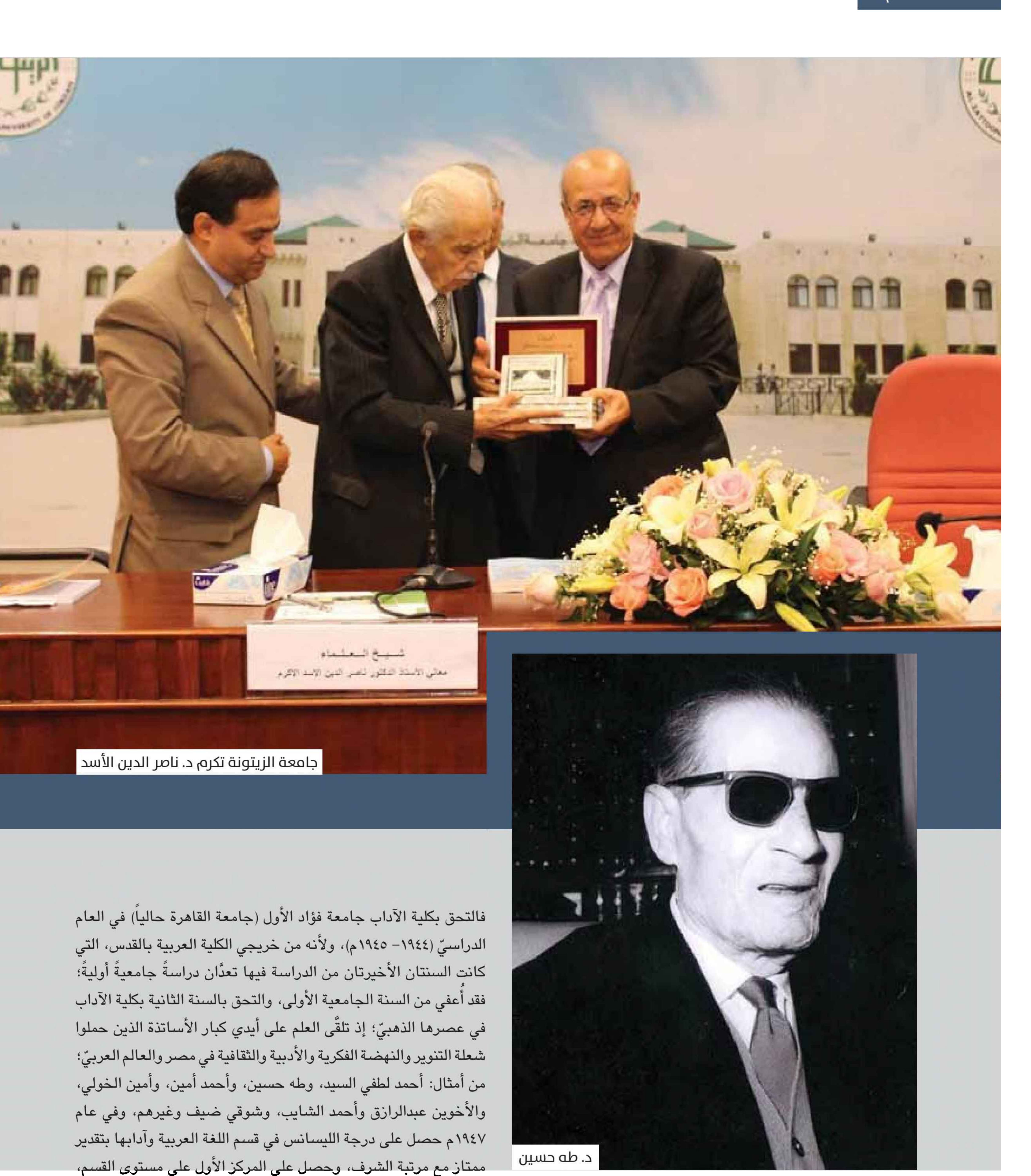
العربية، وكان موضوع أول بحث قدّمه متصلاً بالجامعات الإسلامية في التاريخ، بتكليف من أستاذه الدكتور إسحاق موسى الحسيني، وكتب في تلك المرحلة دراسة مقارنةً عن عَروض الشعر العربيّ، والوزن الشعريّ الإنجليزيّ القائم على الوزن السداسيّ Hexameter.

انطلاقة عَمَلية وعِلمية

عاد ناصر الدين الأسد إلى عمان عام ١٩٤٣م بعد إنهاء دراسته في الكلية العربية بالقدس، فعمل بالتدريس في مدارس عمان وفق شروط البعثة، وعاد مُسلَّحاً بعُدَّة أدبية كاملة، وشرع يمارس نشاطه الأدبيّ ليحمل صوته الخاصّ ورؤيته الحياة والأدب، وكان هو وزملاؤه يواكبون ما يجري على الساحة الأدبية والفكرية من حركات تجديدية، ونزاعات فنية، ومعارك أدبية على صفحات الصحف والمجلات، وبخاصة المصرية؛ مثل: الرسالة والثقافة وغيرهما، ومن أجل إيجاد منبر له ولرفاقه؛ قام بتأسيس منتدى أدبيّ في عمان؛ أطلق عليه (الندوة الأدبية)، وظل رئيساً له إلى أن سافر إلى القاهرة؛ ليستأنف دراسته الجامعية، وكان قد عزم على استكمال دراسته على نفقته الخاصة،

جوائزه

حظي الفقيد الراحل بتقدير كبير من قِبَل المؤسسات الفكرية والأدبية والثقافية، ورؤساء الدول والحكومات؛ لدوره النهضويّ والتنويريّ، وتأثيره الواضح في أجيال متعاقبة من التلاميذ وطلبة العلم، وخصوصاً في الأردن وليبيا، وقد توّجت جهوده العِلمية والعَملية بحصوله على جوائز عالَمية، وهي: جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربيّ عام ١٩٨٢م، وسبق أن حصل على وسام الاستحقاق الأردنيّ والثقافة والعلوم عام ١٩٧٧م، وحصل على وسام الكوكب الأردنيّ من الطبقة الأولى عام ١٩٩١م، ووسام النهضة العالي الشأن عام ١٩٩٣م، وميدالية الحسين الذهبية عام ١٩٩٥م، وجائزة سلطان العويس الثقافية في الدراسات الأدبية عام ١٩٩٥م، واختاره معرض الكتاب الأردنيّ بوصفه الشخصية الثقافية لعام ١٩٩٧م، وفي عام ٢٠١٠م فاز بجائزة نجيب محفوظ للكتاب العربيّ، وهي أرفع الجوائز التي يمنحها اتّحاد كُتاب مصر، فأضاف إليها من قيمته وقامته السامقة، وهي المرة الأولى التي ينال كاتب أردنيّ هذه الجائزة، وسبق أن فاز في دوراتها الأولى كلٌّ من الروائي السوريّ حنا مينه، والشاعر الفلسطينيّ سميح القاسم، والشاعر السودانيّ محمد الفيتوري، والروائي المغربيّ بن سالم حميش.



جامعة الزيتونة تكرم د. ناصر الدين الأسد

د. طه حسين

فالتحق بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً) في العام الدراسيّ (١٩٤٤- ١٩٤٥م)، ولأنه من خريجي الكلية العربية بالقدس، التي كانت السنتان الأخيرتان من الدراسة فيها تعدّان دراسةً جامعيةً أوليةً؛ فقد أُعفي من السنة الجامعية الأولى، والتحق بالسنة الثانية بكلية الآداب في عصرها الذهبيّ؛ إذ تلقّى العلم على أيدي كبار الأساتذة الذين حملوا شعلة التنوير والنهضة الفكرية والأدبية والثقافية في مصر والعالم العربيّ؛ من أمثال: أحمد لطفي السيد، وطه حسين، وأحمد أمين، وأمين الخولي، والأخوين عبدالرازق وأحمد الشايب، وشوقي ضيف وغيرهم، وفي عام ١٩٤٧م حصل على درجة الليسانس في قسم اللغة العربية وآدابها بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف، وحصل على المركز الأول على مستوى القسم،

ومُنح جائزة الدكتور طه حسين بوصفه أول الخريجين في القسم.
عانى ناصر الدين الأسد -على الرغم من تفوقه- عسر الحال وضنك العيش؛ فاضطر إلى العمل في أثناء مدة دراسته الجامعية، فعمل تارة مترجماً، وتارةً أخرى مراسلاً صحفياً، وكان في تلك الأثناء قد تعرَّف إلى فتاة مصرية من أسرة كريمة، فتزوجها، وأنجبت له أولاده الثلاثة وابنته، وبعدما عاد إلى بلاده عمل مدرساً بالمدرسة الإبراهيمية بالقدس، وقدَّم برنامجاً يومياً بالإذاعة العربية لمحطة الشرق الأردني بعنوان: حديث الصباح، وفي هذه الحقبة أُعلِن عن قرار تقسيم فلسطين، فاضطربت أحوال البلاد، وعجت فلسطين بمحركات المقاومة والتحرُّر المسلَّحة، وعانى ناصر الدين في تلك الحقبة محنةَ الانقطاع عن العمل شهوراً عدة، وبخاصة بعد أن أصبح مسؤولاً عن زوجته وطفله البكر، إلى أن أتيحت له فرصة عمل في ليبيا، فقام مع اثنين من المدرسين المصريين، ونخبة من المعلمين الليبيين، بتأسيس أول مدرسة ثانوية متوسطة في مدينة طرابلس، وأمضى هناك عاماً واحداً، ثم عاد إلى القاهرة عام ١٩٤٩م؛ ليستكمل تحصيله العلميّ والتدريس بالمدرسة الإنجليزية بضاحية مصر الجديدة.
ارتبط الأسد بجِلَّة من الأساتذة الذين شكَّلوا حياته وتوجهاته العِلْمية والفكرية والأدبية، ومنهم أستاذه إسحاق موسى الحسيني الذي استمرت علاقته به مدة طويلة، وتعدّ هذه العلاقة محطة مهمة في حياته، والتقى في القاهرة بمجموعة أخرى من الأساتذة الذين سرعان ما حظي باهتمامهم وصداقتهم،
وتقدَّم الأسد لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة فؤاد الأول، وكان موضوع رسالته: القيان وأثرهن في الشعر العربيّ في العصر الجاهليّ، بإشراف أحمد الشايب، وحصل عليها عام ١٩٥١م، ثم كانت أطروحته لنيل درجة الدكتوراه من الكلية نفسها، وكان عنوان رسالته: الشعر الجاهلي: مصادره وقيمتها التاريخية، بإشراف أحمد الشايب وشوقي ضيف، وحصل عليها عام ١٩٥٥م بتقدير ممتاز، وكان أول طالب أردنيّ ينال درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة.

د. ناصر الدين الأسد ود. محمد فاروق النبهان

يعدّ ناصر الدين من المؤسسين العِظام لمؤسسات التعليم العاليّ الجامعيّ في الوطن العربي جنباً إلى جنب مع أحمد لطفي السيد، وطه حسين، وغيرهما

الإنتاج العلمي

ترك الفقيد الراحل مكتبةً عامرةً بمؤلفات تجاوزت ٨٠ مؤلفاً متنوعاً في حقول الدراسات الأدبية، والنقد، والترجمة، والتحقيق، والشعر، والبحث العلميّ؛ منها:

- القيان وأثرهن في الشعر العربيّ في العصر الجاهليّ، عام ١٩٥١م.
- الشعر الجاهليّ: مصادره وقيمتها التاريخية، عام ١٩٥٥م. وصدر بعنوان آخر: مصادر الشعر الجاهليّ وقيمتها التاريخية.
- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى؛ لابن حزم (تحقيق بالاشتراك).
- الاتجاهات الأدبية الجديدة في فلسطين والأردن.
- الشعر الحديث في فلسطين والأردن.
- ديوان قيس بن الخطيم (تحقيق) عام ١٩٩١م.
- يقظة العرب؛ جورج حبيب أنطونيوس (ترجمة بالاشتراك مع إحسان عباس) عام ١٩٦٢م.
- خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين.
- محمد روحي الخالدي رائد البحث التاريخيّ في فلسطين.
- ديوان شعر الحادرة (تحقيق وتعليق) عام ١٩٩١م.
- تاريخ نجد؛ لابن غنام (تحرير وتحقيق) ط٤، عام ١٩٩٤م.
- معاملة غير المسلمين في الإسلام (بالاشتراك) عام ١٩٨٩م.
- تصوُّرات إسلامية في التعليم الجامعيّ والبحث العلميّ، عام ١٩٩١م.
- نحن والآخر.. صراع أم حوار.
- نحن والعصر: مفاهيم ومصطلحات إسلامية.
- صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالميّ، عام ١٩٩٦م.

رائد مؤسسيّ

قبيل حصول ناصر الدين على الدكتوراه انتقل إلى العمل بأمانة جامعة الدول العربية عام (١٩٥٤- ١٩٥٩م) بالإدارة الثقافية، ثم اختير ليكون عميداً ومؤسساً أول كلية للآداب والتربية في الجامعة الليبية ببنغازي، وعَقِيب انتهاء إعارته سنتين دراسيتين، عاد ثانيةً إلى الجامعة العربية عام ١٩٦١م، وفي تلك الأثناء تلقى تكليفاً رسمياً من الحكومة الأردنية بالعودة إلى الأردن، وتأسيس الجامعة الأردنية في عمان، فظلّ يعمل جاهداً مع خيرة أبناء وطنه على إرساء دعائم الجامعة الوليدة إلى أن استطاع في مدة وجيزة أن ينجز المرحلة الأولى منها، وأن تبدأ الدراسة بالجامعة في أواخر ديسمبر عام ١٩٦٥م، فكانت الجامعة الأولى والوحيدة في هذا البلد.

كان ناصر الدين الأسد يرى في ذلك الوقت أن يبدأ هذا المشروع الحضاريّ والتنويريّ بخطوات وئيدة، فاقترح أن تبدأ الجامعة بكلية واحدة هي كلية الآداب، وكان من الطبيعيّ أن يتولّى عمادتها، وأن يعيّن فيها أستاذاً في اللغة العربية وآدابها، ثم صار رئيساً للجامعة بعد إنشاء كليات أخرى، وظلّ في هذا المنصب حتى عام ١٩٦٨م، ومن هذا المنصب الرفيع انتقل مرة أخرى إلى جامعة الدول العربية ليعمل وكيلاً للإدارة الثقافية فيها، ثم مديراً عاماً مساعداً للشؤون الثقافية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام (١٩٦٨- ١٩٧٧م)، إذ عُيِّن سفيراً للأردن بالسعودية، ولم يمضِ سوى عام واحد حتى عاد إلى الأردن ليتولّى رئاسة الجامعة الأردنية مرةً أخرى بِناءً على طلب الملك حسين بن طلال، وظل في هذا المنصب إلى عام ١٩٨٠م، ولم تمضِ سوى سنتين حتى كلَّفه الملك حسين بتأسيس صرح أكاديميّ جديد،


تأبين الدكتور ناصر الدين الأسد بحضور شخصيات أكاديمية وسياسية

> يعـدُّ النقادُ ناصرَ الدين أحـدَ المحـاور المهمّة في الثقافة العربية المعاصرة، وأحد كبار المفكّرين الذين تلمـذوا لطه حسـين، ويمثـل جسـراً راسـخاً تتحرك مـن خلاله الثقافة العربية تراثاً وتحديثاً

الملك عبدالله الثاني مع المشاركين في مؤتمر مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي عام ٢٠١٣م


أحمد أمين

تَوّجت جهوده العِلمية والعَملية بحصوله على جوائز عالَمية، ومنها: جائزة الملك فيصل العالمية، ووسام الاستحقاق الأردنيّ، وميدالية الحسين الذهبية، وجائزة سلطان العويس

وهو: المجمع الملكيّ لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)، وصار رئيساً له، وهو المنصب الذي ظل يشغله مدة طويلة، ثم أُسند إليه منصب وزير التعليم العالي من دون أن يتعارض ذلك مع رئاسته المجمعَ الملكيّ لبحوث الحضارة الإسلامية، وكان أول وزير للتعليم العالي في الأردن، وظل يشغل هذا المنصب من إبريل عام ١٩٨٥م إلى ديسمبر عام ١٩٨٩م، وشغل هذا المنصب مرتين، ثم عُين بعد ذلك رئيساً لجامعة عمان الأهلية، واستمر في منصبه إلى عام ١٩٩٣م، ثم اختير عضواً بمجلس الأعيان بمجلس الأمة الأردنيّ عام ١٩٩٧م.

يعدّ ناصر الدين الأسد بحق من البناة المؤسسين العِظام لمؤسسات التعليم العاليّ الجامعيّ في الوطن العربي جنباً إلى جنب مع أحمد لطفي السيد، وطه حسين، وسليمان حزين، وعبدالحليم منتصر، وكان يُدرك بعِلمه وخبرته أن الثقافة أشمل من التخصُّص العِلميّ، وأوسع من التعليم الرسميّ، وهي نشاط يهب الفردَ قدرةَ الإنسان الحقيقيّ؛ لذلك أراد من المؤسسات العِلمية الجامعية التي أسّسها أن تكون مركزاً للعلم، يتفاعل فيه الطالب مع المعرفة؛ فيصبح مُنتجاً الثقافةَ لا مستهلكاً محضاً، فحين كُلِّف بتأسيس الجامعة الأردنية كانت لديه منذ البداية رؤية واضحة تتصل برسم معالم الدراسة في الجامعة ونهجها العلميّ، واستطاع بما يملكه من حجة ويقين أن يبين أن الجامعة الأردنية، إذ تشترك مع الجامعات الأجنبية في أصول متعددة لا تصير الجامعةُ جامعةً إلا بها، فإن ثمة أموراً تفرق بينها وبين الجامعات الغربية، ألا وهي أن الجامعات الأردنية جامعات عربية إسلامية، لها خصوصيتها الثقافية المستمدة من إرثها الحضاريّ التي تميزها من غيرها، وهي في الوقت ذاته تواكب التطوّر العلميّ؛ لتسير في ركب الحضارة المعاصرة.

وينطلق الأسد في رسم منهجه العلميّ من نقطة عميقة في التاريخ يستمدّ منها رؤيته في وضع الأسس المنهجية لفلسفة التعليم؛ لتصير القاعدة المتينة التي يؤسّس عليها العلوم المعاصرة وتطبيقاتها التكنولوجية في عصر تفجر المعلومات والمعرفة، ومع أن تطلعه لم يتحقق عَمَلياً وَفْقَ ما خطّط له، فإنه وضع تفاصيل هذا المنهج الذي تبلور لديه على نحو واضح في كتاب أصدره عام ١٩٩٣م، بعنوان: تصوّرات إسلامية في التعليم الجامعيّ والبحث العلميّ؛ قدّم فيه تصوراً واضحاً لما يمكن أن يكون عليه منهج التعليم الجامعيّ في دولة عربية مسلمة، تتمتّع بإرث حضاريّ عظيم، وتتطلع إلى مستقبل عِلميّ متقدّم.

عاشق العربية المتيّم

يعدُّ النقادُ ناصرَ الدين الأسد أحدَ المحاور المهمّة في الثقافة العربية المعاصرة بوجه عام، وأحد كبار المفكّرين الذين تلمذوا لطه حسين، ويمثل جسراً راسخاً تتحرك من خلاله الثقافة العربية تراثاً وتحديثاً، ماضياً وحاضراً، إضافة إلى كونه ناقداً أدبياً متمرّساً، وشاعراً يحتلّ الشعر مكانة خاصة في نفسه، والشاعر في نظره هو قلب الأُمة النابض، ويرى أن الشعر ذروة الفنون جميعها، فلم ينقطع الأسد عن قول الشعر لكنه لم يجمع هذا الشعر، وعندما سئل عن سبب ذلك؟ أجاب بأنه أمر يتوقف على رأي النقاد الذين يعرفهم ويثق في حكمهم، ويرى الأسد في دراساته النقدية أن نقادنا ينقلون ترجمات غامضة، ويطبّقون مصطلحات لا يفهمونها، وكانت له آراء صائبة فيما يسمى بصراع الحضارات والحوار مع الآخر؛ انطلقت من مفهومه الواسع المتصل بالدور الحضاريّ للثقافة الإسلامية التي لم تُلْغِ من قاموسها الحضاريّ أيّ حوار مع الآخر في إطار إنسانيّ راقٍ.

عُرف عن ناصر الدين عشقه العربيةَ وغَيْرته عليها، وهو ما أهَّله لأن يحتلّ مكانةً مرموقةً في مَجامِعها، فشغل مناصب عدة؛ منها: عضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٧٣م، وعضوية مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٦٩م، وعضوية مجمع اللغة العربية الأردنيّ، وعضوية مجمع اللغة الصيني، وعضوية المجمع العِلميّ المصريّ بالقاهرة، وعضوية المجمع العلميّ الهنديّ بعليكرة، وشارك في عضوية هيئة الموسوعة الفلسطينية، وعضوية الأكاديمية المغربية، والمجلس الاستشاريّ لمؤسسة الفرقان بلندن، واللجنة الملكية لشؤون القدس والأردن، وتلقى دعوة لتكريمه من قبل مجمع اللغة العربية بالقاهرة في يوليو عام ٢٠٠٤م.

محمد عطية محمود | مصر

جمر اللحظة



أبتْ أشعةُ الشمس الأرجوانية أن تنعكس على صفحة البحر المُتّشحة بالرماديّ على المدى، فيما هربت إليه النوارس المهاجرة مبتعدةً من الشاطئ.. استقرّ صهد الشمس المختزن في المكان الأثير الذي كان يحتويك بين جدرانه ونوافذه المشرعة إلى البحر.. تضمّك على يأس الانتظار.. تلقي بك في دوامة اللوم البائت في حضنك منذ أيام.. لا تدري إن كانت أياماً أم دهوراً عانقت فيها سُهد التخلّي، ولوعة تشتيت يبدأ منذ اللحظة الأولى للّقاء، ويستفحل فيما بعد الدقيقة الأولى؛ لانتهاء لقاءات كانت عسيرةَ المخاض، بطيئةَ الخَطْوِ، محتشدةً بمُرّ الأسئلة التي لم تغادر يوماً ذهنك، بل ازدادت حدَّتُها منذ صباح اليوم..

المكانُ الذي يُنكر عليك أنفاساً كنت تتنفسها، فتجيش بصدرك أشواقٌ للبعيد، هو المكانُ الجاحد بذكرى جاحدة، أو المعلِن حقيقةً كانت غائبةً عنك، أو كنت تعلمها وتتغاضى عنها، وتظلّ مُمسكاً بخيوط العنكبوت التي نسجت على كل شيء منذ البداية، لتكون وكراً لأوهامك، ومرتعاً لظنونك القاتلة التي أَرْدَتْك صريع الأرق والقلق البغيض، الذي أورث قلبك ضعفاً، ثم عناداً، ثم صداً لا يليق بكل ما تمنيت وما بنيت من قصور، وما شيَّدت من حصون وأساطير، وإن لم تقوَ على الخلود..!!

لا تقبض على جمر اللحظة!!

هي كلمات شيخي اللائم إياي، تتجلى من داخلي على لساني، الذي صار مطواعاً لأفكاره وتأملاته، فصار ينطق بما يدور في خَلَده من دون أن ينبس بكلمة، لكن كيف لي ألّا أقبض على جمراتي، وهي الفتنة الطاغية التي أبت ألّا تغادرني، وأبت إلّا التفلُّت في الآن ذاته..

شمس اليوم كانت حارقةً، يُجللها الصهد المتملك للنواصي والأقدام، والشارع الطويل الفارغ الذي يشهد على خواء كل شيء، يجعلك تشعر كأن الشمس قد طلعت اليوم كي تجلدك بسياطها، وتمعن في تعذيبك، وتبسط مشيئتها لتكون جحيماً خالصاً، يخصك وحدك، ينذرك بأن القادم لن يأتي، وما ترتب له عَصِيٌّ على التحقيق، لكنك لا تزال سادراً في خطواتك المضطربة التي غَزَتْ كلَّ الأماكن التي كنت تهيِّئها للاحتفاء معك بطقوس مؤجَّلة للقاء..

كوب الماء الذي ينزلق وينسكب كلما جاء النادل وملأه، تاركاً مكعبات الثلج الشفافة تتقافز بين سطحه ومنتصفه، فلا تتركها ارتعاشات الوقت لكي

تذوب في الماء، وتكون محواً لجليد كان يكتنف أوصالك وأنت تقاومه بنار القلب، والوجد، والتهاب العينين المسهدتين، ويصير الكوب فاتراً مشمولاً بجفاف، تتشبث به قطرة ماء وحيدة على جداره تقترب من التحجر.. تصنع مجرى وهمياً باهتاً على جداره الخاضع لتصاريف الوقت المارق كدهور.. المرأة التي تحمي جسدها الثائر الساخن بحكايات تنسجها؛ كي تقيم جداراً عازلاً أمام تحرُّشات المحيطين بها، متناثرين، القابعين ينتظرون على كراسيّ جلديةٍ وثيرةٍ، وهي تحشو فترات صمتها بنعاس مصطنع، ومكالمات هاتفية تستقبلها، وترسلها على عجل، وإيماءات للقابع القريب منها يرقب سقوط أول حجر في جدار مقاومتها اللَّدْنة، حينما يحرِّك الهواء المتسلِّل طرفَ طرحتِها التي لا تحجب ذؤاباتِ شعرها الأربعينيّ المتأخِّر، على حواف نظارتها الشمسية السوداء.. تلمحك بطرف عينيها ممعنة في استحلاب الوقت بحفيف لمسات من ساقيها تدنوان وتتباعدان في الحين ذاته، وتمتمات تشبه الأوراد في ترنُّمها بها.. على حين يباغتها الـ(ستيوارت) الذي باشر ورديته المسائية لتوه، بلمِّ ما تبقَّى على سطح المنضدة الزجاجية التي تشكِّل أعوادُ البامبو العتيقة هيكلَها..

عندما لا يكون الوجود حقيقياً ولا صافياً ولا ضافياً ولا محققاً لمعادلات اتِّزان الرُّوح، فحتما سوف تغادر الرُّوح المكانَ لحظة الانفلات منه، ولن يكون لها أثر الآن، ويكون المكان شاهداً ومؤرِّخاً تاريخاً من الجفاء الذي يتجسّد على الحوائط التي كانت تستند إليها الظهور، والوجوه التي قد ترتبط بالمكان، والمقاعد التي يغيرها الـ(ستيوارت) بعد كلّ ليلٍ طويلٍ من المسامَرة، ومفاوضات المرتادين وأهل الحاجات، ثم ينفض غبار الحيرة عن المنافض وأسطح المناضد، ثم يكنس كلَّ المشاعر التي جفت وانتحرت على أرضية المكان، وانزوت وعششت في الأركان؛ كي يغير بها معالم ما كان لها أن تلتصق بالرُّوح، ولا تلتصق الرُّوح بها..

هل كان علينا أن نطرق بقسوة كل الأبواب؛ كي نتأكد أن ليس خلفها إلا الفراغ، وقصاصات الوهم، واختلاجات المشاعر الزائفة دائماً، ومؤقتة الصدق أحياناً، على الرغم مما لاح منذ البدايات الجدلية العقيمة ألَّا سبيلَ إلى الامتلاء والاكتمال؟!!.. كانت.. كل الأشياء من حولي تردُّني إليكِ رداً جميلاً: (البحر، والنهر، وبقايا عطرك الساحر الذي يتخلل الأجواء، واحتضان يدِك يدي، وبصمات أنفاسك على أنفاسي، وعلى كل شيء).. حتى نقضت عهدها معي.. الآن... لِمَ أجدُني أُهْرَع إلى مكان يتهيأ لأن يكون طللاً جديداً؛ أتشمم رائحتك التي تصرُّ أن تتلفَّح بالغياب المقيم، حتى في لحظات دُنُوٍّ يَضَنُّ بها الوقت، وتلعب معها بنَزَقٍ لُعبةَ المواقيت المؤجَّلة والمحمَّلة على محفات تتأرجح بين الحضور والغياب؛ لتجهض أملاً قد يتحقق هذه المرة، وقد لا يتحقق..

يخيِّم لون البحر الرمادي على المكان، يبسط نسمةً تتهادى كرداء مخمليّ يحاول ترطيب ما اختزن من صهد الانتظار، وغليان اللحظة في عروقِ أَبَتِ التوقُّف عن استلام دفقات الرُّوح المختنقة التي انحبست في مسارات الدم، واعتلتْ حُمرتُها الأذنين، وطوَّقتِ الرقبة باللهيب ذاته، ولا تفلح في استهداء القلق الباسط هيمنته على المكان، الذي توتر كل ما فيه، حين قفزت صورة البثّ الفضائيّ من تلفاز يعتلي أحد الأركان لمباراة كرة في كأس العالم بين قطبين من أقطابها..

يُقتحم المكان بوجوهٍ جديدةٍ تتطلع إلى الشاشة العملاقة ذاتها، والصراع الأزليّ ذاته بين الوقت المتبقي واللا وقت الفائت من المباراة، في نَزَقٍ يتناسب مع الحال التي أتتْ لتقبض على جمر هذا النزال، بين الممكن تحقيقه، والصعب، الذي يصبح مستحيلاً إذا أزف الوقت، واستحال إلى رذاذ كرذاذ البحر حين يهيج قبل أن ينبسط ويهدأ ويدع الفرصة للأشعة الأرجوانية أن تغتاله.. تكاد الوجوه تملأ المكان الذي كان هادئاً، تفارق صفاء المقاعد التي كانت قد استراحت من نضال أيام فائتة مع وجوه أخرى ومتشابهة، وأخرى تقتنص بهاء اللحظة في هدآت المكان..

يهمس لي شيخي، وهو يطل عليَّ من أعماق لا أدريها: «أمازلت مُصراً على القبض على الجمر؟»، وهو يعلم أن الجمرة ليست بيدي، أشعر بها في كل خلاياي، على الرغم من يقيني بعباءته التي يبسطها عليَّ أينما ذهبت، ويديه اللتين تحوطان كتفيَّ المحتاجين دوما لمن يربت عليهما من دون الحاجة إلى طلب أو سؤال!!

يتسلل الضوء الأصفر سريعاً من مكامنه، بمربعات السقف الواطئة والحوائط، والثريات البسيطة المدلاة من السقف الشاهق، المطرّز بطنافس الملائكة والورد والحسان، يتقاطع مع اللوحات البنية البارزة التي تعتلي أركان المكان، تقترب من السقف، فتشعل ألقاً، وتلقي ظلاً يهيم بين الأصفر والبني والأسود إلى أن يغيب في أركان لا يعلم مداها ولا يشعر بها إلا من كان متوحّداً بالمكان، ذائباً في تفاصيل تخصّه، وبالمقعد الخيزرانيّ الذي ينتظر من يُنتظر جلوسه إليه، والغوص في تجويفه الوثير، وطبع سمته فيه، فيزيد ضغط رُوحي على جمرتها، وتعتصرني، فتكاد يداي تعتصران بعضهما..

يضغط عليَّ ظل شيخي موبخاً، لائماً، ناظراً بكلمات تتردّد في مساحات وفضاءات أراها تتباعد حتى تكاد تتلاشى، بينما تنسحق رُوحي تحت رحى حنين طاغٍ متسارع بلهاث.. تنقبض له النفْس العاشقة ضوء النهار، بدخول الليل بعتمته الموغِلة في النفس.. يكاد يتباعد ظلُّه، يُراوغني بين الكشف وبين الحجب..

تقبض اللحظة على ذاتها على الرغم من كل شيء، وتتأرجح مع بندول الساعة القائمة على أحد القوائم الفاصلة بين نوافذ المكان العريضة على البحر، حين ينطلق رنين النقال بعد تردُّد وفترة عطب اجتاح الأثير، وعطل كل قنوات الاتصال، على تنبيه رسالة فائتة، يباغتني وميضها كاشفاً ساطعاً، لتوحي بصعوبة تحقّق الوصول..

تلتفت إلى شيخك، وهو يستدير نحوك في ذات اللحظة، ليغادر معك، على عتبة المكان الذي لفته الظلمة، واكتنز الضوء في حيز الشاشة التي الْتهمت أنظار المتحلّقين المتعلّقين بها، وصاروا أشباحاً يبتلعون صمتاً كتموا فيه أنفاسهم، وامتزجت أخيلتهم، وذابت الحدود الفاصلة بينهم، بينما اختفت المرأة الأربعينية بأورادها المبهمة، فيما كان شبح يتهادى بقلق دفين؛ للولوج إلى ذات المكان، لحظة قبضك على كفّ شيخك لتمضيا سوياً نحو الاتجاه الآخر من نهر الطريق؛ لتسيرا متجاورينِ رفقة عتمة قادمة لبحر ساكن، بلا نوارس محلّقة، قد تساقطت في حمرة الشفق..

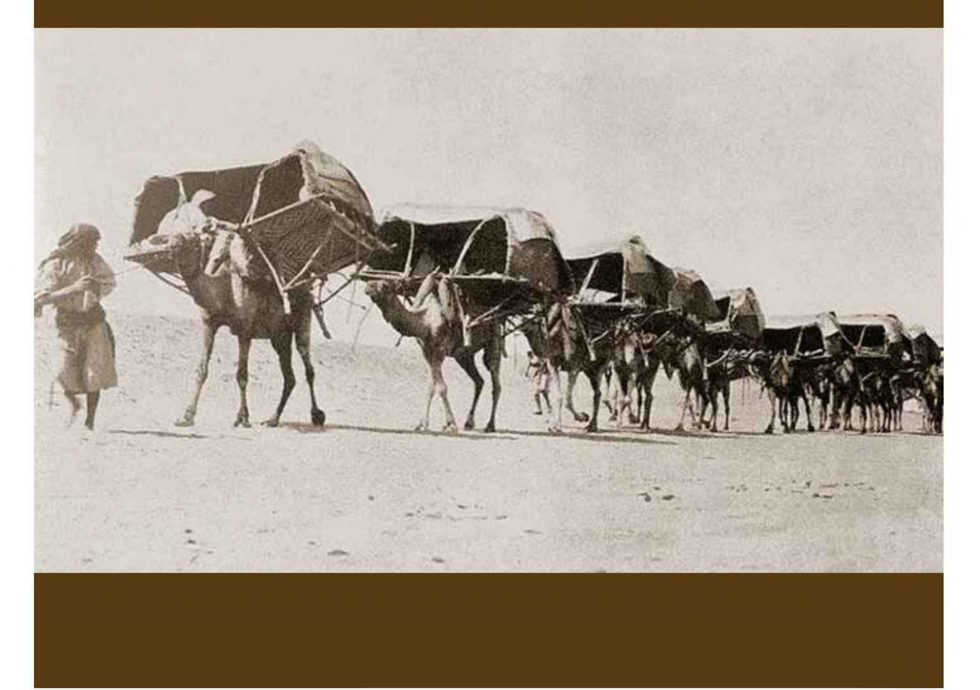


لمحة عن تاريخ

حملات الحج القطرية قبل مئة عام



تعود حملات الحج في منطقة الخليج العربي -ومنها دولة قطر- إلى العقد الأول من القرن الماضي، وكانت المواصلات القديمة والمعروفة وقتئذ لأداء فريضة الحج هي السفر عن طريق القوافل، وفي المدة (١٣٥٤- ١٣٦٥هـ/ ١٩٣٥- ١٩٤٦م)، ووفق الروايات الشفوية لكبار السن ممن عاصروا أواخر الحج القديم بالجمال، فإن من أساسيات السفر للحج أن يكون الحاجّ مقتدراً؛ من الأغنياء، أو الأعيان، أو تجار اللؤلؤ، أو الميسورين، وكانت تكاليف الحملة أن يدفع الحاج عشرين ريالاً فضِّياً (مارتينيا) أو مئة روبية معدن -وهي العملة القديمة المتداولة وقتئذ- لمقاول حملة الحج؛ من أجل تمويل القافلة باحتياجات السفر؛ من التمر، والعيش، والقهوة، والمياه، والأغنام، والخيام، والهوادج، وأخذ الأكفان والمعاول للدفن؛ لاحتمال وقوع حالات وفاة بين أفراد الحملة؛ بسبب طول المسافة، ومشقة السفر.



ومن أقدم حملات الحج القطرية حملة ابن جلمود، وكان بيته يقع بين منطقة سوق واقف وقلعة الكوت في الدوحة، وكانت انطلاقة الحجاج من العاصمة إلى سلوى بجمال الحملة، التي كانت موسومة بعلامات لصاحب الحملة، وكان تجمُّع الحجيج عند حدود سلوى، وأشار بعض كبار السن إلى أن سكان المناطق خارج العاصمة كانوا ينطلقون بجمالهم إلى أن يصلوا إلى مكان تجمُّع حملة الحجاج في سلوى، ثم تُستبدَل بجمالهم جِمال الحملة، وكان الاستعداد للسفر للحج يبدأ عقب عيد الفطر؛ لأن السفر كان يستغرق وقتاً طويلاً؛ من ثلاثة أشهر إلى أربعة أشهر من أجل الوصول إلى الأراضي المقدسة، وكانت مواصلة السفر إلى الأحساء تستغرق سبعة أيام، وعندما تصل الحملة إلى الأحساء تُستبدَل الجمال، ويأخذ الحجاجُ قسطاً من الراحة، ثم يُستأنَف السفر إلى الرياض، ثم إلى الطائف، ثم إلى مكة. وترجع أسباب استغراق السفر وقتاً طويلاً إلى تعدُّد محطات استراحة الحجيج في القرى من أجل التزوُّد من العيون بالماء.

وأشار جون فراير كين (الحاج محمد أمين) -في مذكراته عن رحلته إلى الأراضي المقدسة للحج عام ١٨٧٧م في كتاب (مسيحيون في مكة)- إلى سير الجمال إلى جدة ثمانية وعشرين ميلاً من الفجر إلى الغروب في اليوم الأول، وفي اليوم الثاني كانت الرحلة شاقةً؛ بسبب صعود قوافل الحج مرتفعاً صخرياً شديد الانحدار إلى أن يصلوا إلى مكة، وهناك عدة قوافل قدمت قبل الحج بعدة أشهر.

السفر بالبحر إلى الديار المقدسة

لم يكن السفر بالبحر لأداء فريضة الحج شائعاً في قطر مثل السفر عن طريق البر، وكان السفر قاصراً على بعض الأفراد في الإقليم الشمالي من قطر، وذلك في حقبة الغوص

كانت متطلبات السـفر للحج تتكون من صنـدوق معدنـيّ يحفـظ الحـاجُّ فيـه الملابـسَ والمصحف ووثيقة السـفر، وكان يجلب فيه الهدايا





جاء في كتاب (الحلي الداني في سيرة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني) حاكم قطر في المدة (١٩٤٩-١٩٦٠م) تأليف خالد بن محمد آل ثاني: التعليم والعلاج بالمجان، وقطر أول بلد عربي يؤمّم الطب. بعثة الحج القطرية عام ١٩٥٧م ترسل الدائرة الطبية من قطر إلى الأراضي المقدسة في موسم الحج كل عام؛ لتشارك بقية الدول الإسلامية مجهودها؛ لتوفير الرعاية الطبية الكاملة للحجاج، وتعمل البعثة في مكة حيث توجد لها عيادتان؛ إحداهما في المدينة، والأخرى في منى، أما عرفات فيوجد به مركز طبي، وتتألف البعثة الطبية من خمسة أطباء، وصيدليين، ومساعد معمل، وميكانيكي، وطباخين، وثلاث سيارات إسعاف، وسيارتي شحن، وثلاث سيارات خاصة بالأطباء، وتصرف لهم أحدث الأدوية بالمجان، إضافة إلى المساعدات الطبية المتعددة من المملكة العربية السعودية، والدول العربية: مصر، ولبنان، وغيرهما.

بحثاً عن اللؤلؤ وحقبة ما قبل النفط، ويرجع السبب في ذلك -وفق رواية كبار السن من أهالي الشمال- إلى بُعد المسافة من الشمال إلى العاصمة، وندرة وسائل المواصلات، وقُرب المعبر البحريّ القديم في قطر من قرية الخوير أو الرويس، فكانت رحلة السفر تسير بإبحار السفن الشراعية إلى البحرين، وهناك يقوم أهل قطر بالانضمام إلى حملات الحج بالبحرين للسفر إلى الأراضي المقدسة.

وكان طريق الحج قديماً في البحرين عن طريق الإبحار إلى الساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية بالمحامل، ثم ترسو السفن بميناء الخبر، ثم تُستأنَف الرحلة بوساطة قوافل الحملة متجهةً إلى مكة، ويشكل درب اليمامة رافداً مهماً من روافد طريق حج البصرة، ويربط بين الحجاز والعراق، ويؤدي طريق مرات طريق الحج القديم، والتقاء طريق حملة حجاج البحرين في ضرية يمر عبر محطات قوافل الحجاج الآتية: (جديلة، ثم فليجة، ثم قبا، ثم مران، ثم البستان وصولاً إلى مكة)، وكانت الرحلة تستغرق ما بين ثلاثة أشهر إلى أربعة أشهر.

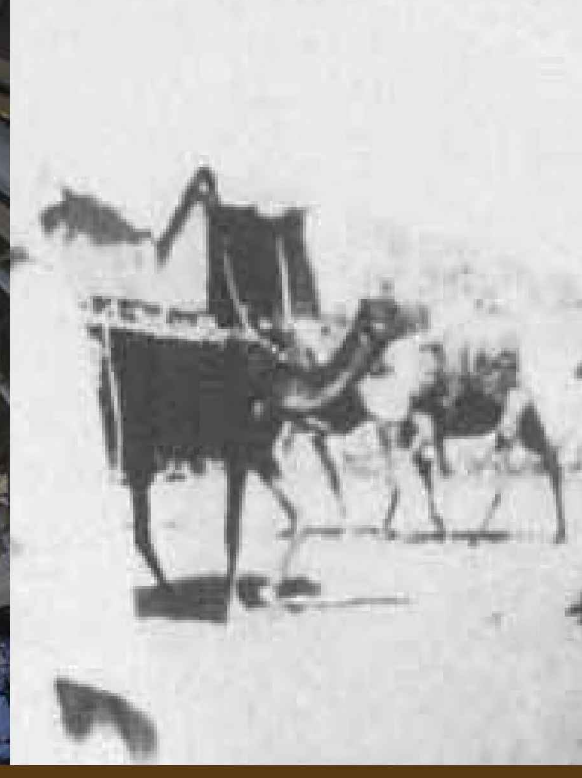
السفر بالسيارات للحج

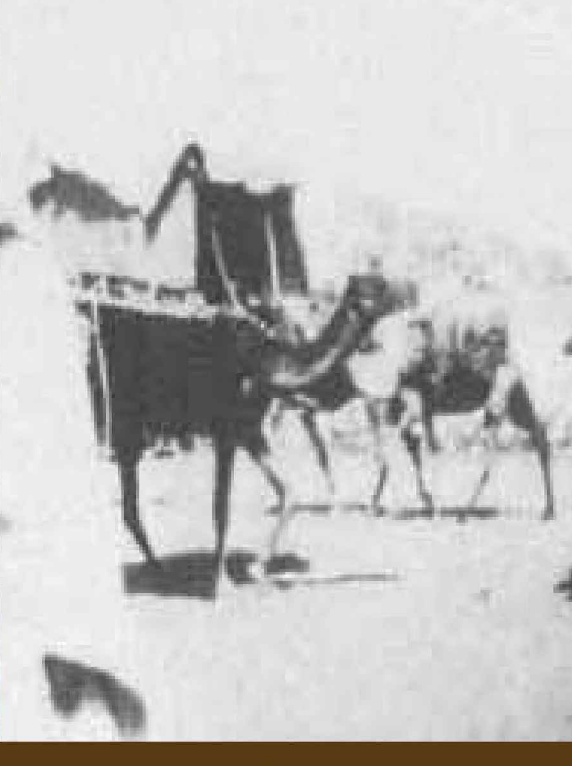
يعود السفر للحج بوساطة السيارات إلى حقبة بدء تصدير النفط من قطر إلى الأسواق العالمية عام (١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م)؛ وأشار ناصر محمد العثمان في كتابه (السواعد السمر.. قصة النفط في قطر)، إلى التوسع في انتشار المركبات الحديثة في قطر في خمسينيات القرن الماضي؛ من سيارات وشاحنات وحافلات خاصة بشركات البترول، وعُرف اقتناء السيارات الخاصة لدى بعض الأعيان، وفي الحقبة نفسها تطورت وسائل السفر للحج باستخدام السيارات (١٩٥١- ١٩٦٧م)، وعُرفت السيارات من نوع (لوري)، واستخدمت في الحج إلى أن ظهرت حافلات النقل الجماعيّ الخاصة بحملات الحج.

وتعدّ حملة محمد بن طلجم في الأحساء من أشهر حملات الحج في قطر وقتئذ، ومقاول حجاج قطر، وحملة الحساوي، وعُرفت في وقت لاحق من حملات الحجاج القطرية حملة ابن رحمة الكعبي، وحملة رحمة بن جهام الكواري، وأشار أحد كبار السن -الوالد السيد علي النعمة- حينما سافر بالسيارة من نوع



(لوري) للحج عام ١٩٦٨م، إلى أن تسجيل اسم الحاج لدى الحملة كان يتمّ قبل موسم الحج بعدة أشهر، وكانت أجرة السفر تُدفع مقدماً، ويجب إخراج وثيقة السفر من مركز الشرطة – إدارة الجنسية؛ لتحديد وجهة السفر، وكانت متطلبات السفر للحج تتكون من صندوق معدنيّ يحفظ الحاجُّ فيه الملابسَ والمصحف ووثيقة السفر، وكان يجلب فيه الهدايا من قوارير ماء زمزم، والسُّوُك، والأقمشة، والسُّبَح. وكان تجمُّع الحجاج عند قلعة الكوت مقابل مُصلّى العيد؛ حيث تُنصب خيام الحملة، وترفع الأعلام باسم الحملة، وتقف عند الحملة سيارات نقل الحجاج، وحافلات الحملة، ويصعد الحجاج بعد وداع أقربائهم، وتنطلق الحملة بالحجيج إلى وجهتها إلى الأحساء، ثم الهجر، ثم رماح قرب الرياض،





كان الاستعداد للسفر للحج يبدأ عقب عيد الفطر؛ لأن السفر كان يستغرق وقتاً طويلاً؛ من ثلاثة أشهر إلى أربعة أشهر من أجل الوصول إلى الأراضي المقدسة

السفر بالطائرة لأداء فريضة الحج

عُرف السفر بالطائرة لأداء فريضة الحج عام (١٩٦٠- ١٩٧٠م)، وكان السفر بالطائرة للحج في ذلك الوقت قاصراً على بعض الأعيان، وكان بالانضمام إلى حملات الحج السعودية قبل موسم الحج بشهر، وكانت وجهة السفر بالطائرة تنطلق من مطار الدوحة، ثم مطار الظهران، فمطار جدة، إلى أن أصبحت لاحقاً وجهة السفر هي من الدوحة إلى جدة، وكان بدء تنظيم حملات الحج القطرية بالطائرة إلى الأراضي المقدسة في التسعينيات من القرن الماضي.

ثم الطائف، فمكة.

تطور السفر إلى المدينة بالسيارات، فكان السفر للحج يستغرق نحو الشهرين؛ بسبب وعورة الطرق، وكانت حملة الحج القطرية تقف يوماً واحداً عند الهجر في الأحساء -مقر استراحة الحجاج- وتقوم بحمل الحجاج من الأحساء، وبعد أداء فريضة الحج وعودة الحجاج إلى ذويهم جرت العادة في الماضي أن يقوم الحاج برفع العَلَم على بيته وإقامة وليمة لعودته من الحج سالماً. وجاء في جريدة أم القرى موسم الحج سنة (١٣٧٢هـ/ ١٢ ديسمبر عام ١٩٥٢م): «الاحتفال الفخم في مكة باستقبال أمراء قطر. استقبال الشيخ عبدالله بن جاسم آل ثاني ونجله الشيخ علي سموُّ الأمير عبدالله الفيصل أمير مكة المكرمة. أقيمت مظاهر الحفاوة للضيفين الكريمين حين

المراجع

- مقابلة مع السيد علي عبدالله الفياض، والسيد جاسم شريم، والسيد محمد سعد السليطي، والسيد علي محمد النعمة بتاريخ ١٢- ٢٢ أكتوبر عام ٢٠١١م، ومراجعة السيد حاتم عروق.
- مسيحيون في مكة؛ أغسطس رالي، دار الوراق للنشر.
- الحلي الداني في سيرة الشيخ علي آل ثاني؛ خالد بن محمد آل ثاني، التعليم والطب في عهد الشيخ علي، مطابع رونالدو، ٢٠٠٩م.
- جريدة أم القرى السعودية؛ العدد ١٤٤٢، ربيع الأول ١٣٧٢هـ/ ١٢ ديسمبر ١٩٥٢م.
- جريدة الأهرام؛ عدد خاص عن إمارة قطر عام ١٩٦٠م، الإعلانات التجارية، مكتب القصيبي للسفريات، مكتب سفريات الدرويش.
- رحلة الحج في الماضي؛ يوسف عبيدان، مجلة الجسرة، عام ٢٠٠٧م.

* الصور تعبيرية عن رحلات الحج في الماضي.



فاز بجائزة أفضل مَعلم سياحيّ تراثيّ عربيّ

خالد الفيصل: سوق عكاظ يحاكي الماضي ويستشرف المستقبل

تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين، الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود -حفظه الله- أقيمت فعاليات الدورة التاسعة لمهرجان سوق عكاظ في محافظة الطائف بمشاركة أدباء، ومثقفين، وشعراء، وأكاديميين، وفنانين، وحرفيين تقليديين من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

وأوضح صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، مستشار خادم الحرمين الشريفين، أمير منطقة مكة المكرمة، رئيس اللجنة الإشرافية لسوق عكاظ؛ أن رعاية خادم الحرمين الشريفين تأتي امتداداً لرعايته المحافل العلمية، والفكرية، والأدبية، والتراثية، وإيمانه -حفظه الله- العميق بأهمية بناء الإنسان السعوديّ المؤمن القويّ، القادر على الرقيّ بوطنه ورفع رايته بين الدول، وتحقيق مجده بين الأمم والشعوب.

وقال: إن التاريخ يسجل لخادم الحرمين الشريفين اهتمامه الدائم بالفكر والثقافة والعلوم والإبداع، ورعايته -أيده الله- العلم والعلماء، والثقافة والمثقّفين، والأدب والأدباء، والفكر والمفكّرين، إضافة إلى عنايته بالماضي، والتراث الوطني، وتشجيعه المحافظين عليه، مع الاهتمام بحاضرنا ومستقبلنا.

ونوه صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، بالجهود التي بذلها أصحاب السمو والمعالي أعضاء اللجنة الإشرافية لسوق عكاظ وأمينها، إضافة إلى الشركاء والرعاة والداعمين، وخصوصاً الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطنيّ التي تشرف سنوياً على البرامج الجادة وجائزة الحِرَف والصناعات اليدوية، إضافة إلى محافظ الطائف رئيس اللجنة التنفيذية، ومدير جامعة الطائف، وأمين الطائف، وأمين سوق عكاظ، والمدير التنفيذي، ومدير هيئة السياحة والتراث الوطني في الطائف، وجميع اللجان العاملة، وذلك عقب أصداء نجاح النسخة التاسعة للسوق التي شهدتها محافظة الطائف في المدة من ٢٥ شوال إلى ٦ ذي القعدة سنة ١٤٣٦هـ، الموافق: ١٢ - ٢١ أغسطس عام ٢٠١٥م، وتمثلت في إثراء الزائر بالبرامج والأنشطة والفعاليات، إضافة إلى منحه الفائدة والمتعة في آن واحد.

ولفت صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل إلى أن ضيوف سوق عكاظ هذا العام كانوا من الشعراء والأدباء والمثقفين والمفكرين والعلماء، وأنهم زادوا السوق عطاءً، وقدموا إلى زائريه ثراءً ثقافياً وإبداعياً وعلمياً متميزاً من خلال مشاركاتهم المتنوعة في الأمسيات، والمحاضرات، والندوات المدرجة ضمن البرنامج الثقافيّ.

وخلص سموّ الأمير خالد الفيصل إلى القول: إن النسخة التاسعة جاءت لتؤكّد أن سوق عكاظ لا يهدف إلى محاكاة الماضي فقط، إنما يسعى -أيضاً- إلى استشراف المستقبل، ونقل المفهومات والعلوم المستقبلية إلى روّاد السوق، وخصوصاً المواطنين، وتعريفهم المفهوم الجديد للعالم الجديد، من خلال برنامج (عكاظ المستقبل) الذي ضُمّت إليه جائزة جديدة مخصصة لريادة الأعمال في الحقل المعرفيّ، وتضاهي في قيمتها المعنوية والمالية جائزة شاعر عكاظ، وكرّم الأمير خالد الفيصل الفائزين بجوائز سوق عكاظ في

دورته التاسعة، وهم: الأول: حيدر عبد الله زياد (العراق)، والثاني: إبراهيم عبدالعزيز مصطفى (الأردن)، والثالث: عبدالمحسن محمد نصر (مصر)، وذلك في الخط العربيّ.

وحصل على المركز الأول لجائزة لوحة وقصيدة: ناصر إبراهيم الضبيحي، والمركز الثاني: منيرة صالح الحبسي، والثالث: سكنة حسن علي (السعودية). أما جائزة التصوير الضوئيّ، فحصل على المركز الأول: حسان مبروك العتيبي (السعودية)، والثاني: أحمد عبدالله الشكيلي (عمان)، والثالث: أحمد ذباح الشمري (السعودية)، وحفل السوق بالكثير من الأمسيات الشعرية، والمحاضرات والندوات العلمية، والأعمال المسرحية، والعروض الفنية والتاريخية والتراثية.

وقدَّم فريق العمل خلال مدة انعقاد فعاليات سوق عكاظ ٤ فعاليات يومية بواقع عرض واحد يومياً لمسيرة القوافل، وآخر لفعالية المعلَّقات الشعرية، وعرض ثالث للسوق، إضافة إلى العرض الرابع الذي كان للملحمة التاريخية (نقش من هوازن) بواقع مرتين يومياً؛ ليصبح المجموع الكليّ للأربع فعاليات ٥٠ عرضاً في ١٠ أيام، وذلك بمشاركة نحو ٢٠٠ ممثل، و٥٠ من الفنيين ومهندسي الصوت والإضاءة.

وأظهرت العروض أدقّ تفاصيل الحياة في الجزيرة العربية في العصرين الجاهليّ والإسلاميّ، وألقت الضوء على كثير من المواقف الحيوية في الجزيرة العربية، والأخلاق التي تميَّز بها العرب من غيرهم من شجاعة وفروسية وكرم، وكانت شخصية لبيد بن ربيعة العامريّ أنموذجاً لذلك.

ومن جهة أخرى، فاز سوق عكاظ بلقب أفضل مَعلم سياحيّ عربيّ تراثيّ ثقافيّ في الدورة الخامسة لحفل توزيع جوائز السياحة العربية، الذي ينظمه المركز العربيّ للإعلام السياحيّ، برعاية أحمد بن ناصر المحرزي وزير السياحة العماني، وحضر الحفل الدكتور راشد الغامدي مدير سوق عكاظ، الذي تسلَّم الجائزة، وألقى كلمةً أمام الإعلاميين عن تاريخ سوق عكاظ، ووجّه إليهم الدعوة إلى زيارته، والتعاون المشترك بين السوق والمركز العربيّ للإعلام السياحيّ.

باريس تحتفي بجنون هنري دارغر



خصص متحف الفن المعاصر بباريس معرضاً لواحد من أبرز أعلام الفن الخام في القرن العشرين، هو الأمريكي هنري دارغر، هذا الفنان العصامي كان يفضل الاشتغال في بيته، ولا يخالط الوسط الفنيّ أبداً، واستطاع أن يخلق عالماً فريداً وغريباً، يمزج الخيال المضطرب بالسرد التاريخيّ والثقافة الشعبية الأمريكية؛ ليصوغ أعمالاً فريدةً من نوعها، وفق ما أوردته صحيفة العرب.

وُلد هنري دارغر (١٨٩٢ - ١٩٧٣م) في شيكاغو من أب ألمانيّ مهاجر، وأم فقدها في سن الرابعة، فربّاه أبوه ردحاً من الزمن، ثم عهد إلى مؤسسة كاثوليكية بتربيته، قبل أن يودع الطفل في مصحّة للأمراض العقلية بمدينة لنكولن؛ لاضطراب سلوكه، كما جاء في سيرته الذاتية (قصة حياتي)، وكانت المصحة تضمّ أكثر من ألف شخص يعانون أمراضاً عقليةً مختلفةً، وكانت تضمّ -أيضاً- بعض المنحرفين البسطاء، وشهد الفتى هناك حالاتٍ كثيرةً من سوء المعاملة والتعنيف الذي وصل إلى حدّ التعذيب؛ مما كان له أثر في رؤيته الفنية.

وفي عام ١٩٠٨م تُوفي أبوه، فقرَّر أن يغادر المصحة من دون رجعة، ولم تمضِ سنةٌ حتى تمكّن من الفرار، وقطع مسافة ٢٥٠ كيلو متراً مشياً؛ كي يعود إلى شيكاغو، حيث ظل يمارس أعمالاً هامشية في المستشفيات؛ مثل: غسل الآنية والأدوات، وتنظيف الغرف والأروقة، وفي الأعوام العشرة الأخيرة من عمره لزم غرفته، ولم يكن أحد يعرف كيف كان يقضي أيامه ولياليه إلاّ حين أرادت مؤسسة اجتماعية نقله إلى دار رعاية المسنين قبل وفاته ببضعة أشهر، فاكتشفت صاحبة الغرفة كيوكو ليرنر وزوجها أنه حوّل الغرفة إلى مستودع أشياء ضرورية، وأنه رَكم في سرّية تامة طوال أعوام إقامتِه رصيداً ضخماً من الآثار الفنية الغريبة والعجيبة.

عاش دارغر حياة تجري على وتيرة واحدة؛ حياة عامل بسيط يمارس هوايته في أوقات فراغه بعيداً من الناس والوسط الفنيّ، ولم يكتشف المولعون بالفنّ تجربته إلاّ قبيل وفاته؛ تجربة تتمثل في رصيد هائل من أعمال جنونية لا تناسب ما يوصَم به ذلك العجوز من بساطة تبلغ مبلغ البؤس.



دبي..
أول مدينة رباعية الأبعاد

كشف تحالف إماراتي عالميّ عن توقيعه أكبر عقد في صناعة النماذج ثلاثية الأبعاد للمدن على مستوى العالم، وتتمثل فكرة هذا المشروع في تحويل المدينة إلى أنموذج ثلاثيّ الأبعاد مثل أرض الواقع بنسبة ١٠٠٪؛ يضمّ كلّ ما يمكن أن تراه العين في دبي الحقيقية؛ من مبانٍ وطرق وعلامات مرورية، وأصغر جسم فيها، وإجراء برمجة الأنموذج الثلاثيّ الأبعاد؛ كي يستطيع أيّ مستخدم للهاتف النقال داخل دولة الإمارات وخارجها من التّجوال داخل المدينة، والتواصل، وإتمام المعاملات والخدمات الحكومية أو خدمات القطاع الخاص؛ ليصبح المشروع -بذلك- رباعيّ الأبعاد.

ينصّ العقد على تطوير أنموذج ثلاثي الأبعاد لمدينة دبي بمساحة تغطي ٢٠٠ كم٢، لتكون دبي بذلك أول مدينة في العالم تتحوّل بالكامل إلى منصّة مجانية على شبكة الإنترنت، فيمكن لمن يجلس في أمريكا اللاتينية أو أستراليا التّجْوال في شوارع دبي، وزيارة معالمها، ومعرفة أسلوب الحياة، وطرائق الاستثمار والدراسة، والعمل فيها بوساطة الحاسوب أو الهاتف النقال.

ووفق معلومات قناة العربية، فإن دبي تريد أن تفاجئ العالم بهذا المشروع الخلّاق عندما تنجزه على مراحل ليكتمل في عام ٢٠٢٠م؛ أي: في العام الذي تحتضن فيه معرض (إكسبو العالميّ)، وليس ببعيد من أن تكشف دبي تفاصيل المشروع في معرض (جيتكس ٢٠١٥م)، وربما تستعرضه أمام رؤساء حكومات العالم في القمة الحكومية في فبراير ٢٠١٦م، وهي بذلك تؤكد مقدرتها على أن تصبح الأولى فيما يتعلق بالابتكارات التكنولوجية، واقتصاديات المعرفة والاستدامة.

وفي هذا الصدد، يقول رئيس الشركة الإماراتية (زيروتكنولجين) الدكتور محمد المر: إن الثمار التي ستجنيها دبي من وراء هذا المشروع لا تعدّ، فهي تقدم للعالم الآن ما يجب أن تكون عليه الحياة في المستقبل. ويضيف: إن حاكم دبي محمد بن راشد آل مكتوم يريد حكومة لا تنام، وأن يستطيع أيّ شخص إنجاز معاملته من أي مكان في العالم، وأن تكون دبي المدينة الأذكى في العالم، وهذا ما نجتهد في المساهمة فيه.

ويقول مدير إحدى الشركات الأجنبية في المشروع: ربما لا أستطيع الحديث عن قيمة العقد، لكن يمكنني أن أجزم أن هذا المشروع سوف يغيّر صناعة العوالم الرقمية والافتراضية، وطريقة حياة الناس، وأسلوب إدارة الحكوماتِ المدنَ، نحن بالفعل أمام تاريخ جديد تصنعه دبي، وهذه فرصة نغتنمها بسعادة مع شركائنا؛ لإظهار خبراتنا وتقنياتنا الخاصة في هذا المجال. هذا المدير يتحدث بثقة؛ لأن شركته الوحيدة في العالم القادرة على تطوير أنموذج دقيق الأبعاد، يحاكي الواقع بنسبة ١٠٠٪، ومدعوماً بنظام المعلومات الجغرافية للمدينة.

وإذا تمكنت دبي من تنفيذ هذا المشروع الكبير، فإنها ستُحدث ثورة تقنية بمعنى الكلمة، وستقلب رأساً على عقب صناعة التكنولوجيا، والعوالم الرقمية والافتراضية، وطرائق حماية البيئة، ومفهومات الابتكار، واقتصاد المعرفة وإدارة المدن وإسعاد الناس، وستجبر دبي أنشطة اقتصادية عملاقة وصناعات عالمية ضخمة؛ مثل: تخطيط المدن، والتطوير العمرانيّ، والنقل، والبناء، والتشييد، والصحة، والتعليم، والسياحة، والترفيه، والإعلام؛ على الجلوس جميعاً لتلقّي الدروس، وتعلّم تقنيات المستقبل من هذه المدينة الصغيرة بمساحتها والكبيرة بإمكاناتها.

المشروع الإماراتي تشارك فيه خمس شركات عالمية متخصصة، تقودها الشركة الإماراتية، ويحمل المشروع اسم (دي فور دي) اختصاراً لـDubai ٤ dimensions وقد انطلق منذ عام، وسيمثل المشروع لاحقاً نقطة تحوّل عملاقة في تاريخ الإنجازات البشرية الحديثة على يد دبي.

ويندوز ١٠

يتجسس على مستخدميه

عقب صدور نظام تشغيل مايكروسوفت الجديد ويندوز ١٠؛ أشار كثير من الخبراء إلى أن هذا النظام لديه القليل من عناصر مراعاة الخصوصية، فهو يجمع كل المعلومات المتاحة عن المستخدم، ومن المعلومات التي يجمعها نظام التشغيل الجديد تسجيل المواقع التي يزورها المستخدم، وأماكن وجوده على شبكات الـ GPS، والرسائل النصية، وأيّ تبادل للمعلومات الخاصة بوساطة نظام التشغيل، وأرقام الهواتف المسجّلة في الأجهزة، والملحوظات التي تُسجَّل في قائمة الأعمال الشهرية، وغير ذلك من الأمور الأخرى الكثيرة.

وأفاد الخبراء أن موافقة المستخدمين على وثيقة شروط الخدمة، التي لا يهتم بها الكثيرون فيوافقون عليها من دون قراءتها؛ يَعني موافقتهم على تجسُّس النظام على جميع بياناتهم، وتحكُّم شركة مايكروسوفت في النظام على نحو كامل، وهو أمر ينتهك الخصوصية، ويُعارِض حقوق المستخدمين في السيطرة على النظام على النحو الذي يرضيهم.

وتقول وثيقة شروط الخدمة: تَجمع مايكروسوفت كل المعلومات المتاحة عن المستخدم، وعن الأجهزة الخاصة به والتطبيقات والشبكات التي يستخدمها، ومن ضمن البيانات التي تُجمع: الاسم، وعنوان البريد الإلكترونيّ، والأفضليات، والاهتمامات، والتصفُّح، والبحث، وسجلات المكالمات الهاتفية والرسائل القصيرة، وبيانات الأجهزة.

ما الهدف من ذلك؟ أول شيء يتبادر إلى الذهن هو الإعلانات التي تستهدف المستخدمين، وكذلك تقديم الخدمات غير المرغوب فيها.

وما السبيل إلى منع ذلك؟ ينصح الخبراء بعد تثبيت النظام الجديد مباشرة على الحاسوب الخاص بالمستخدم تعطيل معظم الإعدادات الافتراضية التي لا يرغب فيها المستخدم ولا تقدّم له ميزة إضافية في أثناء أداء عمله، وخطوات تحقيق ذلك ما يأتي:

١- قراءة الشروط والأحكام في وثيقة الخدمة بدقة.

٢- إيقاف بعض الإعدادات الافتراضية في النظام المثبت حديثاً؛ أهمها: إعدادات الخصوصية **Settings - Privacy**.

٣- تعطيل مشاركة الاتصال بالإنترنت بوساطة تقنية (الواي فاي)؛ إذ إن هذه المشاركة تدعو جميع الدخلاء إلى اقتحام خصوصية المستخدمين، ويجري ذلك باتباع الخطوات الآتية: الذهاب إلى Start Menu، ثم تغيير إعدادات الواي فاي **Change Wi-Fi** settings بوساطة التحكم في إعدادات الواي فاي **Manage Wi-Fi setting**، ثم إغلاق جميع النوافذ التي يرغب المستخدم في الحفاظ على خصوصيتها.

٤- نظام التشغيل ويندوز ١٠ يربط جهاز المستخدِم مع خَدَم مايكروسوفت افتراضياً؛ لذلك فإن أشياء مثل تصفُّح الويب، وأسماء شبكات الواي فاي مع كلمات السر والتطبيقات المفضَّلة؛ يحتمل أن تُخزن على أجهزة الشركة إلى الأبد، وهذه البيانات ينبغي تعطيلها بوساطة الوظيفة Settings.

يقوم نظام التشغيل ويندوز ١٠ بعمل بطاقة هوية **ID** فريدة لكل مستخدم على جهاز محدد، ويمكن استخدام هذه الهوية للإعلانات الموجّهة، ويمكن أن ينتهي الأمر بدخول أطراف ثالثة بين المستخدم والشركة، سواء أكان ذلك تطبيقات أم إعلانات للمطورين، سيأتون جميعاً إلى كل جهاز نقال لبيع ما يفكرون فيه مما قد يحتاج المستخدم إليه.

ومن أجل الاحتفاظ بالمزيد من الخصوصية، يجب على المستخدم الذهاب إلى Windows ١٠ Start Menu، وإغلاق كل ما يشعر أنه غير مناسب لاحتياجاته، لكن يظل السؤال مطروحاً، وهو: هل يستجيب النظام بالفعل لأوامر المستخدمين؟





نيويورك تايمز:
العمل في «أمازون» جحيم

تكثر القصص التي تروى عن جيف بيزوس (٥١ عاماً)، المستثمر العنيد والصلب الذي يتمسّك برأيه مهما كانت النتائج؛ في خطاب ألقاه في جامعة برنستون المرموقة في عام ٢٠١٠م، يروي بيزوس أنه أراد يوماً إقناع جدته بالتوقف عن التدخين، لم يطلب منها ذلك بودّ، ولم يستعطفها، إنما واجهها ببعض الحسابات قائلاً: (لقد أضعتِ تسع سنوات من حياتك)؛ فانتابت الجدة نوبة من البكاء.

يثير بيزوس حالياً عاصفة إعلاميّة، ليس بسبب تصنيفه في لائحة جديدة تضمّ أثرياء العالم، ولا بسبب إطلاق خدمة جديدة من أمازون؛ إنما بسبب تقرير طويل نشرته صحيفة نيويورك تايمز الأمريكيّة، بعنوان: (داخل أمازون: صراع الأفكار الكبيرة في بيئة عمل مؤذية)، فنّد فيه الصحافيان ديفيد سترايفلد وجودي كانتور ظروف العمل في شركة خدمات التوصيل والبيع والشراء بوساطة الإنترنت.

التقى الصحافيان أكثر من ١٠٠ شخص من موظّفي أمازون السابقين والحاليين، فجاء التقرير مليئاً بالشهادات والاقتباسات؛ كانت النتيجة صادمة؛ إذ تكشف لقارئ التقرير بيئة عمل قاسية، وصدامية، ومتوحشة، لا مكان للثقة فيها، وكتب موقع سلايت أن ما ورد في التقرير يشبه (دار أيتام ديكنزي)؛ في إشارة إلى الفظائع التي كان يكتب عنها الروائي الإنجليزيّ تشارلز ديكنز في أثناء العصر الفيكتوريّ.

وفق ما جاء في التقرير، فإنّ ما يدور داخل أمازون هو نهر من الخُدَع والمَكايِد، وإذا أردتَ أن تكون أمازونياً حقيقياً، حسب نيويورك تايمز، فعليك تسلّق الجدار، وإن كلّفك ذلك أن تشي بزملائك، أو الاحتيال لتتجاوزهم؛ ففي التقرير يقول بو ويلسون الذي عمل مدة عامين في قطاع الكتب: كان طبيعياً أن تخرج من قاعة الاجتماعات لترى رجلاً كبيراً وناضجاً يغطي وجهه بيديه، فكثيراً ما رأيتُ زملاء لي يبكون وهم جالسون إلى مكاتبهم. هذا ما يثبته أشخاص آخرون قالوا في شهاداتهم: إنه على العاملين في أمازون التخلّي عن حيواتهم الشخصية وعن عائلاتهم التي قد يمرّ أفرادها بظروف صحيّة سيئة؛ الأولوية للعمل على حساب التوازن. هذا هو الأسلوب الصارم والقاسي للعمل في إمبراطورية بيزوس، حسب جون روسمان الذي كتب بعد خروجه من الشركة العملاقة كتابه: (طريقة أمازون).

يقدّم التقرير الذي حظي برواج كبير صورةً حالكة عن حياة العاملِين بالشركة؛ مما أثار موجة تعاطف واسعة معهم في وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة؛ مثل: تويتر. أمّا ردّ جيف بيزوس فكان من خلال بريد إلكترونيّ وجّهه لموظفيه؛ أعرب فيه عن صدمته مما ورد في تقرير نيويورك تايمز من مبالغات وأفكار صادمة، وقال: إنّ ما ورد عن كون موظفيه لا يحظون بالتعاطف في أزماتهم الشخصيّة والصحيّة، لا يمتّ بصلة لأمازون التي أسّسها ويعرفها، وقال: إنّ المادة الصحافيّة لا تصف الأمازونيين الذين يتعامل معهم يومياً، وطلب بيزوس من الموظّفين في رسالته، في حال معرفتهم وجود إحدى الصعوبات الواردة في التقرير، أن يتواصلوا معه بوساطة بريده الإلكترونيّ؛ لإعلامه الأمر. (ومن أسس فلسفة بيزوس في العمل التواصل المباشر مع موظفيه بوساطة المذكّرات والرسائل المكتوبة).

أرفق بيزوس لرسالته رابطاً يتضمن تقرير نيويورك تايمز؛ ليطّلع عليه الموظفون، كما أورد رابط مقال مضادّ بوساطة (لينكد إن) كتبه أحد موظّفي الشركة الحاليين، يفنّد ما ورد في تقرير الصحيفة (القاسي والمتجنّي)، ويبرز القيمة المهنية والأخلاقية في أن تكون أمازونياً، وأضاف بيزوس أن شركته تختار الأفضل من بين الأفضل، وأنّه لا يمكن لشركة تتبع السياسة المذكورة في التقرير أن تنجح،

وإن حدث هذا، فسيكون من الجنون بقاء موظفيها في عملهم. واختتم كلامه بقوله: إنّه يتمنّى لموظفي أمازون الاستمتاع بعملهم مع أفضل زملاء في المجال.

كانت الدعاية المضادّةُ ما ورد في نيويورك تايمز ضخمةً، وخصصت القنوات الأمريكيّة والصحف مساحاتٍ واسعةً، إضافة إلى ردّ بيزوس نفسه؛ لمناقشة ظروف حياة موظّفي أمازون، بعدما هدّد بعض المغرّدين على موقع التواصل الاجتماعي تويتر بمقاطعتها؛ أبرزُ المعلّقين على القضيّة كان الرئيس التنفيذيّ السابق لـتويتر، ديك كوستولو، الذي وصف في تغريدةٍ التقريرَ الصحافيَّ بالخارج عن السياق، والمليء بالمغالاة، على حين علقت السفيرة اللبنانية على تقرير نيويورك تايمز بقولها: إن الصحيفة نجحت في إزعاج بيزوس إلى حدّ كبير، وهو ما يظهر جلياً في حجم التغطيات الإخباريّة المضادّةِ ما ورد في تقريرها.

لوحتان لـ«رامبرانت»

قيمتهما ١٦٠ مليون يورو

أوضح فيم بيجبس، مدير متحف ريكز بالعاصمة الهولندية أمستردام، أن المتحف سيحصل على لوحتين للفنان الهولنديّ رامبرانت من عائلة روتشيلد الفرنسية مقابل مبلغ ١٦٠ مليون يورو.

وترجع اللوحتان إلى عام ١٦٣٤م، وهما للتاجر مارتن سولمانز وزوجته أوبجين كوبيت، وقد رُسمتا بمناسبة زفافهما، واشترى البارون جوستاف دي روتشيلد اللوحتين عام ١٨٧٧م، وظلّتا في فرنسا منذ ذلك الحين.

وقال بيجبس لإذاعة إن. بي.آر: إن اللوحتين تبلغ قيمتهما نحو ١٦٠ مليون يورو؛ أي ما يعادل ١٨٥ مليون دولار، واصفاً الصفقة بأنها «حلم واقعيّ»، وقال: إن المتحف يجري محادثات مع ممولين.

وزار أكثر من مليوني زائر متحف ريكز في عام ٢٠١٤م؛ لرؤية مجموعة الأعمال الفنية التي يضمها، ومن بينها لوحة حارس الليل؛ أشهر أعمال رامبرانت.

اكتشاف مقبرة

«بادي باستت» بالأقصر



اكتشفت البعثة المصرية الأمريكية المشتركة العاملة بمشروع ترميم غرب العساسيف مقبرة بادي باستت، وزير مصر العليا، في عصر الأسرة الـ ٢٦ وكبير مشرفي الزوجة الإلهية.

وأشار ممدوح الدماطي، وزير الآثار المصريّ، إلى أهمية هذا الكشف، الذي يُلقي مزيداً من الضوء على تخطيط مقابر كبار رجال الدولة في هذه الحقبة، لافتاً إلى أنه أُجريت كثير من الدراسات على ألقاب بادي باستت، وتبيّن أنه من ضمن أحفاد باباسا، الذي تقع مقبرته شرق العساسيف وتحمل رقم: TT 279.

وأوضح محمود عفيفي، رئيس قطاع الآثار المصرية، أن هذه المقبرة تقع داخل مقبرة كاراباسكن حاكم طيبة، والكاهن الرابع للإله آمون في عصر الأسرة الـ٢٥، وتشير الدلائل الأولية، إلى أن بادي باستت قد اغتصب المقبرة منه.

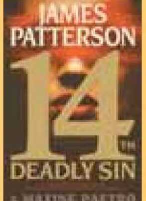
وأضاف عفيفي أن أعمال المسح الأثريّ التي أُجريت مؤخراً بفناء مقبرة كاراباسكن، قد أوضحت كثيراً من التفاصيل المعمارية والنقوش التي صُمّمت خِصّيصَى لبادي باستت، على نحو يناسب مكانته الرفيعة.

وأوضحت إلينا بيشيكوفا، رئيس البعثة، أنه من الراجح أن يكون بادي باستت دُفن في بئر الفناء، أو في غرفة الدفن الرئيسة الموجودة في مقبرة كاراباسكن، مشيرة إلى أنه يجري الآن استكمال أعمال المسح الأثريّ، وتنظيف المقبرة؛ للكشف عن المزيد في مواسم الحفائر في الأعوام المقبلة.

محجوب عباس

أكثر الكتب رواجاً في يوليو وأغسطس ٢٠١٥م

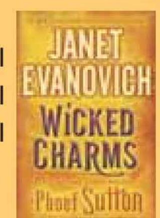
ببلشـرز ويكلي
PUBLISHERS WEEKLY



14th Deadly Sin
James Patterson
Little Brown

الكتاب: الخطيئة الرابعة عشر
المؤلف: جيمس باترسون
الناشر: ليتل براون

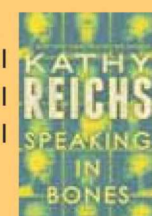
في أروقة القتل النسائية ليس المهم من كان القاتل ولا من قتله.



Wicked Charms
Phoef Sutton
Batnam

الكتاب: تعاويذ شريرة
المؤلف: فوف سوتون
الناشر: باتنام

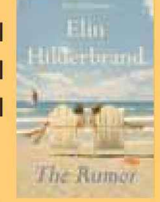
مـا زال هناك من يؤمن بحجر الثراء الذي يهبط على الإنسـان من دون كدّ بوساطة الرقى والتعاويذ.



Speaking in Bones
Cathy Reichs
Batnam

الكتاب: لغة العظام
المؤلف: كاثي ريتشز
الناشر: باتنام

أمثولـة عـن أن علـم الجريمة فرع لعلوم الأناسـة، ومسـرح عريض للخير والشر والفضيلة والرذيلة في جوف واحد.



The Rumor
Elin Hilderbrand
Little Brown

الكتاب: الشائعة
المؤلف: إيلين هيلدربراند
الناشر: ليتل براون

القـوة التدميرية للشـائعة ربما تفوق قـوة الهزات الأرضية، وعلى المسـتوى الاجتماعي فـإن لها ارتدادات أكثر فتكاً من المدرعات الحربية.

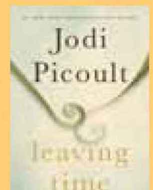
صنداي تايمز
THE SUNDAY TIMES



To Kill a Mockingbird
Harper Lee
Arrow Books

الكتاب: قتل الطير المحاكي
المؤلف: هاربر لي
الناشر: أروبوكس

في أساطير الجنوب الأمريكي يجوز قتل جميع الطيور ما عدا الطيـور المحاكية التي يعد قتلها مـن الخطايا الكبرى. وفي إطـار هـذه الصـورة الكاريكاتوريـة للفضائـل والرذائـل تعالج الرواية قضية التمييز العنصري والاجتماعي.



Leaving Time
Judi Picoult
Hodder

الكتاب: زمن الرحيل
المؤلف: جودي بيكو
الناشر: هودر

تطـرح الروايـة قضيـة الهجـر والرحيـل وقـدرة الحـب علـى امتصاص جميع الصدمات واستئناف مساره من جديد.

The Love Song of Miss Queenie Hennessy
Rachel Joyce
Black Swan

الكتاب: أغنية العاشق كويني هينسي
المؤلف: راشيل جويس
الناشر: بلاك سوان

رواية عن كيفية صنع الحب للمعجزات.

This House of Grief
Helen Garner
Text Classics

الكتاب: بيت الأشجان
المؤلف: هيلين جارنر
الناشر: تكست كلاسيكس

هـذه رواية داخل رواية وما نحكيه فعلاً هو تقنية لاسـتئناف حيواتنا من جديد، لكنه يصير أحياناً وسيلة للانتقام أو لتمديد الأحزان وتعميق أحساسنا بالذنب تجاه الآخرين.

ليبراري جورنال
LIBRARYJOURNAL

Other Voices, Other Rooms
Truman Capote
Dafina

الكتاب: أصوات أخرى، غرف أخرى
المؤلف: ترومان كابوت
الناشر: دافينا

مجموعة من الأصوات المتداخلة والمتنافرة في جوف طفل أثناء متابعة مسيرته الظافرة إلى الرجولة. الرواية الأولى لترومان كابوت عادت للواجهة لارتباطها بمسألة الهوية.

Dawn by Law
Simon Ni Ni
Dafina

الكتاب: السقوط وفق القانون
المؤلف: سيمون ني ني
الناشر: دافينا

رحلة فتاة زنجية من المراهقة الضائعة إلى سن الرشد، واكتشاف عالم الكتابة.

The Swans of Fifth Avenue
Milanie Benjamin
Delacorte

الكتاب: بجعات الجادة الخامسة
المؤلف: ميلاني بنجامين
الناشر: ديلاكورت

نبذة عن حياة النخب الثقافية والسياسية في نيويورك في حقبة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي.

The End of Absence
Michael Harris
Current

الكتاب: نهاية الغياب
المؤلف: مايكل هاريس
الناشر: كرانت

إذا استمرت استخدامات الإنترنت بهذه الوتيرة الحالية، فإن الأجيال القادمة سوف تجهل معظم ما حدث قبل عصر الشبكة العنكبوتية إن لم يكن كله.

نيويورك تايمز
The New York Times

Primates of Park Avenue
Wednesday Martin
Simon and Schuster

الكتاب: ثدييات جادة بارك
المؤلف: وينسداي مارتن
الناشر: سيمون وسكستر

مذكرات عن الحياة مع برجوازية الإيست سايد بنيويورك في قالب أنثربولوجي.

The Mockingbird Next Door
Marja Mills
Penguin Press

الكتاب: جار الطير المحاكي
المؤلف: مارجا ميلز
الناشر: بنجوين

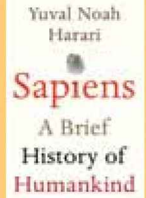
مذكرات مارجا عن تجربة حقيقية عاشتها عندما جاورت هاربر لي في السكن بمدينة مونروفيل بولاية الأباما.



On Writing
Stephen King
Simon and Schuster

الكتاب: في الكتابة
المؤلف: إستيفن كنج
الناشر: سيمون وسكستر

مذكرات كنج في فن الكتابة عامةً معتمداً على تجربته الطويلة بوصفه روائياً وسيناريست وناقداً.



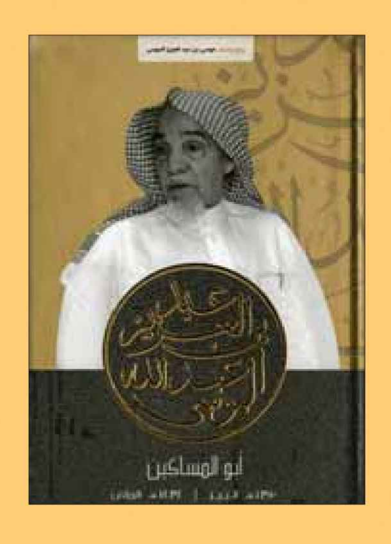
Sapiens
Yuval Nooh Harari
Harper

الكتاب: العاقلون
المؤلف: يوفال نوح هارار ي
الناشر: هاربر

قصة رحلة الإنسان الرائعة والطويلة والدامية إلى أن فاق كل أقرانه.

عروض كتب

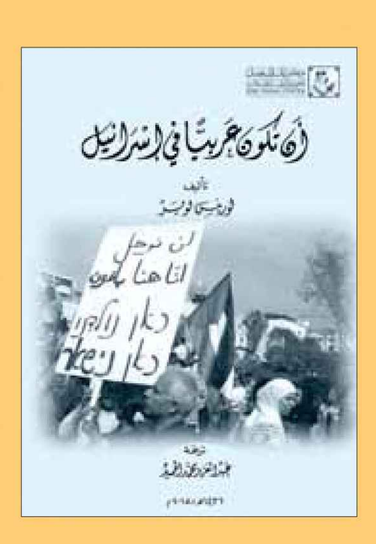
الكتاب: عبدالعزيز بن عبدالله الموسى أبو المساكين
المؤلف: موسى بن عبدالعزيز الموسى
الناشر: المؤلف، الرياض، : ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م



هـذا الكتـاب يرصد جانبـاً من حياة عبدالعزيز الموسـى، والـد المؤلف وأبو المسـاكين كما يقول عنوانـه الفرعي. والكتاب يرصد مراحل حياة هذا الشـيخ الجليل مـن ولادته بالبير إلى أن صار علماً من أعلام الرياض، وشيخاً للأراضي، ومرجعاً في سياسات الإعمار والعقار.
يتألـف الكتـاب مـن مقدمة وتوطئة وعشـرة أبواب، أمتعها بـاب الرحلة إلى الريـاض، وتحوله من عامل إلى معاون، فمقاول. هذا الرجل العصامي كان رأسماله الأول ٩٠٠ ريال فقط، وكادت تضيع لولا عناية الله، ثم حِكمة أحد أقاربه.
كانت هذه الـ ٩٠٠ ريال رأس ماله الأول، كما ذكر المؤلف في التجارة، الذي شمل البيع والشراء وتداول السـلع، ثم تطوَّر عمله نوعياً، فانتقل من بناء بيوت الطين والآجرّ إلى اقتحام عالم البناء المسـلح؛ ليصبح معلماً مرموقاً، وتيسـرت أموره المادية، وأصبح لديه فائض نقديّ، فبنى عمارة في شـارع الخزان في منتصف الثمانينيات الهجرية. وكان من أهم إنجازات سِنِيه الأولى المشاركة في بناء قصر الملك فهد في أثناء توليه منصب وزير الداخلية. وظل الرجل يتقدّم في مجال بيع العقارات وشرائها إلى أن نبغ فيه، وأصبح قامة سامقة مرتكزة في سجاياه الأصيلة، وملامح شخصيته العقارية التي بناها بكده وعرقه وحسن قراءته الناس والزمن والواقع العقاري في مدينة الرياض.
ويضم الكتاب شـهادات متنوعة عن الموسـى الإنسـان، والمحسـن، ورجل البرّ، وشـيخ الأراضي، وهي شـهادات من ثقاة: من كبار الأمراء، ورجال الدولة، والشـيوخ، وزملاء المهنة، لعل أميزها شهادة المغفور له بإذن الله الملك فهد بن عبدالعزيز؛ إذ يقول: «لو كان عندي رجال من أمثال الشيخ عبدالعزيز ما كنت في حاجة إلى المحاكم مطلقاً».
لا شـك أن الشـيخ عبدالعزيـز جسَّـد نموذجـاً مرموقاً للعمـل والعطـاء، ويجدر بالأجيـال الجديدة وشـباب اليوم أن يتعرّفوا سـيرته ومسـيرته، وأن يقتدوا بتجربته، ووجوه فضله، وأن يسـتضيئوا بأنـوار كفاحـه ونضالـه التي صنعـت منه واحـداً من الأسـماء البارزة علـى الأصعـدة الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية عامة.

• • •

الكتاب: أن تكون عربياً في إسرائيل
المؤلف: لورينس لوير
ترجمة: عبدالعزيز محمد الحميد
الناشـر: مركـز الملـك فيصـل للبحـوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٣٦هـ



يضم الكتاب مقدمتين: إحداهما للمترجم، والأخرى لجيل كيبيل، ويشتمل الكتاب على ثلاثة فصول كاملة، تتفرَّع إلى أقسام وصفية أحياناً وتحليلية في وجهتها العامة. وتنهي الكاتبة أطروحتها باسـتنتاج رئيس مضمونه: التشـكيك في المشـروع الإسرائيلي السـاعي لإلغاء الهوية العربية الفلسطينية من خلال تأكيد الهُويَّة اليهودية لدولة إسرائيل.
يبدأ الكتاب بإثبات حقيقة يتجاهلها اليهود اليوم وهي أن مؤسسـي دولة إسـرائيل أخفقوا في رسم خطوط فاصلة بين الدولة اليهودية والديانة اليهودية، ومع أن العرب يشكلون اليوم -على سبيل التمثيل- ٢٠٪ من سكان الدولة، فإنهم لا يتمتّعون بحقوق المواطنة الكاملة مقارنة بالأقليات الأخرى الدرزية والبدوية واليهود ذوي الأصول غير الأوربية. وعلى حين تدعو كثير من القوى داخل إسرائيل إلى بناء مجتمع متعدِّد الثقافات، فإن هناك من يسعى للدمج الكامل للعرب الإسرائيليين من خلال إلغاء جميع أشكال التمييز. وهناك قوى مؤثرة أخرى تدعو إلى التهجير القسري للعرب، ويـرى بعض آخر منح حوافز للعرب مقابل مغادرتهم البلاد. وأحياناً تطرح فكرة تخصيص مثلث صغير للعرب بالقرب من نهر الأردن يكون تابعاً السلطة الفلسطينية الحالية أو في المستقبل. وتثار دائماً في الكنيست مسألة تُعرَف بالتهجير البرلمانيّ، وهو إجراء يهدف إلى حرمان العرب وممثليهم حقَّ التصويت البرلمانيّ على قرارات مهمّة وجوهرية تمسّ طبيعة الدولة اليهودية.
مـن ثوابت الحياة داخل إسـرائيل الحالية وجـود مجتمع عربي واضح الملامح ومسـتخدم الهُويَّة الفلسـطينية في معاركه اليومية الاقتصادية والسياسـية والثقافية. وكل القوى الثانوية في إسـرائيل -والعرب منهـا- تزداد قوةً ودوراً مؤثـراً وفاعلاً في ميزان الصـراع الداخلي. إضافة إلى تنامـي التطـوّر الطائفـيّ اليهـوديّ في مقابـل التعبئة الإسـلامية على أيدي قيـادات جديدة وشـابة. ويجمـل الكتـاب القـول عـن الوضع العربـيّ داخل إسـرائيل بأنـه يتميز عموماً من غيره بضعف النفوذ السياسـيّ العربيّ المستقلّ، وأن هذا الوضع المتمثل في عدم التمكين سيكون لـه عواقـب وخيمـة تؤدي إلى خيـارات أكثر تشـدداً، وربما تـؤدي إلى اللجوء إلـى العنف. ومن

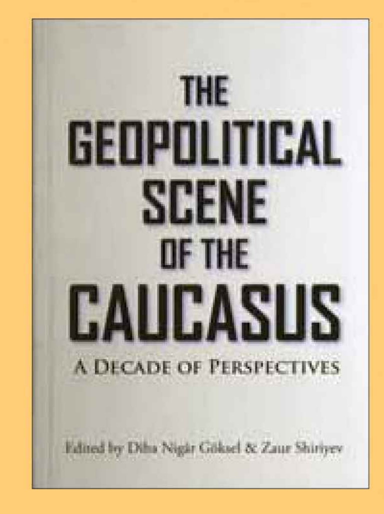
الظواهر اللافتة تدنّي معدّل المشاركة العربية في انتخابات أعوام ٢٠٠١، و٢٠٠٣، و٢٠٠٦م، وهو مؤشّر على فقدان الديمقراطية الإسرائيلية كثيراً من مصداقيتها لدى السكان العرب؛ إضافة إلى تزايد شعبية الجناح المتشدّد في الحركة الإسلامية بقيادة رائد صلاح.

وترى المؤلفة أن التهديد الأكبر لا يتمثل في عملية (الفِلَسْطَنة) وحدها، إنما هو نتيجة إخفاق النظام السياسيّ الإسرائيليّ، خصوصاً حزب العمل، في تحقيق شراكة حقيقية مع العرب. وتختم المؤلفة كتابها قائلةً:

ينبغي ألّا ينظر إلى موقف حزب العمل على أنه ظاهرة معزولة؛ إذ إنه في الواقع يعكس بوضوح اتجاهاً أعمّ وأكثر شمولية داخل المجتمع الإسرائيلي اليهودي كله؛ الأمر الذي تجلّى بوضوح من خلال عدم الرغبة في التخلي عن المشروع الصهيونيّ الذي صاغه من قبلُ الآباء المؤسّسون. وهذا مؤشر على قوة مقاومة اليهود وصلابتهم تجاه المتغيرات داخل مجتمعهم، ومن ثَمَّ اتساع الهُوَّة التي لا تزال تفصل بينهم ومواطنيهم العرب.

• • •

الكتاب: المشهد السياسي في القوقاز
المؤلفان: ديبا نجار وزور شريف
الناشر: مركز الدراسات الإستراتيجية «سام»، باكو، ٢٠١٣م



يعد هذا الكتاب واحداً من عدة مطبوعات صادرة عن مركز الدراسات الإستراتيجية في باكو حول مسألة ناغورنو كاراباخ بكل جوانبها الجيوسياسية والقانونية، ووقائع الصراع السلمي والعنيف حولها، وتداخل مصالح أطرافها في أذربيجان وأرمينيا وجورجيا مع الروابط التاريخية قديمها وحديثها مع إيران وروسيا وتركيا وسائر الدول العظمى.

والكتاب يتألف من مجموعة من المساهمات مصنفة إلى ثلاثة أقسام رئيسة، تعالج كل منها جوانب من المسألة من منظور محدد، ويضم كل قسم عدة مقالات نُشرت في مجلة السياسة التركية TPQ الربع سنوية أو في مجلة القوقاز الدولية CI.

القسم الأول من الكتاب يحوي ١٠ مقالات لكتّاب أتراك وأذربيّين وأمريكيّين وجورجيّين وأرمن وروس وسواهم تحت عنوان: موقف الأطراف الإقليمية والدولية تجاه القوقاز. يركز هذا القسم في دور تركيا تجاه هذا الإقليم خاصة بعد انضمامها للاتحاد الأوربيّ، وفي ضوء العلاقات التركية الأمريكية المتميزة طوال العقود الماضية، ودور تركيا بوصفها عضواً في حلف الأطلنطي. ويخصص هذا القسم جزءاً كبيراً لعلاقات جنوب القوقاز بعد الاستقلال عن الاتحاد السوفييتي مع كل من روسيا، وإيران، وجورجيا، وتركيا، والمصالح الأذربية الأمريكية المشتركة بعد ٢٠ عاماً من استقلال أذربيجان وعلامات القوة والضعف في سياسات الاتحاد الأوربي ومواقفه تجاه أذربيجان، وينتهي هذا القسم بعرض عميق لحرب الخمسة أيام مع روسيا، وما يمكن أن يترتب عليها من تأسيس علاقات صداقة أو عداء أو اتخاذ مواقف براجماتية تقف على مسافة واحدة من النقيضين.

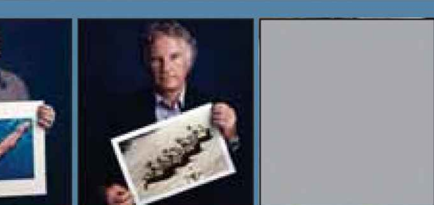
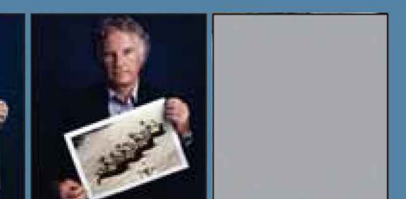
القسم الثاني من الكتاب يعالج موضوع التكامل الإقليمي، وحل النزاعات في جنوب القوقاز، وتحمل المقالات في هذا القسم العناوين الآتية: وسط آسيا، القوقاز وتصادم المصالح الاقتصادية والأمنية، آفاق التعاون والتكامل الإقليمي في القوقاز، السياسة الخارجية لأذربيجان، القضية الأرمنية في أروقة السياسة الأمريكية، تركيا وأرمينيا، قضية ناغورنو كاراباخ بعد الحرب الروسية الجورجية، ويرى المقال الأخير في هذا القسم أن السلام في جنوب القوقاز رهن بتسوية تاريخية بين الأتراك والأرمن إلى أن يتعافى الجميع من تبعات الماضي وذيوله والتوجه كلياً إلى بناء المستقبل.

القسم الأخير من الكتاب يتناول ٧ مقالات عن التكامل الاقتصادي، والتنمية، وسياسات الطاقة في هذا الإقليم، وتتميز عناوين المقالات بالوضوح على النحو الآتي:

- أنماط السياسة الأذربية النفطية من منظور عالمي.
- غاز أذربيجان من منظور أمني أوربي.
- أثر التقارب الروسي - التركي على أوضاع جنوب القوقاز.
- طريق الحرير الجديد: سكك حديد باكو - تبليسي - كارس.
- أرمينيا وبوادر الأزمة.
- أذربيجان والأزمة الاقتصادية العالمية.

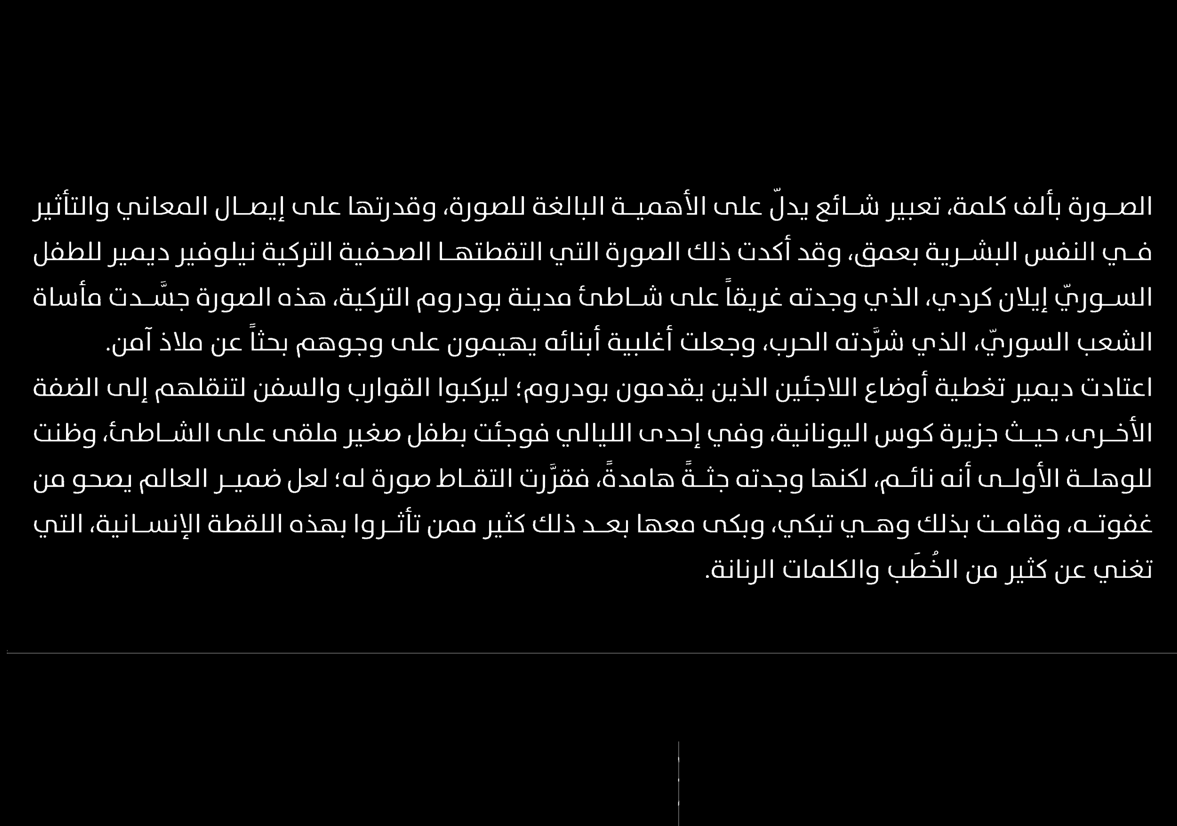

JANDARMA
OLAY YERİ
İNCELEME



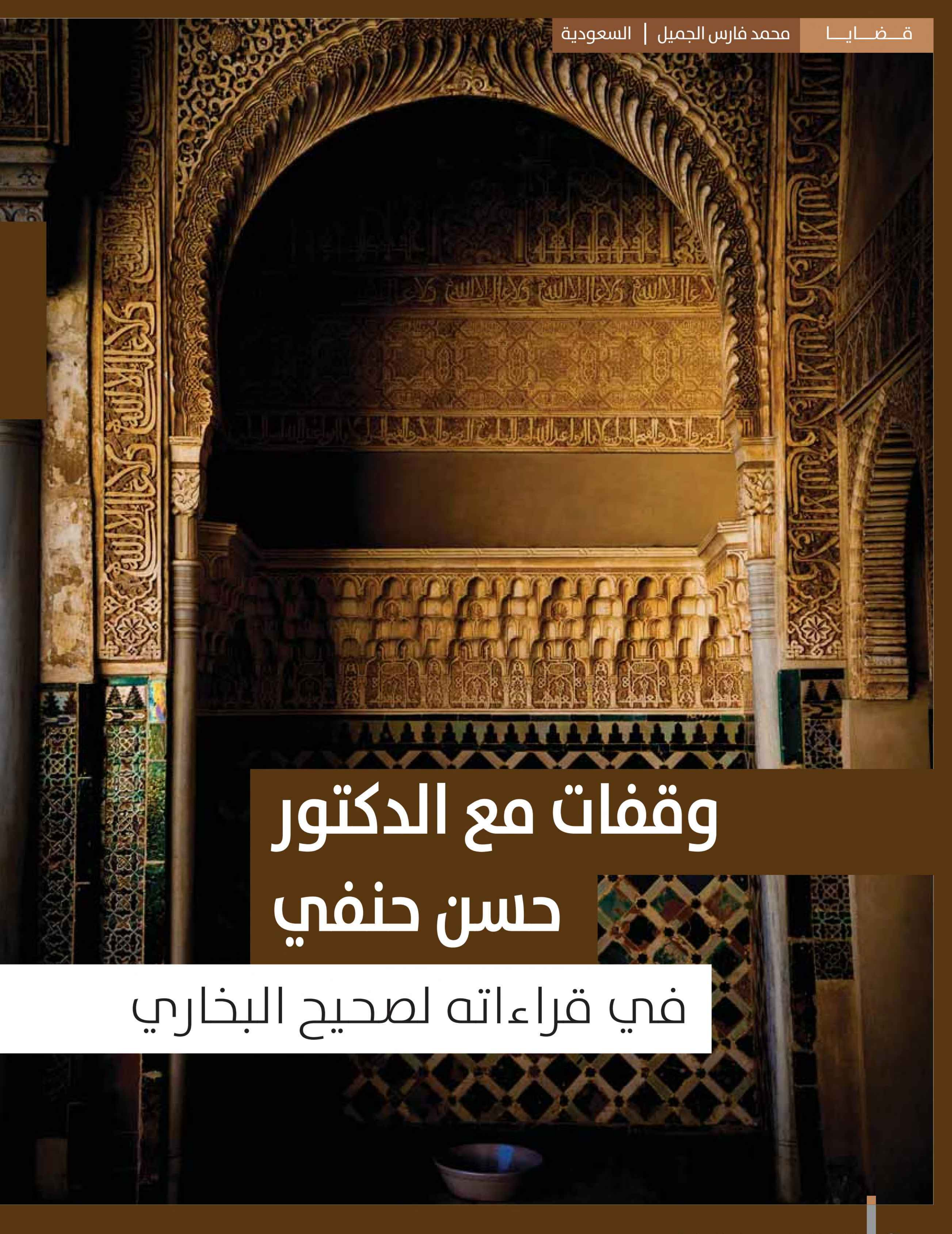
الصـورة بألف كلمة، تعبير شـائع يدلّ على الأهميـة البالغة للصورة، وقدرتها على إيصـال المعاني والتأثير فـي النفس البشـرية بعمق، وقد أكدت ذلك الصورة التي التقطتهـا الصحفية التركية نيلوفير ديمير للطفل السـوريّ إيلان كردي، الذي وجدته غريقاً على شـاطئ مدينة بودروم التركية، هذه الصورة جسَّـدت مأساة الشعب السوريّ، الذي شرَّدته الحرب، وجعلت أغلبية أبنائه يهيمون على وجوههم بحثاً عن ملاذ آمن.

اعتادت ديمير تغطية أوضاع اللاجئين الذين يقدمون بودروم؛ ليركبوا القوارب والسفن لتنقلهم إلى الضفة الأخـرى، حيـث جزيرة كوس اليونانية، وفي إحدى الليالي فوجئت بطفل صغير ملقى على الشـاطئ، وظنت للوهلـة الأولـى أنه نائـم، لكنها وجدته جثـةً هامدةً، فقرَّرت التقـاط صورة له؛ لعل ضميـر العالم يصحو من غفوتـه، وقامـت بذلك وهـي تبكي، وبكى معها بعـد ذلك كثير ممن تأثـروا بهذه اللقطة الإنسـانية، التي تغني عن كثير من الخُطَب والكلمات الرنانة.





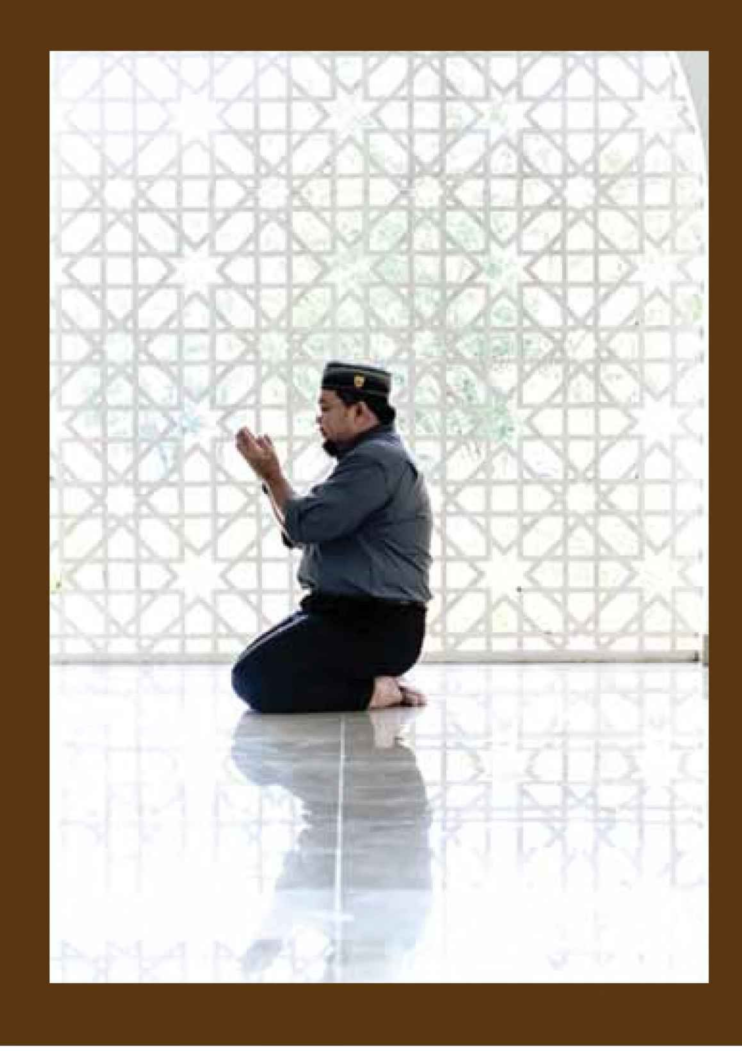
نيلوفير ديمير



وقفات مع الدكتور حسن حنفي

في قراءاته لصحيح البخاري

ألَّف الدكتور حسن حنفي كتاب (علوم الحديث: من نقد السند إلى نقد المتن) مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٣م، ويحتوي الكتاب على مقدمة، وبابين يتضمنان عدة فصول. أما المقدمة فهي تشمل نقد مصادر الحديث، ويستعرض المؤلف فيها جملة صالحة من مصادر الحديث النبوي الشريف ومراجعه؛ مثل: كتب الصحاح، والسنن، والمسانيد، وعلوم الحديث وشروحها، وفي الأغلب يذيل دراسته لكل كتاب بوجهة نظره العِلمية سلباً أو إيجاباً، وقد وُفِّق في ذلك إلى حد كبير.



يشتمل الباب الأول على ثلاثة فصول، يتناول الفصل الأول نَقْد السند، وهو دراسة تحليلية تنصب في مجملها على دراسة مصطلح الحديث ونقده. ويتناول الفصل الثاني تحليل المتن، ولا يتعرض الباحث فيه لمتون الأحاديث كما يوحي به العنوان، إنما يستعرض أنواع الحديث؛ مثل: الصحيح، والمتواتر، والحسن، والضعيف، والمدمج، والمعضل، ثم يستعرض كتب غريب الحديث. ويتناول الفصل الثالث الجرح والتعديل، والكتب المؤلَّفة فيه، إضافةً إلى الشروط الواجب توافرها في راوي الحديث، وطُرق التحمُّل وآدابه.

أما الباب الثاني فيتناول نقد المتن. ويشتمل على ثلاثة فصول؛ يتناول المؤلف في الفصل الأول موضوع الأشكال الأدبية التي يرد فيها الحديث؛ مثل: الآيات القرآنية والشعر واللغة. ويتناول في الفصل الثاني موضوع نقد المضمون العقلي الذي يتعلق عند المؤلف بمدى اتفاق معنى الحديث مع العقل. ويتناول الفصل الثالث نقد المضمون الواقعي، ومدى تطابق مضمون الحديث مع الواقع الإنساني.

وقبل استعراض الملحوظات أو الوقفات في قراءة الدكتور حنفي صحيح البخاري، فإنه من المناسب عرض رأي الدكتور حنفي الغريب في صحيح البخاري؛ إذ يقول: «وهو أول الإصحاحات الخمس أو الست (كذا) وأصحها عند الخاصة والعامة، وأكثرها تقديراً؛ يُقسمُ به، ويُتبركُ، ويُتهادى، ويحفظ في المكتبات والمنازل، ويوضع على الموائد في القصور كوثن أو تمثال؛ في حين أنه أكثرها إيغالاً في الغيبيات والإسرائيليات والخرافات والثقافات الشعبية»!!!

الدكتور حنفي ينكر قيمة الدعاء أو أثره سلباً أو إيجاباً، وينسى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ والآيات الواردة في الحثّ على الدعاء وفضله كثيرة، ويحسن بالدكتور حنفي الرجوع إليها في القرآن الكريم وفي مصادر السُّنة الشريفة

وتتلخص الملحوظات أو الوقفات مع الدكتور حسن حنفي في قراءاته صحيح البخاري في ثلاثين وقفة، وهي:

الوقفة الأولى: ما جاء في صِفَة الجَنَّة

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص٦٦٢-٦٦٣ (ح: ٣٢٤٥): «أَمْشاطُهم من الذهَب والفِضة، ومَجامرُهم الألوَّة، ورشْحُهُمُ المِسكُ».

قال الدكتور حنفي معقباً: «والذهب والفضة قيمتان دنيويتان مع أنهما محرَّمان شرعاً؛ لأنهما يرمزان إلى نعومة النساء، وليس إلى خشونة الرجال. رشحهم المسك: مع أن الرشح عيب وعلامة على البرد» ص٤٢٧.

- وأقول: يعتقد الدكتور حنفي أن الفضة محرَّمة على الرجال وهذا غير صحيح؛ فقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم من فضة. والرشح المشار إليه في الحديث هو العرق: فعرق أهل الجنة مسكٌ، وليس كما ظن الدكتور حنفي أنه من أعراض البرد. ص٤٢١.

الوقفة الثانية: ما جاء في التكبير والتسبيح عند المنام

ورد عند البخاري ص: ١٣٣٨ (ح: ٦٣١٨) حديث أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهبت لأبيها تطلب منه خادماً يكفيها مشقة العمل، فلم تجده. ثم إن رسول صلى الله عليه وسلم ذهب إلى ابنته وهي وعليّ زوجُها في فراشهما، فقال لهما: «ألا أدلُّكما على ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما، أو أخذتما مضاجعكما، فكبِّرا أربعاً وثلاثين، وسبِّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم».

- قال الدكتور حنفي: «ولماذا هذا العدّ التنازلي بواحدة؟ (أي: ٣٤، ٣٣، ٣٣) وإذا كان هو أمراً نفسياً، لا يشعران بالإرهاق من أعباء المنزل، فمن الذي سيقوم بها؟ من الذي سيقوم بأعباء المنزل؛ التنظيف والطهي والترتيب؟ يُخشى أن ينتهي ذلك إلى الشعوذة، وأن يمارس في المواقف الخطرة مثل مواجهة العدو في القتال». ص٤٧٥.

- وأقول: لم يبيِّن الدكتور حنفي لنا العلاقة بين اشتغال النفس بذكر الله وتمجيده، وممارسة الشعوذة في المواقف الخطرة؟ أما حثُّهما على الدعاء فهو توجيههما إلى الحرص على أعمال الآخرة، والبُعد عن الترف بطلب خادمة.

الوقفة الثالثة: ما جاء في رُقية العين

ورد عند البخاري، ص١٢٣٢ (ح: ٥٧٣٨) قول عائشة رضي الله عنها: «أمرني النبي صلى الله عليه وسلم، أو أمر أن يُسترقى من العين». وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «العين حق»، ونهى عن الوَشْم.

- يقول الدكتور حنفي: «ويأمر حديث آخر بالاسترقاء من النظرة، فالعين حق، ولا تعالج بالوشم. وكيف تكون العين حقاً وفي نفس الوقت ينهى عن الوشم؟!». ص٤٧٦.



يعتقد الدكتور حنفي أن الفضة محرَّمة على الرجال وهذا غير صحيح؛ فقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم من فضة

- وأقول: في الواقع إن هذين الحديثين لا رابط بينهما؛ فكل حديث مستقل بذاته. أما حديث أبي هريرة، فلم تظهر المناسبة بين جملتيه، فكأنهما حديثان مستقلان. انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني (ح: ٥٧٤٠). أما حديث عائشة فلا إشكال فيه.

الوقفة الرابعة: تحنيك المولود

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص٨٠٣ (ح: ٣٩١٠)؛ عن عائشة، قالت: أول مولود ولد في الإسلام -أي بعد وصول المهاجرين إلى المدينة- عبدالله بن الزبير، أتوا به النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخذ تمرةً، فلاكَها، ثم أدخلها في فيه، فأول ما دخل بطنه ريق النبي صلى الله عليه وسلم.

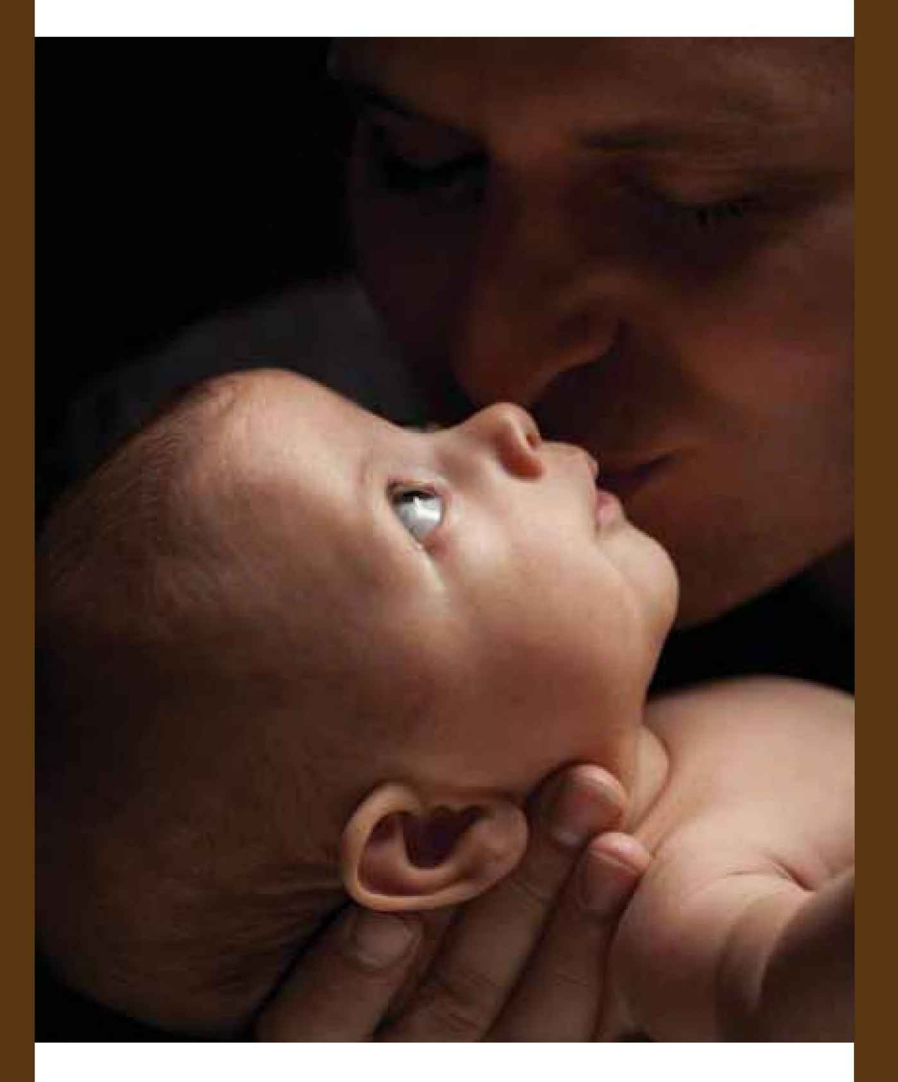
- قال الدكتور حنفي: «والطفل لا يأكل شيء (كذا) في هذا (كذا) السن،

حسن حنفي في سطور

ولد الدكتور حسن حنفي عام ١٩٣٥م. وحاز درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون برسالتين للدكتوراه، قام بترجمتهما إلى العربية، ونشرهما عام ٢٠٠٦م تحت عنوان: (تأويل الظاهريات) و(ظاهريات التأويل)، وقضى في إعدادهما في السوربون عشر سنوات.

عمل مستشاراً علمياً في جامعة الأمم المتحدة بطوكيو خلال المدة (١٩٨٥- ١٩٨٧م). وهو نائب رئيس الجمعية الفلسفية العربية، والسكرتير العام للجمعية الفلسفية المصرية، ومارس التدريس في عدد من الجامعات العربية، ورأس قسم الفلسفة في جامعة القاهرة. وهو أحد منظّري تيار اليسار الإسلامي، وتيار علم الاستغراب، وأحد المفكرين العرب المعاصرين من أصحاب المشروعات الفكرية العربية.

وكان ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين في المرحلتين الثانوية والجامعية، وكان زميلاً للمرشد السابق مهدي عاكف في شعبة باب الشعرية، لكنه تحوَّل فكرياً. من تلاميذه المفكر المصري الراحل نصر الدين حامد أبو زيد. ومن إنتاجه الفكري: سلسلة موقفنا من التراث القديم، والتراث والتجديد (٤ مجلدات)، ومن العقيدة إلى الثورة، وحوار الأجيال، ومن النقل إلى الإبداع (٩ مجلدات)، وموسوعة الحضارة العربية الإسلامية، وغيرها.





د. حسن حنفي

وقابل للعدوى من فم الكبار. والسياق سحر المسلمين في مقابل سحر اليهود، ومستوى ثقافي في مستوى ثقافي مشابه». ص(٤٧٧-٤٧٨).

- وأقول: إن ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم أطهر من كل شيء. والتحنيك من سُنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا مجال لاحتمال العدوى من ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وليت الدكتور حنفي بيَّن للقارئ ما المقصود بسحر المسلمين مقابل سحر اليهود. وهل ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شيء من السحر؟!

الوقفة الخامسة: أمر سُراقة وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص٨٠٣ (ح: ٣٩١١)؛ قال: فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم، فقال: يا رسول الله، هذا فارس قد لحق بنا. فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اللهم اصرَعْهُ»، فصرعه الفرس، ثم قامت تحمحم، فقال (أي سُراقة): يا نبي الله، مُرني بما شئت، فقال: «فقف مكانك، لا تتركن أحداً يلحق بنا». قال: فكان أول النهار جاهداً على نبي الله صلى الله عليه وسلم، وكان آخر النهار مَسْلَحَةً له.



هـل وجـد الدكتـور حنفـي فـي القـرآن الكريـم أو السـيرة النبوية ما ينبئ عن علاقـة فاطمة بجبريل والوحـي؟ وهـو العالم الـذي ألّف في علـوم القـرآن وعلوم الحديث وعلوم السيرة!!

– قال الدكتور حنفي: «والرسول قادر على أن يدعو على فارس لحق به بالهلاك فيقع من على فرسه فيهلك. وهو ما يعادل في وسائل القتال القديمة إطلاق النبال والسهام، وما يقال في وسائل القتال الحديثة، إطلاق الرصاص والصواريخ؛ فالدعاء لا يقتل عن بُعد وإلا لدعا الفلسطينيون والعرب والمسلمون على إسرائيل بالهلاك». ص٤٧٧.

– وأقول: يظهر بوضوح أن الدكتور حنفي ينكر قيمة الدعاء أو أثره سلباً أو إيجاباً، وينسى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠) وقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاه وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (النمل:٦٢) والآيات الواردة في الحثّ على الدعاء وفضله كثيرة، ويحسن بالدكتور حنفي الرجوع إليها في القرآن الكريم وفي مصادر السُّنة الشريفة. وإن الفارس سُراقة، الذي قال عنه الدكتور حنفي: إنه هلك بسبب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لم يهلك في الواقع؛ بل صار مدافعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويُضلل كل من قابله من المشركين باحثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كم كنت أتمنى لو أن الدكتور حنفي كان أميناً في نقله، ودقيقاً في فهمه.

الوقفة السادسة: وَضُوء النبيِّ صلى الله عليه وسلم علاجٌ للمريض

ورد هذا الحديث عند البخاري ص٤٦ (ح: ١٩٠)؛ «عن السائب بن يزيد، قال: ذهبت بي خالتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، إن ابن أُختي وقع (وجع؟)، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضَّأ، فشربت من وَضوئه. ثم قمت خلف ظهره، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زرّ الحجلة».

– قال الدكتور حنفي: «هذا خيال محض. فالنبوة ليس لها خاتم يُرى، وأين يوضع؟ وفي أي إصبع؟ وأين بين الكتفين؟! ولماذا يراه غير نبيّ؟ وكيف يشرب إنسان من وضوء آخر واستنشاقه وتمخّطه، حتى ولو كان نبياً». ص٤٧٨.

– وأقول: إنني أتعجب كثيراً من عالم كبير مسلم مثل الدكتور حنفي الذي صرف اهتمامه وجهده مؤخراً إلى دراسة السيرة النبوية والحديث النبوي الشريف، ولا يعرف شيئاً عن خاتم النبوة!! ويظن أنه من الخواتم التي توضع في أصابع اليد!! ويتساءل في أي الأصابع يوضع؟ أما أن يشرب الإنسان من وضوء آخر وما فيه من تمخّط واستنثار، فلم يقل به أحد؛ إذ إن الواضح من الحديث أن السائب شرب من فضل وَضوء النبي صلى الله عليه وسلم، وفضل الوَضوء؛ أي: بقيته، ليس مخاطاً، ولا أثر للاستنثار فيه.

لم يُميِّز الدكتور حنفي بين الأَكْمَه؛ أي: الأعمى خِلقةً، والكَمْأة وهي من نبات الأرض، مثلها مثل (المشـروم) وغيره. ألم يكن لدى الدكتور حنفي فُسحة من الوقت للبحث في معاجم اللغة

الوقفة السابعة: بَوْل الصِّبيان

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص٥١ (ح: ٢٢٣)؛ «عن أم قيس بنت محصن، أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم بابنٍ لها صغير لم يأكل الطعام، فأجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره، فبال على ثوبه، فدعا بماء فنضحه ولم يغسله».

– قال الدكتور حنفي: «... بال الرسول على الطعام، ورش بماء، ودعا عليه حتى يأكلَ الطفل المريض الطعام. فكيف يصح المريض بالبول حتى ولو كان بول نبي؟ البول بول، والدواء دواء، والنفس تعاف الطعام المرشوش بالبول». ص٤٧٨.

– وأقول: إن من أبسط القواعد التي تقوم عليها الفلسفة هو إعمال مبدأ الفهم الصحيح والدكتور حنفي من أعلام الفلسفة؛ والنص واضح ليس في الرواية المذكورة ما يشك فيه. كيف تجاسر الدكتور حنفي على اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بالبول على الطعام؟! إنني أدعو الدكتور حنفي إلى قراءة نصّ الحديث مرة أخرى، وسيجد أنه كان مخطئاً في قراءته، ومفترياً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى البخاري الذي نقل لنا الحديث. والقراءة واضحة وضوح الشمس؛ إذ إن الطفل الجالس في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم بال على ثوب النبي، فجاؤوا له بماء، فنضح البول، ولم يغسله.

الوقفة الثامنة: التَّلْبِينة للمريض

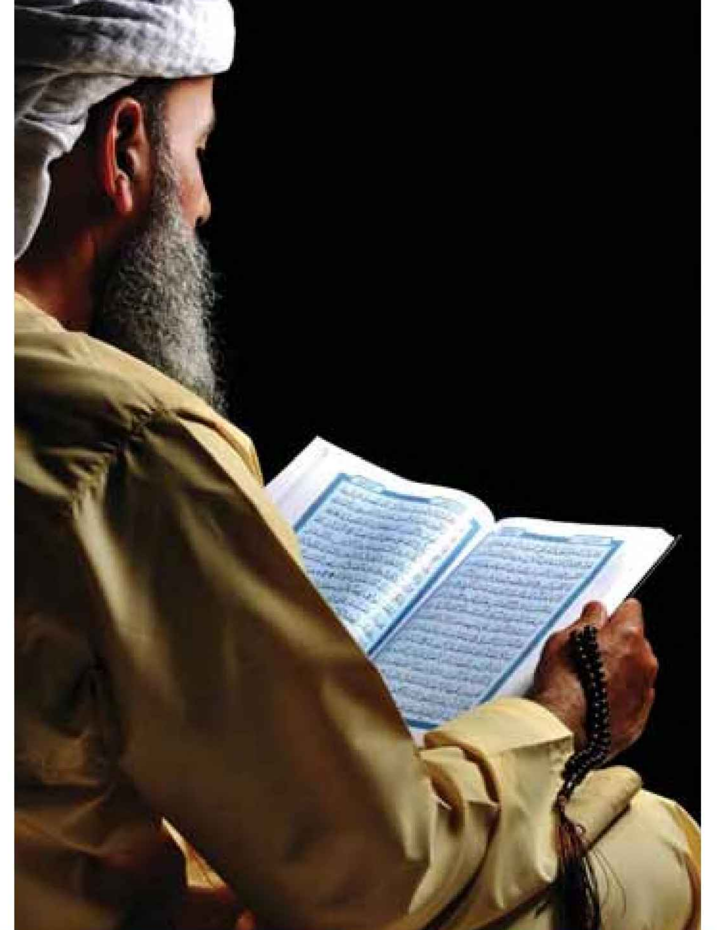
ورد هذا الحديث عند البخاري، ص١٢٢٤ (ح: ٥٦٨٩)؛ «عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، أنها كانت تأمر بالتلبينة للمريض وللمحزون على

ما هدف هذه القراءة المشوهة؟

بِناءً على ما سبق؛ يحقُّ للقارئ أن يتساءل عن هدف الدكتور حنفي وغايته من تقديم هذه القراءة المشوَّهة، والتعليقات الفاسدة والمشبوهة؛ هل يهدف من وراء ذلك إلى تشويه السُّنَّة النبوية في أصدق مصادرها وأدقّها وهو صحيح البخاري؛ أم يريد التشكيك في مصداقية الإمام البخاري إمام المحدثين؟!

في ضوء ما تقدَّم، فإن الحاجة ماسَّة إلى أن يقوم الغيورون من أهل الحديث والسيرة النبوية بإعادة قراءة هذا الكتاب قراءةً موضوعيةً دقيقةً؛ لِبَيانِ عَوَاره، وما يكتنفه من شُبهات. وفي الوقت نفسه، مراجعة ما كتبه عن القرآن الكريم والسيرة النبوية، والحضارة الإسلامية؛ خشية أن يكون فيها من المزالق والسَّقطات مثل تلك التي عُرض بعضُها في هذه الوقفات.

■ التلبينة هي حساءٌ يُعملُ من دقيق أو نخالة، ويُجعلُ فيها عسل. ومن الغريب حقاً أن الدكتور حنفي لا يفرق بين الحساء؛ أي: (الشوربة)، واللزقة واللبخة!



الهالك، وكانت تقول: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن التلبينة تُجِمُّ فؤادَ المريض، وتُذهب بعضَ الحُزْن».

– قال الدكتور حنفي: «التلبين للمريض يعرفه الطب الشعبي، وهو أشبه ما يُعرفُ بـ(اللبخة) أو اللزقة، يُعالجُ الأمراض البدنية والنفسية». ص٤٧٨.

– وأقول: أولاً– إن التلبينة؛ هي حساءٌ يُعملُ من دقيق أو نخالة، ويُجعلُ فيها عسل. ومن الغريب حقاً أن الدكتور حنفي لا يفرق بين الحساء؛ أي: (الشوربة)، واللزقة واللبخة! ثانياً– كيف تعالج اللزقة أو اللبخة الأمراض النفسية؟!

الوقفة التاسعة: التشمير للثياب

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص١٢٤١ (ح: ٥٧٨٦)؛ «عن أبي جُحيفة، قال: ... فرأيت بلالاً جاء بعَنَزَة فركزها، ثمَّ أقام الصلاة، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في حُلة مشمراً، فصلى ركعتين إلى العَنَزَة، ورأيت الناس يمرون بين يديه من وراء العَنَزَة».

– قال الدكتور حنفي: « ... وتشعر الحيوانات بمعجزات الرسول، فبعد أن ركز بلال عنزة (أي عَنْز) ليقيم الصلاة، صلَّى الرسول ركعتين إلى العَنْزة والدوابُّ يمرون بين يديه من وراء العَنْزة. وهو إخراج مسرحي جميل!



ريـق رسـول الله صلى الله عليه وسـلم أطهر من كل شيء. والتحنيك من سُـنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا مجال لاحتمال العدوى من ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم

فبلال يرى أن مرور العنزة بين يدي الرسول أثناء الصلاة لا يجوز مستعملاً بعض العنف بركزها. وصلى الرسول والحيوانات تمر أمامها بقيادة العنزة. ففي تاريخ الأديان تألف الحيوانات الرسول وتصدقه قبل أن يؤمن به الإنسان، تعبيراً عن طبيعة الحيوان وجحود الإنسان». ص(٤٧٩-٤٨٠).

– وأقول: إن مما يدعو للحيرة والتساؤل أن الدكتور حنفي الذي صَنَّفَ هذا السفر الضخم (علوم الحديث) لا يزال لا يفرق بين العَنْزة وهي حيوان، والعَنَزَة وهي رمح طويل في نهايتها زُج؛ أي: قطعة من حديد، وهي التي ركزها بلال في قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولو أدرك الدكتور حنفي معنى العَنَزَة لَمَا تجشم عناء هذا الشرح الطويل والتخبط العجيب!.

الوقفة العاشرة: فضل سورة الكهف

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص١٠٩٠ (ح: ٥٠١١)؛ «عن البراء، قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشَطَنَيْنِ، فتغشته سحابة، فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه يَنْفرُ، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال: «تلك السكينةُ تنزَّلت بالقرآن».

– قال الدكتور حنفي: «نفرت الدابة، فنزلت سحابة عليها، واعتبرها النبي صلى الله عليه وسلم سكينة نزلت للقرآن. فالقرآن يستدعي السحابة في مجتمع صحراوي جاف في حاجة إلى مطر، ولا يليق بالدابة أن تظل بجوار قارئ القرآن؛ فالرواية تصوير فنّيّ لقيمة القرآن في سياقه الجغرافي البدويّ الصحراويّ الذي يقوم على الحيوان والماء». ص٤٨٠.

– وأقول: لا تعليق على هذا القصور الواضح في الفهم والتصوُّر والتفسير المادي المفرط! وإن كان لا بد من تعليق، فيجب على الدكتور حنفي أن يعرف أن القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل، والمسلمين يتقربون إلى الله بتلاوته، والحديث السابق يبين لنا فضل سورة الكهف، والدليل على فضل هذه السورة أن السكينة تنزلت بالقرآن. أما أنه لا يليق بالدابة أن تظل بجوار قارئ القرآن، فهو تصوُّر يستعصي على الفهم!!

الوقفة الحادية عشرة: هل يُستخرَج السِّحر؟

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص١٢٣٧ (ح: ٥٧٦٥)، وهو حديث طويل رواه البخاري بسنده، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سُحِرَ حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن... وهذا أشد ما يكون من السحر... وكان الذي سحره لبيد بن الأعصم؛ رجل من بني زريق، حليف لليهود، كان منافقاً، وقد وضع السحر في مشط ومُشاطة... في بئر ذَرْوَان... قالت: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم البئر حتى استخرجه، فقال: «هذه البئر التي أُريتُها، وكأن ماءها نُقاعة الحناء وكأن نخلها رؤوس الشياطين...».

– قال الدكتور حنفي: «الضعف الجنسي له أسبابه العضوية، وليس السحر والربط كما هو الحال في العادات الشعبية، وقد شُفي الرسول بالعجوة والسحر المضاد، وكيف يكون الدواء بالعجوة والسحر؟ وكيف يمارس الرسول أو عائشة السحر؟». ص٤٨١.

– وأقول: لعل أغرب ما جاء في تعليق الدكتور حنفي السابق هو قوله: أن الرسول صلى الله عليه وسلم شُفي بالعجوة والسحر. علماً أن رواية عائشة المشار إليها ليس فيها شيء عن شفاء النبي صلى الله عليه وسلم بالعجوة والسحر!! إنْ هذا إلا اختلاق. الذي جاء بهذا الخصوص ما رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «من تَصبَّح بسبع تَمَراتٍ عَجْوة، لم يضُرّه ذلك اليوم سُمٌّ ولا سِحْر». البخاري، ص١٢٣٨ (ح: ٥٧٦٩).

الوقفة الثانية عشرة: الحَلْق من الأذى

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص١٢٢٥ (ح: ٥٧٠٣)؛ «عن كَعْب بن عُجْرة، قال: أتى عليَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم زمنَ الحديبيةِ وأنا أُوقِدُ تحتَ بُرْمَةٍ لي والقَمْلُ يَتَناثَرُ على وجهي، فقال: «أيُؤذيك هوامُّك؟» قلتُ: نعم. قال: «فاحلِقْ وصُمْ ثلاثةَ أيام، أو أَطْعِمْ سِتَّةَ مساكينَ، أو انسُكْ نَسِيكةً».

– قال الدكتور حنفي: «إن علاج هوامّ الرأس الحلق أو وضع الدواء المطهر لقتلها... فكيف يكون العلاج صوم ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، أو النسك بعض الوقت؟» ص٤٨٥.

– وأقول: إنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل لكعب: إن التخلص من هوامّ الرأس هو الصوم أو بقية الكفارات بل أمره بالحلق أولاً، ثم أخبره

بما يجب عليه من إحدى الكفارات الثلاث. أما النُّسُك بعض الوقت فلا يدرى ما هو؟ وكيف يكون؟ إن المراد بالنُّسُك الذي أشار إليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم هو إهراق الدم؛ أي: الفدية؛ لأن أهل الحديبية في حديث كعبٍ كانوا مُحرِمِينَ بالعمرة التي صدَّهم المشركون عنها.

الوقفة الثالثة عشرة: المنّ شفاءٌ للعين

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص١٢٢٦–١٢٢٧ (ح: ٥٧٠٨)؛ عن سعيد بن زيد قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الكمأة من المَنّ، وماؤها شفاءٌ للعين».

– قال الدكتور حنفي: «وكيف يكون ماء الأكمه شفاءً للعين؟ كيف يكون ماء المريض دواء للمريض إلا بدافع العجب وشد الانتباه والخروج عن المألوف». ص٤٨٥.

– وأقول: من الواضح أن الأمر اختلط على الدكتور حنفي فلم يُميِّز بين الأَكْمَه؛ أي: الأعمى خِلقةً– والكَمْأَة وهي من نبات الأرض، مثلها مثل (المشروم) وغيره. ألم يكن لدى الدكتور حنفي فُسحة من الوقت للبحث في معاجم اللغة؛ ليعرف الفارق بين الأَكْمَه والكَمْأَةِ؟!

الوقفة الرابعة عشرة: صفة الشمس والقمر

ورد هذا الحديث عند البخاري (ح: ٣٢٠٢، ٣٢٠٣، ٣٢٠٤)؛ بسنده عن ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله» (ح: ٣٢٠٢)، وجاء في صياغة أخرى عند البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها: «... فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة» (ح: ٣٢٠٣)، وفي صياغة ثالثة عند البخاري، عن ابن مسعود قوله صلى الله عليه وسلم: «... فإذا رأيتموها فصلُّوا». (ح: ٣٢٠٤).

– قال الدكتور حنفي: «... ولما كانت الشمس والقمر آيتان (كذا) من آيات الله، ينتهي الكسوف والخسوف بدوران الأرض وليس بالدعاء والصلاة»، ثم يضيف في الصفحة نفسها (ص٣٨٤)، «ثم يعود التشخيص والدعوة للصلاة لهما حين رؤيتها مما يقرب من الصابئة».

ليس المقصود من الواصلة والمستوصلة، حَلْق الشَّعْر كما ظن الدكتور حنفي، بل المقصود هو وَصْل الشَّعْر الطبيعيّ بشَعْر مستعار



الوقفة الخامسة عشرة: مناقب فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم

ورد هذا الحديث في مناقب فاطمة، عند البخاري، ص٧٤٢-٧٤٣ (ح: ٣٦٢٣، ٣٦٢٤)، بسنده عن عائشة، قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مرحباً يا ابنتي»، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرَّ إليها حديثاً فبكَتْ، فقلتُ لها: لِمَ تبكين؟ ثم أسرَّ إليها حديثاً فضحكتْ، فقلتُ: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حُزن. فسألتُها عما قال، فقالت: ما كنتُ لِأُفشيَ سرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قُبض النبيُّ صلى الله عليه وسلم فسألتها. (ح: ٣٦٢٣). فقالت: أَسَرَّ إليَّ أن جبريل كان يعارضني القرآن كلَّ سنةٍ مرةً، وأنه عارَضَني العام مرتين، ولا أُراه إلا حضر أجلي، وأنكِ أول أهل بيتي لحاقاً بي. فبكيت. فقال: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟»، فضحكتُ لذلك. (ح: ٣٦٢٤).

– قال الدكتور حنفي: «ولقد أسرَّ جبريلُ لفاطمةَ أنه كان يعرض عليها القرآن كل سنة مرةً، وأنه عرض هذا العام مرتين. وهذا يعني أنه حضر من أجلها، وأنها ستكون ألحق الناس بأبيها وسيدة نساء أهل الجنة». (ص٣٩٢).

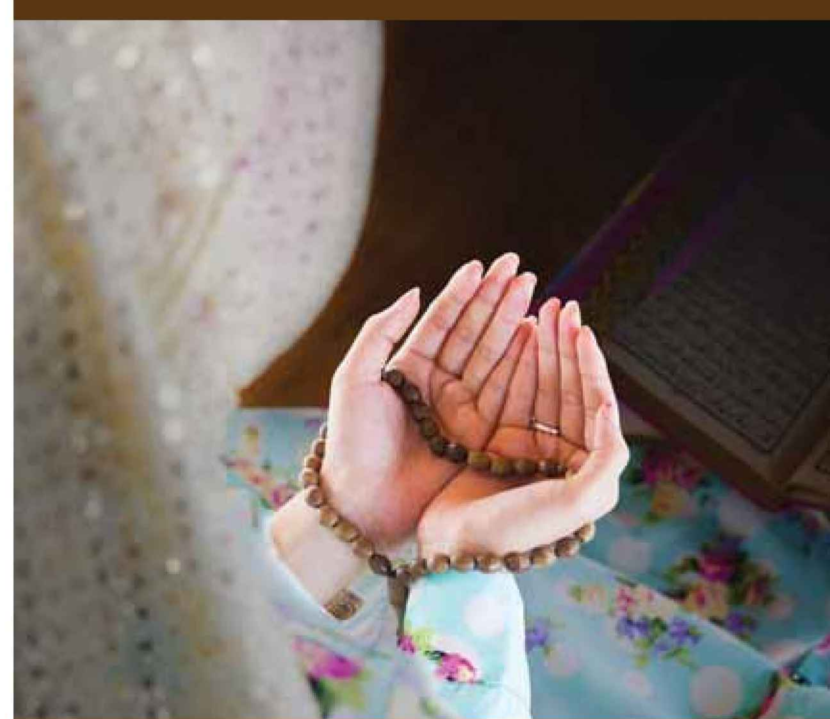
– وأقول: واضح من تعليق الدكتور حنفي أنه لا يجيد قراءة النصوص، فاختلط عليه الأمر، فلم يعد يفرق بين فاطمة وأبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ فهم أن جبريل كان يدارس فاطمةَ القرآنَ عوضاً من أبيها. وهذا عين التخبُّط والجهل، وهل وجد الدكتور حنفي في القرآن الكريم أو السيرة النبوية ما ينبئ عن علاقة فاطمة بجبريل والوحي؟ وهو العالم الذي ألَّف في علوم القرآن وعلوم الحديث وعلوم السيرة!!

الوقفة السادسة عشرة: ذِكْرُ أصهار النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ منهم: أبو العاصي بن الربيع

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص٧٦٦ (ح: ٣٧٢٩)، بسنده عن المِسْور ابن مَخْرَمَةَ، أن علياً خطب بنت أبي جهل، فسمعتْ بذلك فاطمةُ، فأتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يزعم قومُك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا عليٌّ ناكحٌ بنتَ أبي جهل، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسمعته حين يتشهّد، يقول: «أما بعدُ، فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها. والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدوّ الله عند رجل واحد». فترك عليٌّ الخُطبة.

– قال الدكتور حنفي: «وأخبر أن ابنته سيدة أهل الجنة، وهي بشارة غير متوقعة لابنةٍ من أبٍ أقسمَ أنها لو سرقتْ لَقطع يدَها. وهي بضع منه؛ مَن أَغضبَها أَغضَبَه تعم فيما يملك ولا فيما لا يملك طبقاً لقانون الاستحقاق، هي بضعة منه وهو بضع منها، لا ينكحها لو أحدٌ يسوؤها عدو الله. وخيرها أيضاً مريم وخديجة. فلا يعني الحكم الواقع بل التكريم» (ص٤١٥).

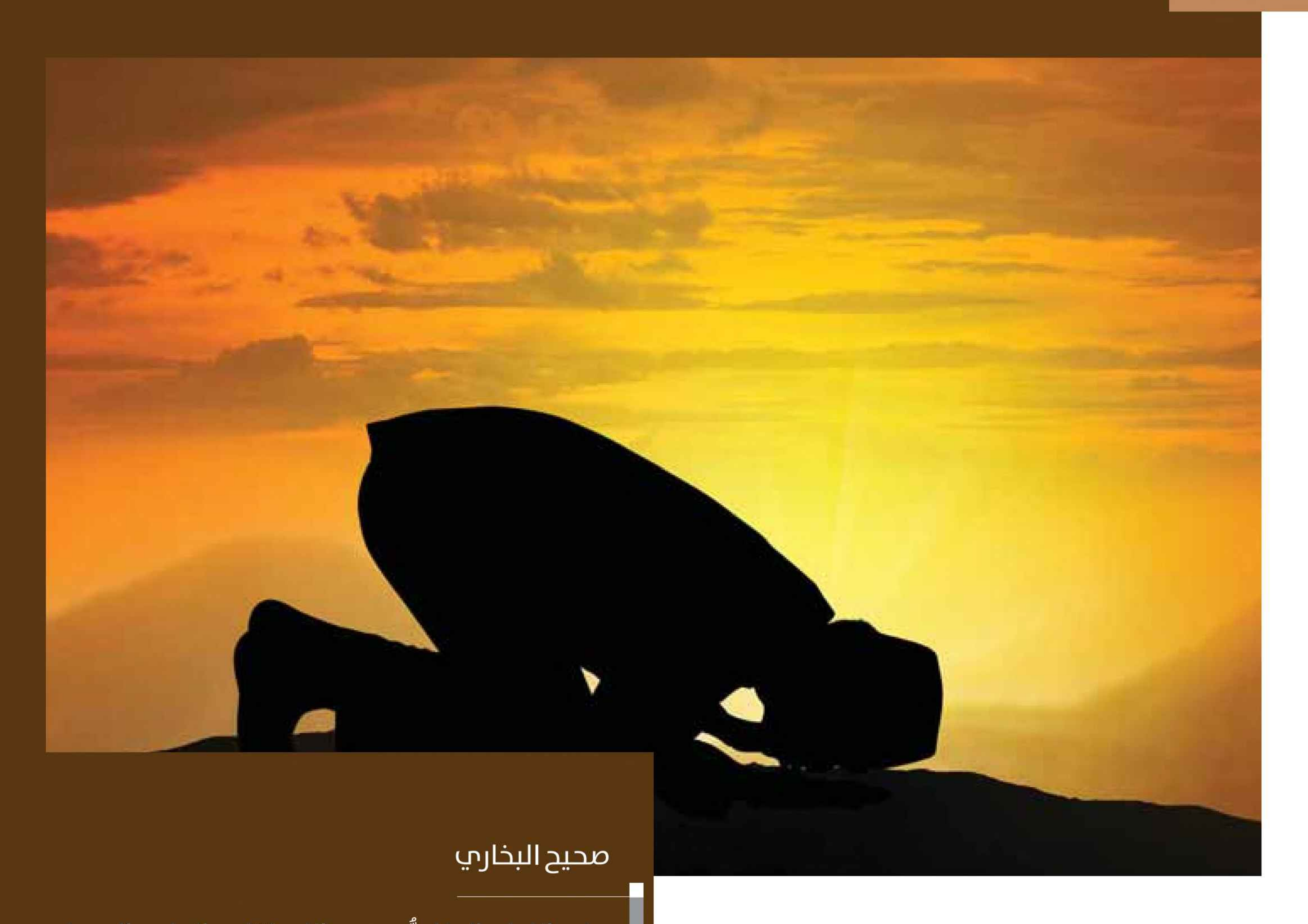
– وأقول: لم أفهم من هذه الفقرة شيئاً وهي أشبه ما تكون بالطلاسم، وأكاد أجزم لو أن الدكتور حنفي أعاد قراءتها لم يفهم منها أي شيء هو الآخر! لكن المؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس بضعاً من فاطمة، بل هي بضعة منه.



لماذا الاعتماد على نسخة قديمة من صحيح البخاري؟

الأمر الأكثر غرابة الذي يدعو إلى التساؤلات، هو اعتماد الدكتور حنفي على نسخة قديمة من صحيح البخاري، مضى على نشرها أكثر من تسعين عاماً (١٣٤٥هـ)؛ مما يجعلها في عداد الكتب النادرة؛ ويجعل متابعة ما أحال عليه الدكتور حنفي في هذه النسخة يكاد يكون أمراً مستحيلاً!! فما السِّرُّ وراء ذلك الاختيار يا تُرى؟ لماذا لم يرجع إلى أحدث نسخ صحيح البخاري؛ كي يُسهِّل على القارئ متابعته في قراءته وتعليقاته؟ أم أن وراء الأكمة ما وراءها؟!

– وأقول: الذي يمكن فهمه من تعليقات الدكتور حنفي على ظاهرتي الخسوف والكسوف أنه يُنكر الحاجة إلى الصلاة التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم بحُجة أن الكسوف والخسوف ينتهيان بدوران الأرض والقمر، ولعل الأمر الأكثر غرابة هو تشبيه صلاة المسلمين في حالتي الكسوف والخسوف مما يقرب من الصابئة!! علماً أن المسلمين لا يصلون للشمس ولا للقمر، ولكنهم يصلون تضرُّعاً وخِيفةً إلى خالق الشمس والقمر.



صحيح البخاري

وضع الإمام البخاريُّ -رحمه الله- كتاب «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسـول الله صلى الله عليه وسـلم وسـننه وأيامـه» المعـروف باسـم «صحيح البخـاري»، وقـام بانتقـاء مادته من سـت مئة ألف حديـث، واسـتغرق ذلـك منـه ست عشـرة سـنةً.

وبلغـت أحاديـث البخـاري بالمكـرَّر سـوى المعلَّقـات والمُتابَعـات ٧٥٩٣ حديثـاً وَفْق ترقيم محمد فـؤاد عبدالباقي. وجملة الأحاديث المُعلَّقـة ١٣٤١ حديثـاً، والأحاديـث المتَّصِلـة مـن غيـر المكـررات نحو أربعة آلاف، وهي تمثِّل أصحَّ الصحيح؛ لأنه قد أضاف إلى ما اشـترطه فـي حـدِّ الصحيح تحقُّق اللقـاء بين كلِّ راوٍ ومَن فوقـه، والتزم هذا. وقـد انعقـد إجمـاع الأمـة علـى أن التراجـم التـي وضعهـا الإمام البخـاري في كتابه تدلّ على فهم عميـق ونظر دقيق في معاني النصوص، حتى اشـتهر بين أهل العلـم قولهم: «فقه البخاري في تراجمـه»، وتنـاول البخـاري في كتابه سـائر أحكام الشـرع؛ العملية والاعتقاديـة، وقسَّـم مادة كتابه ٩٧ كتاباً؛ بدأهـا بكتاب بَدْء الوحي، وختمها بكتاب التوحيد.

لُقِّب الإمـامُ البخاريُّ بأمير المؤمنين فـي الحديث، وهو أرفع ألقاب المحدِّثِين، ولم يظفر به إلا الأفذاذ النوادر، الأئمة في الحديث روايةً ودرايـةً وجرحـاً وتعديـلاً وحفظـاً وإتقانـاً وتعمقـاً في علـم الحديث وعلله؛ حتى صار مرجعاً لمن يأتي بعده.

الوقفة السابعة عشرة: تأخير عمر بن عبدالعزيز صلاةَ العصر

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص٦٥٩ (ح: ٣٢٢١)، في رواية لابن شِهاب؛ جاء فيها أن عمر بن عبدالعزيز أَخَّر صلاة العصر شيئاً، فقال له عروة: أما إن جبريل قد نزل، فصلى أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمر: أعلم ما تقول يا عروة. قال: سمعت بشير بن أبي مسعود، يقول: سمعت أبا مسعود، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «نزل جبريل فأمَّني فصلَّيت معه، ثمّ صلَّيت معه، ثمّ صلَّيت معه، ثمّ صلَّيت معه، ثمّ صلَّيت معه» يحسب بأصابعه خمس صلوات (ح: ٣٢٢١).

مضمون النص السابق الذي أورده البخاري هو عدم تأخير الصلاة عن موعدها، وذُكرت صلاة العصر في السياق. وقد فهم الدكتور حنفي النص السابق على النحو الآتي:

- قال الدكتور حنفي: «وقد أخَّر عمر بن عبدالعزيز الصلاةَ؛ لنزول جبريل للصلاة أمام الرسول!!». (ص٣٩٢).

- وأقول: لا يخفى على دارس التاريخ الإسلامي أن ميلاد عمر بن عبدالعزيز كان في سنة (٦٣هـ) أي بعد (٥٢) سنةً من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الوقفة الثامنة عشرة: تغطية الإناء

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص١٢١١ (ح: ٥٦٢٣)، في روايةٍ لجابر بن عبدالله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كان جُنْحُ الليل -أو أمْسَيْتُمْ- فكُفُّوا صبيانَكم، فإن الشياطينَ تنتشر حينئذٍ، فإذا ذهب ساعة من الليل فحُلُّوهُم، وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً. وأوكوا قِربَكم، واذكروا اسم الله، وخمِّروا آنيتَكم، واذكروا اسم الله» إلى آخر الحديث.

– قال الدكتور حنفي: «والشياطين تحلُّ في الليل؛ لذلك لا ينبغي للصبيان الخروج من المنازل إلا بعد ساعة من العشاء مع غلق الباب، وذكر اسم الله عند شرب الماء أو الخمر، (وخمر إنائك) (كذا)... ويذكر اسم الله كما يفعل السحرة. (ص٣٩٨).

– وأقول: فَهِم الدكتور حنفي التخمير على أنه الخمر، ثم فَهِم ضرورة ذكر اسم الله عند شربها؛ إن المقصود بتخمير الإناء الوارد في هذا الحديث هو تغطيته، وليس وضع الخمر فيه. ثم ما علاقة السحرة بذكر الله؟ والخمر محرَّمة، فكيف يُذكَر اسمُ الله عند شرب شراب محرَّم؟!

الوقفة التاسعة عشرة: غزوة الحديبية وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «أنتم خيرُ أهل الأرض»

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص٨٥٨ (ح: ٤١٥٤)؛ عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا يوم الحديبية: «أنتم خيرُ أهل الأرض» وكُنا ألفاً وأربع مئة، ولو كنتُ أبصرُ اليوم لأريتكم مكان الشجرة. (ح: ٤١٥٤).

– قال الدكتور حنفي: «وفي رواية أخرى كان المسلمون حوالي ألفاً وأربع مئة، وصَفَهم الرسول بأنهم خير أهل الأرض، وكان يمكن أن يريهم الشجرة التي سمَّاهم بها القرآن، (أصحاب الشجرة) إلا أنه لم يبصرها من كثرة العدد، وكان يمكن أن يريها إياهم بإفساحهم المكان أو بالقلوب، وهي معجزة نمطية في تاريخ النبوات» (ص٤٧٥).

– وأقول: لو فكَّر الدكتور حنفي في الحديث السابق قليلاً لَأَدرَكَ أن المتحدِّث ليس هو الرسول صلى الله عليه وسلم بل هو جابر بن عبدالله، أحد شهود يوم الحديبية، وكُفَّ بصرُه في آخر أيام حياته؛ لذلك لم يستطع أن يَدُلَّ القوم على موضع الشجرة. ومعلوم أن القرآن الكريم لم يُسمِّ الذين بايعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة باسم (أصحاب الشجرة)، بل قال وقوله الحقُّ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (الفتح: ١٨).

الوقفة العشرون: نزول المطر يوم الحديبية، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾.

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص٨٥٧ (ح: ٤١٤٧)؛ عن زيد بن خالد رضي الله عنه، قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية، فأصابنا مطر ذات ليلة، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: «أتدرون ماذا قال ربكم؟» قلنا: الله ورسوله أعلمُ، فقال: «قال اللهُ: أَصبحَ من عبادي مؤمِن بي، وكافِر بي. فأمَّا مَن قال: مُطِرْنا برحمةِ الله وبرزقِ الله وبفضلِ الله، فهو مؤمِن بي، كافِر بالكوكب. وأمَّا من قال: مُطِرْنا بنجم كذا فهو مؤمِن بالكوكب وكافِر بي». ص٣٧٩.

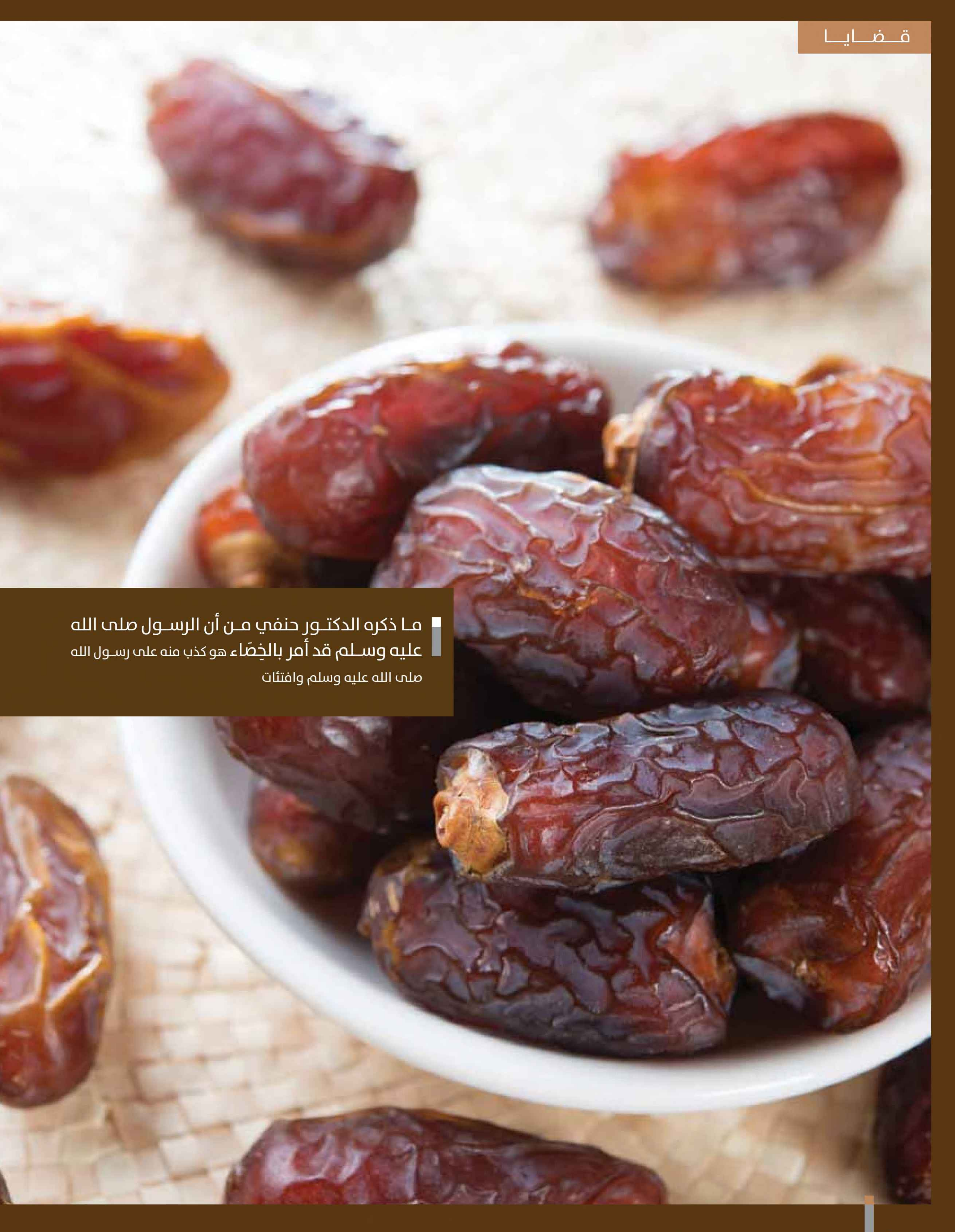
– قال الدكتور حنفي: «ثم يتكلَّم الرسولُ نيابةً عن الله مثل الحديث بعد صُلح الحديبية، فقد احتاج الرسول إلى تقوية حديثه بعد أن دبَّ الشكُّ في قلوب بعض الصحابة... عن مدى شرعية هذا الصُّلْح وعدم إجحافه بالمسلمين...».

– وأقول: في الواقع إن الصواب لم يحالف الدكتور حنفي في تعليقه؛ إذ إنه لم تأتِ الإشارةُ إلى صُلْح الحديبية لا من قريب ولا من بعيد، وليس في الحديث ما يشير إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قاله بعد صُلْح الحديبية؛ ليبدِّد شُكوكَ أصحابه كما يزعم الدكتور حنفي!!

الحديث له علاقة مباشرة بالمطر تلك الليلة، فبعض المسلمين يعزو المطر إلى بركة من الله وفضل، فهؤلاء هم المؤمنون. وبعض الناس من يردّ المطر إلى أحد الكواكب، وهؤلاء كافرون بالله مؤمنون بالكوكب.

مما يدعو للتساؤل أن الدكتور حنفي الذي صَنَّفَ هذا السفر الضخم (علوم الحديث) ما زال لا يفرق بين العَنْزة وهي حيوان، والعَنَزَة وهي رمح طويل في نهايتها زُج (قطعة حديد)





مـا ذكره الدكتـور حنفي مـن أن الرسـول صلى الله عليه وسـلم قد أمر بالخِضَاء هو كذب منه على رسـول الله صلى الله عليه وسلم وافتئات

الوقفة الحادية والعشرون: وَصْل الشَّعْر

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص١٢١٦ (ح: ٥٩٣٤)؛ عن عائشة رضي الله عنها: أن جارية من الأنصار تزوجت وأنها مرضت، فتَمَعَّطَ شَعْرُها، فأرادوا أن يَصِلُوها، فسألوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة».

– قال الدكتور حنفي: «وقد يكون ذلك إيجاباً وسلباً حين يلعن الله الواصلة والمستوصلة، وهو حلق الشعر حتى ولو كان بسبب المرض» (ص٣٧٧)

– وأقول: الحقيقة ليس المقصود من الواصلة والمستوصلة، حَلْق الشَّعْر كما ظن الدكتور حنفي، بل المقصود هو وَصْل الشَّعْر الطبيعيّ بشَعْر مستعار.

الوقفة الثانية والعشرون: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أُحُد جبلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه»

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص ٨٤٠ (ح: ٤٠٨٣، ٤٠٨٤)؛ عن أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن جبل أحد: «هذا جَبَلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه».

– قال الدكتور حنفي: «والطبيعة في علاقة مع الإنسان والإنسان في علاقة مع الطبيعة... الرسول يحب جبل أُحُد ويُحبُّه؛ ليخفف وقع الصدمة على المسلمين»، (ص:٣٨١).

– وأقول: هل مثل هذا القول يمكن أن يُنسي المسلمين مُصابهم في يوم أُحُد؟! لكن ما دام أنه ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال هذا، فيجب عدم تلمُّس الدوافع النفسية والسياسية، ويكفي شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسُخرية الدكتور حنفي من هذا الحديث لا تحتاج إلى توضيح.

الوقفة الثالثة والعشرون: مَنْ كان آخر كلامه لا إله إلا الله

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص ٢٤٣ (ح: ١٢٣٧)؛ عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني آتٍ من ربي فأخبرني– أو قال: «بَشَّرَني»– أنه مَن مات من أمتي لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنةَ، فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق».

– قال الدكتور حنفي: «ويخبر الرسول بأن من مات من أمته ولم يشرك بالله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق، وهو مُخالِف لقانون الاستحقاق؛ الجزاء على الأعمال». (ص:٣٩٣).

– وأقول: إن الدكتور حنفي يطلب من الله خالق الخلق أن يحكم بين العباد وفقاً لقانون الاستحقاق؛ أي: الجزاء على الأعمال! وينسى أن رحمة الله واسعة، وأنه رؤوف بالعباد. وينسى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨). في حقيقة الأمر، لم يكن الدكتور حنفي أول من قال بهذه المقولة، فقد سبقه إليها المعتزلةُ منذ زمن بعيد.

الوقفة الرابعة والعشرون: ما يقول الرجلُ إذا أتى أهلَه

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص١١٢١ (ح: ٥١٦٥)؛ عن ابن عباس، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما لو أن أحدهم يقول حين يأتي أهله: باسم الله، اللهم جَنِّبْني الشيطان، وجَنِّب الشيطان ما رزقتنا، ثم قدر بينهما في ذلك، أو قُضي ولدٌ لم يضرّه شيطانٌ أبداً».

– قال الدكتور حنفي: «دعاء الرجل أن يُجَنِّبَه الله الشيطانَ عندما يكون مع أهله، فيأتي الولد خالياً منه، وكأنه لا قوانين للوراثة». (ص٣٩٩).

– وأقول: هل قوانين الوراثة كافية لحماية الإنسان من المسّ أو الجنون أو غير ذلك!! يجدر بالدكتور حنفي مراجعة السجلات الطبية، ومحاولة استخلاص العِبَر والنتائج منها، ولا يكتفي بإطلاق الأحكام من دون ضوابط، ثم السخرية من الحديث النبوي.

الوقفة الخامسة والعشرون: ما يُكرَه من التبتُّل والخِصَاء

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص١١٠٢ (ح:٥٠٧٥)؛ قال عبدالله: كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لنا شيء، فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخَّص لنا أن ننكح المرأة بالثوب، ثم قرأ علينا: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة: ٨٧).

– قال الدكتور حنفي: «تدلُّ شكاية الناس بعدم وجود نساء. ونهى الرسول مرة عن الاستخصاء، وأمر مرة به» (ص:٣٢٤).

– وأقول: في واقع الأمر إن الحديث الذي جاء عند البخاري ليس فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أَمَرَ أصحابَه بالاستخصاء بل رخَّصَ لهم بالزواج من النساء بأيسر ما يجدون من الصداق؛ مثل الثوب. أما أن يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخِصَاء فمعاذَ الله! وما ذكره الدكتور حنفي من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بالخِصَاء فهو كذب منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافتئات، وعليه فيما قال الإثبات.

الوقفة السادسة والعشرون: قوله: «وفيه العذاب بالريح»؛ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ (الأحقاف: ٢٤)

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص١٠٣٤ (ح:٤٨٢٩)؛ قالت عائشة وكان –أي النبي صلى الله عليه وسلم– إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرف في وجهه. قالت: يا رسول الله، الناس إذا رأوا الغيم فَرِحوا رجاءَ أن يكونَ فيه المطرُ، وأراك إذا رأيتَه عُرِفَ في وجهك الكراهية، فقال: «يا عائشةُ، ما يُؤَمِّنُني أن يكون فيه عذابٌ؛ عُذِّبَ قومٌ بالريح، وقد رأى قومٌ العذابَ، فقالوا: }هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا { (الأحقاف: ٢٤)».

– قال الدكتور حنفي: «ويُعذَّب قومٌ بالريح، وكأن الريحَ لا تخضع لقوانين الرياح» (ص٣٨١).

– وأقول: الدكتور حنفي يسخر هنا من الحديث النبوي، وينسى أن قوانين الرياح تخضع لإرادة من أنشأ الرياح وهو الله! ثم إذا عاد الدكتور حنفي إلى القرآن الكريم، فسيجد أن الرياح تخضع لإرادته ومشيئته، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الأحقاف: ٢٤). وقوله: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (الذاريات: ٤١). وقوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ (الحاقة: ٦).

الوقفة السابعة والعشرون: الدخول على المَيِّت بعد الموت

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص٢٤٤-٢٤٥ (ح:١٢٤٣) من حديث طويل

عن أمِّ العلاء، في وفاة عثمانَ بن مظعون؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «واللهِ، إني لأَرجو له الخير -أي لابن مظعون- والله ما أدري وأنا رسول الله ما يُفعلُ بي».

– قال الدكتور حنفي: «ويتم الحساب طبقاً لقانون الاستحقاق؛ (ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) هو القاعدة العامة قبل الرحمة والمغفرة، وبالتالي كيف لا يدري أَحدٌ ماذا يفعل الله به يوم القيامة، ولا حتى الرسول، وهناك قانون الاستحقاق؟». (ص٤١٢).

– وأقول: يُصرُّ الدكتور حنفي على قانون الاستحقاق، ويستغرب كيف أن الإنسان لا يدري ماذا يفعل الله به يوم القيامة، ولا حتى الرسول! ولنا أن نسأل الدكتور حنفي هل يدري هو ما الله فاعل به يوم القيامة؟ إن رحمة الله قريب وهو واسع المغفرة، ولا يمكن إخضاع رحمة الله بعباده لقانون الاستحقاق الذي ينادي به الدكتور حنفي.

الوقفة الثامنة والعشرون: الحِرَاب والدَّرَق يوم العيد، وغناء الجواري

ورد هذا الحديث عند البخاري، ص١٨٨ (ح:٩٤٩، ٩٥٠)؛ عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «دخل عَلَيَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنِّيان بيوم بُعَاث، فاضطجع على الفراش وحَوَّل وجهه، وجاء أبو بكر، فانتَهَرَني، وقال: مِزْمار الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «دَعْهما». وفي السياق نفسه تقول عائشة رضي الله عنها: وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدَّرَق والحِرَاب، فإمَّا سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وإمَّا قال: «أَتَشْتَهِينَ تَنظرين؟» قلتُ: نعم. فأقامني وراءه، خدِّي على خدِّه، وهو يقول: «دُونَكُمْ يا بَنِي أَرْفِدَةَ» حتى إذا مللتُ، قال: «حَسْبُكِ؟» قَلتُ: نعم. قال: «فاذْهَبي».

– قال الدكتور حنفي: «دخلتْ عائشة على الرسول ومعهما جاريتان تغنيان فنهرهما أبو بكر، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: «دَعْهما»، وكان يوم عيد، فسألهما الرسول: تشتهين تنظرين؟ فأجاب: نعم. فوضع خده على خدها قائلاً: «دونكم يا بني أرفدة» حتى إذا ملت، قال: «حسبك». قالت: نعم. قال: «فاذهبي». (ص٣٦٤)

– وأقول: إن قراءة الدكتور حنفي السابقة ليست دقيقة فالمعلومات مضطربة، ولا يخرج منها القارئ بنتيجة؛ فمن هما اللذان معهما جاريتان؟ ثم يقول: فسألهما الرسول صلى الله عليه وسلم: تشتهين تنظرين؟ كيف تستقيم العبارة؟ فالسؤال موجَّه للمثنَّى المُذكَّر، ثم ينصرف الخطاب



للمفرد المؤنَّث، وهذا مما يستعصي على الفهم!! فالجملة كلها غير مترابطة، وكان المتوقع من الدكتور حنفي أن يقرأ النصوص بعناية وفهم ودراية؛ ولا يشوّهها بهذه الطريقة التي تُسيء له في المقام الأول.

الوقفة التاسعة والعشرون: إذا رأى بقراً تُنَحر



ورد هذا الحديث عند البخاري، ص١٤٧٧ (ح: ٧٠٣٥)؛ عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «رأيتُ في المَنَام أني أُهاجِرُ من مكةَ إلى أرضٍ بها نخلٌ، فذَهَبَ وَهَلِي إلى أنها اليَمَامةُ أو الهَجَرُ، فإذا هي المدينةُ يَثرِبُ، ورأيت فيها بقراً، واللهُ خيرٌ، فإذا هم المؤمنون يوم أُحُد، وإذا الخيرُ ما جاء اللهُ به من الخير بعدُ، وثوابُ الصِّدقِ الذي آتانا الله به بعدَ يوم بَدْرٍ».

– قال الدكتور حنفي: «ويرى الرسول في المنام وهو يهاجر مكة (كذا) إلى أرض بها نخل وهي المدينة جمهور المؤمنين وكأنهم بقرٌ يوم أُحُد والصدق والخير بعد يوم بدر» (ص٣٧٣). ثم يردف قائلاً:

فَهِم الدكتور حنفي التخمير على أنه الخمر، ثم فَهِم ضرورة ذكر اسم الله عند شربها! والمقصود بتخمير الإناء الوارد في هذا الحديث هو تغطيته، وليس وضع الخمر فيه

إن رحمة الله قريب وهو واسع المغفرة، ولا يمكن إخضاع رحمة الله بعباده لقانون الاستحقاق الذي ينادي به الدكتور حنفي

«ورؤية الرسول عن بُعد رد فعل على تكذيب الناس له. كل شيء في حياة الرسول يتمّ بمخطط مسبق يعرفه حلماً؛ الهجرة إلى المدينة، هزيمة أُحُد، عام الفتح، نصر بدر» (ص٣٧٤).

– وأقول: ما شأن جمهور المؤمنين والبقر يوم أُحُد؟ إن غير المختص بالسيرة النبوية وأحداثها يقع في حيرة بخصوص جمهور المؤمنين والبقر يوم أُحد؟ إضافةً إلى هذا كله، فإنه يشمُّ من أسلوب حنفي في تعليقه السابق السخرية والتهكُّم من رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم.

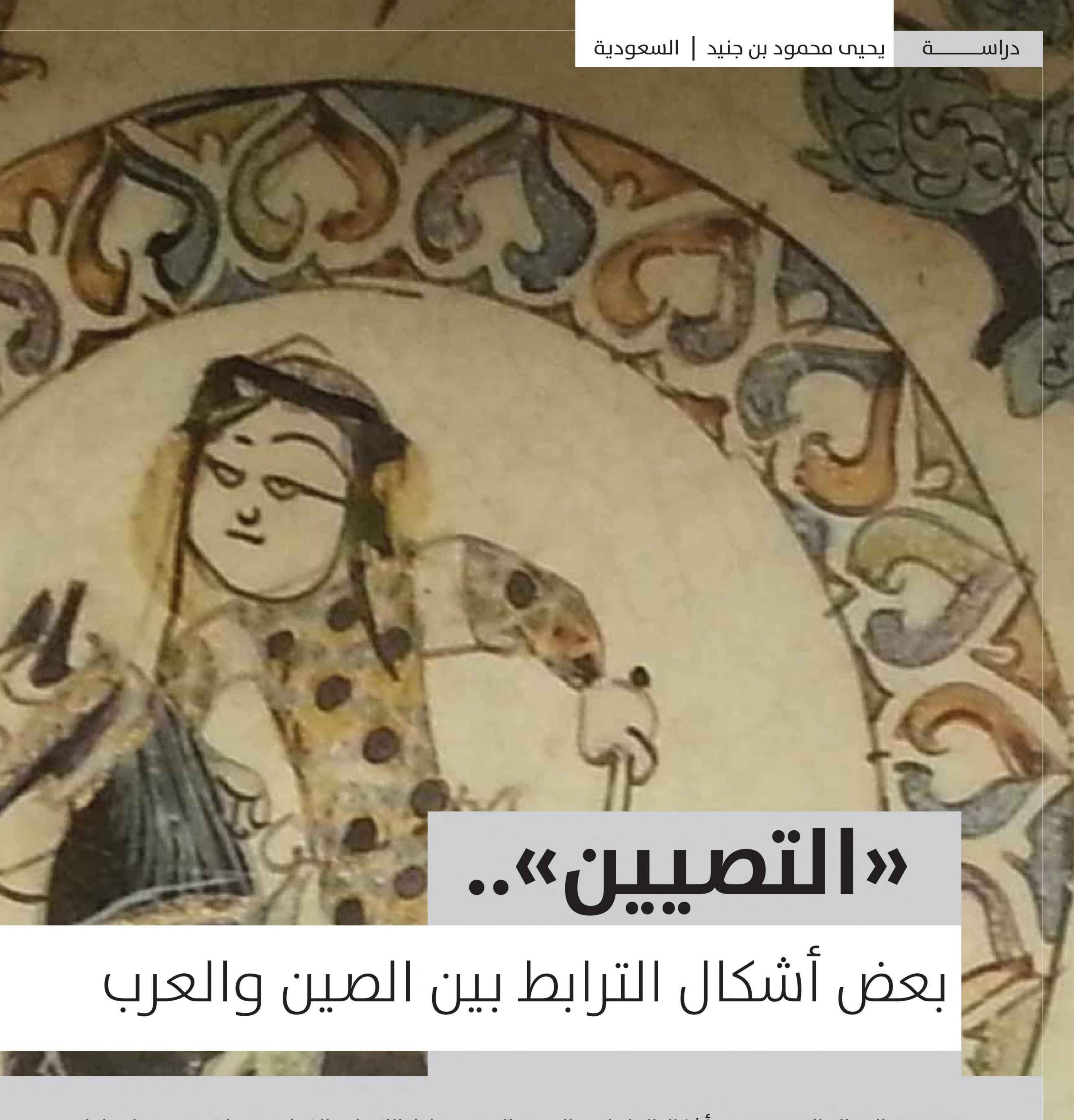
الوقفة الثلاثون: الحديث القُدسيّ

– قال الدكتور حنفي: «والعجيب أنه لا ذِكْر في عِلم الحديث للأحاديث القدسية، وهل لها أسانيد خاصة، أم تنطبق عليها قواعد السَّنَد للأحاديث النبوية؟... فمدوّنات الأحاديث القدسية من وضع المتأخرين وليس المتقدمين...». (ص٢٧٩-٢٨٠).

– وأقول: في واقع الأمر إنني لا أستطيع البحث في موضوع الأحاديث القدسية، وفي السياق نفسه، فإنني لم أتعقّب ما جاء عند المؤلف في الباب الأول بفصوله الثلاثة، فقد تركت ذلك كله لذوي الاختصاص من أهل الحديث، فهم أعلم بما فيها من الغَثِّ والسَّمِين.

أما الوقفات الثلاثون، التي جرى فيها التعقيب والملاحظة، فهي محصورة فقط في الفصلين الثاني والثالث من الباب الثاني، مع العلم أنه لم يجرِ الاستقصاء الكافي لكل ما ورد في هذين الفصلين اعتماداً على فطنة القارئ وفهمه.

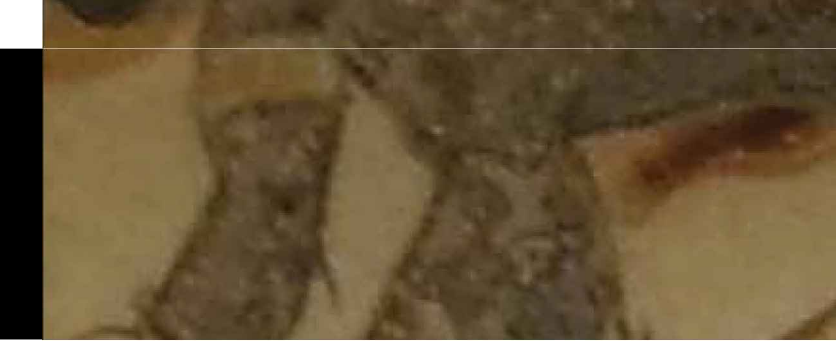
وأخيراً، فإن اللافت في كل ما تقدم عرضه من وقفات مع الدكتور حنفي التي بلغت ثلاثين وقفةً، أن الصواب لم يكن حليفاً له، سواءً في قراءته النصوص الواردة عند البخاري، أم في التعليق عليها! ومن الصعوبة بمكان أن يُرمى الدكتور حنفي بالجهل بمصادر الحديث النبوي الشريف، إذا كان حقاً هو كاتب (مقدمة في نقد مصادر الحديث) التي تجاوزت في حجمها مئة صفحة، في هذا الكتاب نفسه.



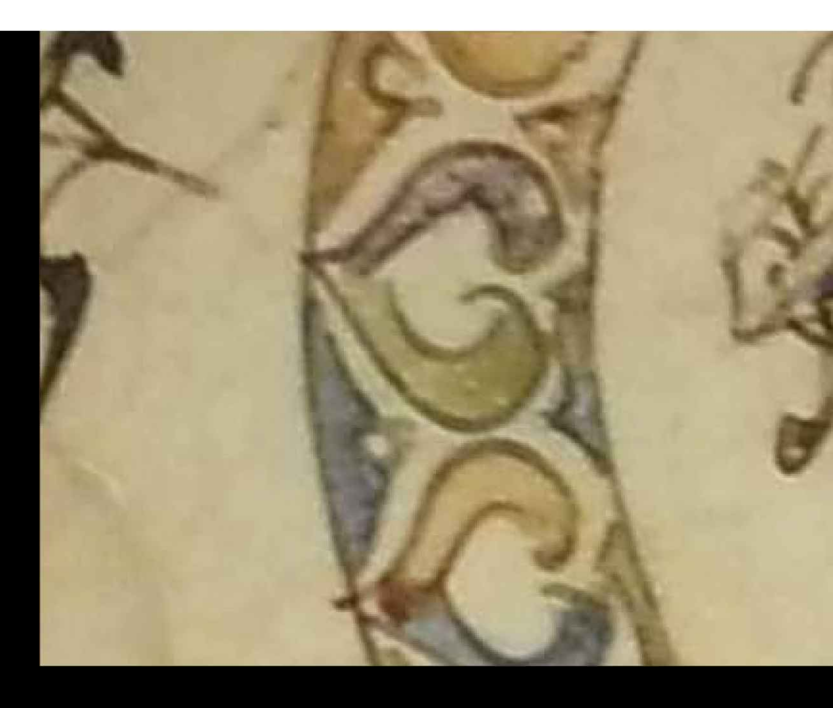
«التصيين»..
بعض أشكال الترابط بين الصين والعرب

تهدف المقالة إلى تتبع بعض أشكال الترابط بين العرب والصين، وتبادل الانتماء والفعل بينهما في مسميات بلدان ومواقع عربية، والنسـبة إليها، وإطلاقها لتكون مسمى شمولياً لنمط من الأواني (الصواني) والأطباق؛ وهو ما ينمّ عن عمق التأثير الصينيّ في الثقافة العربية.

وسأبدأ بلمحات موجزة عن تاريخ العلاقات من وجهة النظر العربية؛ فوفقاً للمصادر العربيـة، تعـود العلاقـة بين العـرب والصين إلى ما قبل الإسـلام، والمؤكد أن التجارة كانت هي البـدء، وأن الطريق البحـريّ كان الأقدم في بناء هذه العلاقة التي ربطت بين سواحل جنوبي الجزيرة العربية، وسواحل جنوبي الصين، ولعل الصين كان لها الدور الأكبر بحكم أساطيلها الكبيرة، التي كانت تجوب البحار حاملةً البضائع الصينية إلى غربي العالم، وتعود منه بموادَّ، من بينها الصمغ العربيّ من جنوبي الجزيرة







الاحتكاك العسكري

كانت هناك - كما تشير بعض المصادر التراثية العربية- غزوات عسكرية من الجانب العربي؛ أقدمها غزو تُبَّع - ملك اليمن - الصين، ووصوله إلى التبت.

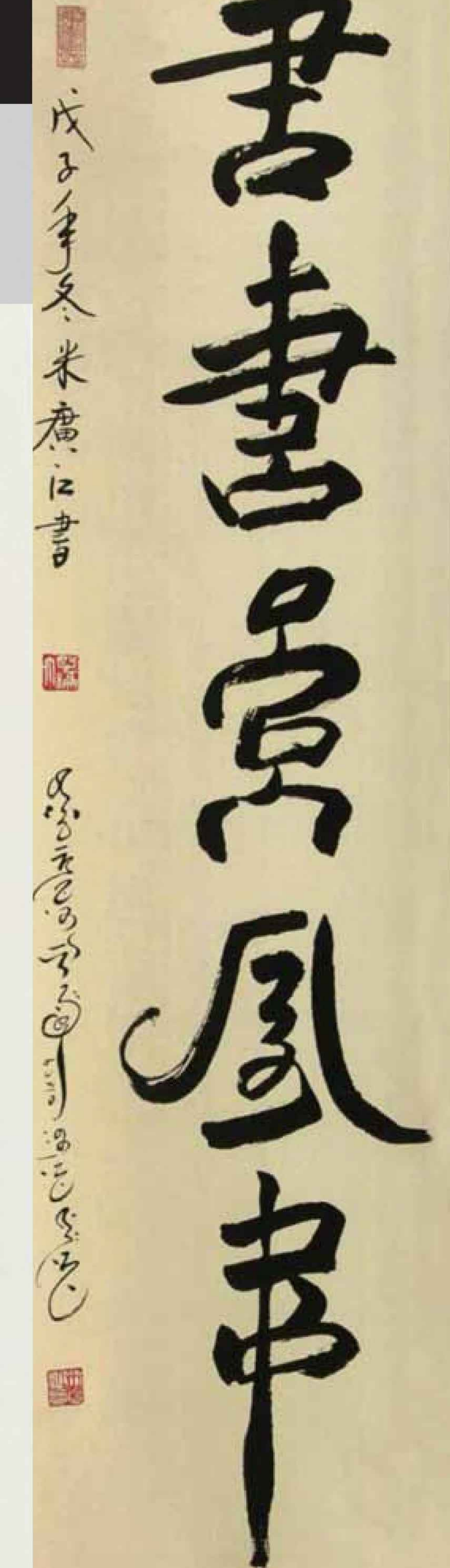
وينقل ياقوت عن كتاب عتيق وردت فيه معلومات منسوبة إلى أبي دلف مِسعْر بن مهلهل، يذكر فيها ما شاهده في بلاد الترك والصين والهند، ومما جاء في الكتاب قوله: «ثم انتهينا إلى موضع يُقال له: القُليب، فيه بوادي عرب ممن تخلف عن تُبَّع لما غزا بلاد الصين، لهم مصايف ومَشاتٍ في مياه ورمال، يتكلمون بالعربية القديمة لا يعرفون غيرها، ويكتبون بالحِمْيرية، ولا يعرفون قلمنا، يعبدون الأصنام، وملِكهم من أهل بيت منهم لا يُخرجون المُلك من أهل ذلك البيت، ولهم أحكام... وملِكهم يهادي ملك الصين، فسرنا فيهم شهراً في خوف وتغرير» [معجم البلدان، ٣/٤٤٣-٤٤٤].

ثم كان الاحتكاك العسكريّ بين العرب والصين في أثناء الفتوحات الإسلامية في وسط آسيا، وهناك حكاية معروفة متداولة في كتب التاريخ العربي تُشير إلى وصول قوات قتيبة بن مسلم الباهليّ إلى حدود الصين وفتْحِه «كاشغر»، وما يُنسب إليه من قَسَمٍ بأن يطأ أرضها، وإيفاد ملك



■ نشأت علاقات تجارية وثقافية بين الأُمتين كان مسارها طريق الحرير البَرِّيّ، فانتشرت بضائع الصين في مدن الإسلام؛ مثل: مصر، وسمرقند، ونيسابور، وبغداد. وجال التجار العرب في بلاد الصين





> هنـاك معلومـات معروفـة متداولـة فـي كتـب التاريـخ العربي تُشـير إلـى وصول قـوات قتيبة بن مسـلم الباهليّ إلى حدود الصين وفتْحِه «كاشغر»

آية الكرسي بخط الحاج نور الدين

الصين رسولاً إليه ومعه صحاف عليها تراب من أرض الصين ليطأه قتيبة براً بقسمه، وبعث معها جماعة من أولاده وأولاد الملوك، ومالاً جزيلاً، فلما انتهى ذلك إلى قتيبة، اكتفى بما اقترحه الملك.

وتُشير المصادر إلى أَسْرِ صينيين في أثناء المعارك، استُفيد منهم -فيما بعد- في نقل صناعة الورق من الصين إلى مدن وسط آسيا؛ مثل: بخارى وسمرقند؛ مما أدَّى إلى انتزاع سِرّ صناعة الورق من الصينيين لينتشر -فيما بعد- في جميع أنحاء العالم عبر الوسيط العربيّ؛ مما أدى -بدوره- إلى نقلة حضارية كبيرة تمثلت في تمدُّد حركة التأليف بوساطة إنتاج الكِتاب الورقيّ والتخلّي عن الكتاب الجلديّ، الذي كان يُعتمد فيه على الـرَّقّ المأخوذ مـن جـلـود الغـنم والأبقار، الذي لم يكن بقدر فاعلية الورقِ الميسّر للكتابة فيه، وكان هـذا الانـتـقال في أواخر القرن الهجـري الأول.

أما الاحـتكاك الجماعيّ الثالث، فـتـمثل فـي قوة عسكرية بعث بـها الخليفة أبو جعفر المنصور لنجدة الإمبراطور الصيني المعاصر له، الذي واجهَ ثورة عارمة كان للجيش العربيّ دورٌ في إخمادها، ثُمَّ استقرار أغلبية أفراد ذلك الجيش في الصين، وعدم عودتهم إلى موطنهم.

بداية التلاقح الحضاري

إذا كانت الأخبار الثلاثة السابقة تمثل في الأدبيات العربية بداية التعارف المباشر بين الأُمّتين؛ فإن الشكوك تحوم حول الأول والثالث منها؛ أمّا الثاني المتّصل بالفتوح وتوقُّفها على حدود الصين فهو الخبر الموثق، وهو - رغم صِبْغته العسكرية- يمثل بداية التلاقـح الحضاريّ بين الأمتين: الصين مخترِعة الورق، والعرب وسيط نقلِ صناعته إلى العالم المعروف في ذلك الوقت. وعقب استقرار الأوضاع الأمنية بين إمبراطورية الصين الممتدة من المحيط شرقاً إلى حدود ما وراء النهر، ودولة الإسلام الممتدة من المحيط الأطلسيّ إلى آخر بلاد التُّرك فيما وراء النهر؛ نشأت علاقات تجارية وثقافية بين الأُمتين كان مسارها طريق الحرير البَرّيّ، فانتشرت بضائع الصين في مدن الإسلام؛ مثل: مصر، وسمرقند، ونيسابور، وبغداد. وجال التجار العرب في بلاد الصين؛ لشراء البضائع، والعودة بها إلى الأقاليم الإسلامية؛ مما أدَّى إلى قيام صناعات أصيلة في الأقاليم الإسلامية متأثرة بالنمط الصينيّ، وبخاصة في مجال الفخاريات والزجاج والأقمشة، وازدهرت التجارة بين الأُمتين ازدهاراً تأسَّستْ معه بلدات وأحياء باسم الصين في العراق على وجه الخصوص؛ منها: صين الكوفة، وصين إسكندرية العراق [ياقوت، المشترك وضعاً، ص٢٨٨-٢٨٩]، والأشهر منهما: الصِّينية، وكانت بُليدة قريبة من واسط [ياقوت، معجم البلدان، ٤٤٨/٣].

صينية الحوانيت

يُقدِّم لنا الخطيبُ البغداديُّ في تاريخه، ويتابعه ابنُ القيسرانيّ، وأبو سعد السَّمْعَانِيُّ، معلومةً فريدةً عن هذه البلدة؛ فيذكرها باسم: صينية الحوانيت، وأنها بين واسط والصليق بالعراق. ووُرُود كلمة الحوانيت



صفحة من مصحف كتبته أمة الله نور العالم بنت راشد في بكين سنة ١٠٥٠هـ.

بعـث الخليفـة أبـو جعفـر المنصـور قوة عسـكرية لنجدة الإمبراطور الصيني المعاصر له، الذي واجه ثورة عارمة كان للجيش العربيّ دورٌ في إخمادها

مصحف بملمح صيني

هنـاك من كتب المصحف الشـريف بخط عربي واضح مـع ملمح صيني، لكن بزخرفة صينيـة مميزة، تداخل فيهـا المعمـاري بالنباتـي، كمـا هـو الحـال فـي المصحـف الذي كتبته أمةُ اللهِ بنت راشـد في بكين سـنة (١٠٥٠هـ / ١٦٤١م)؛ إذ نجد الزخرفة النباتية ذات التشـكيل الصينـيّ، مـع اسـتخدام أنماط أخرى مميزة مسـتمدّة مـن المعمار الصينـيّ. ولا شـك فـي أن الموضـوع واسـع جـداً، يصعـب اسـتيفاء جوانبـه فـي ورقة مثل هذه، وقد أُشـبع بحثاً، وبخاصـة الأثر العربي فـي الصيـن، لكن الحاجـة لا تزال قائمة إلى دراسـات مفـردة تتنـاول جزئيات بعينها تتتبّـع التأثّر والتأثير بين الصينيين والعرب في مختلف مراحل التاريخ.

في التعريف بالمدينة على درجة كبيرة من الأهمية؛ فالحوانيت جمع حانوت، وهو الدُّكّان أو المحلُّ التِّجاريّ، ما يعني أن هذه البلدة كانت تشتهر -من وجهة نظري- بكثرة محلاتها التجارية ذات العلاقة بالصين؛ فهل كان ذلك بسبب أن أصحابها كانوا من أهل الصين؟ أم لأنها كانت تعجُّ بالبضائع الصينية؟ وفي كلتا الحالَيْن نجد أنفسنا أمام ما يُعرف في عصرنا بـ«تشايـنا تاون» Chaintown، أو الحيّ الصينيّ، ولعل المدينتيْن اللتين كانَتا قرب الكوفة والإسكندرية من النمط نفسه؛ أي: إنهما كانتا تحفلان بالحوانيت الصينية. فإن قُبِلَ هذا الرأي، فإنه يؤسِّس لرؤية جديدة، تكشف عن حركة تجارية واسعة، ربطت بين العراق مقرّ الخلافة العباسية، ومركز الحضارة العربية الإسلامية قروناً طوالاً، وبين الإمبراطورية الصينية.

ويَرفِد هذا الرأي ويقويه معلوماتٌ عن حمل أفراد من العرب نسبة (الصينيّ)، عُـرفوا بها بين أقرانهم في حِقْبتهم، وتُرجم لهم بربطهم بهذه النسبة؛ من أشهرهم: حميد الصينيُّ: وهو أبو عمرو حُميد بن محمد بن عليٍّ الشيبانيُّ، قال عنه السَّمْعَانِيُّ: «سمع السريَّ بن خزيمة وأقرانه، روى عنه أبو سعيدِ بنُ أبي بكر بن أبي عثمان وغيره. ظنّي أنه نُسب إلى الصين؛ إما لأنه منها، أو لأنه كان يمضي إليها، والله أعلم» [الأنساب، ٣٦٨/٨]. وعلى الرغم من شكّ السَّمْعَانِيّ في أصله، فإن وجود النسبة إلى القبيلة ضمن اسمه (الشيباني)، يَعْنِي أنه كان عربياً؛ بيد أنه ممن أكثروا دخول الصين، ولعل ذلك للتجارة بالدرجة الأولى. والآخر هو: إبراهيم بن إسحاق الصينيُّ: من أهل الكوفة، قال عنه السَّمْعَانِيُّ: «كان يَتَّجِر في البحر، ورحل إلى الصين، وهو من بلاد المشرق، وروى عن أبي عاتكةَ، عن أنسٍ أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «اطلبوا العلم ولو بالصين».

أشهر من حمل لقب الصيني

أَشهَرُ العربِ الذين حملوا لقب الصينيّ، شيخ السَّمْعَانِيّ: أبو الحسنِ سعدُ الخيرِ بنُ محمدِ بنِ سهلِ بنِ سعدِ الأنصاريُّ الأندلسيُّ، قال السَّمْعَانِيُّ: «كان يكتب لنفسه: الصينيّ؛ لأنه كان قد سافر من بلاد الغرب إلى أقصى بلاد الشرق، وهو الصين. من أهل بَلَنْسِية مدينة بشرقي الأندلس. كان فقيهاً صالحاً كثير المال، حَصَّلَ الكتب والأصول... سمعت منه جميع كتاب السُّنَن لأبي عبدالرحمن النسائيّ... تُوُفِّيَ في المحرَّم من سنة إحدى وأربعين وخمس مئة ببغداد» [الأنساب، ٣٦٨/٨-٣٦٩]. وإشارة السَّمْعَانِيِّ إلى سعد الخير بأنه كان كثير المال، تُوحي بأنه كان يعمل في التجارة إلى جانب عنايته بالعلم، ومن ثَمَّ يكون دخولُه الصينَ للتجارة بالدرجة الأولى.

هناك مجموعة أخرى من الأعلام العرب حملوا النسبة «الصينيّ»، من دون الإشارة إلى سفرهم إلى الصين؛ مثل: أبي عليٍّ الحسنِ بنِ أحمدَ بنِ ماهانَ الصينيّ، وكان من أهل صينية الحوانيت، وأبي عبدالله محمد بن إسحاقَ بن يزيدَ الصينيّ من أهل بغداد، وأبي الحسن محمد بن عبدالله بن إبراهيمَ الرازيّ، المعروف بابن الصينيّ، كان يسكن باب الشام ببغداد. تُوُفِّيَ سنة ٤١٠هـ [الأنساب، ٣٦٩/٨-٣٧٠] وعُرف بعضُ الأعلام العرب بألقاب تربطهم بالصين؛ مثل: الشريف أشرف بن محمد العباسيّ العلويّ. قال النسفيُّ في القند: «السيد الإمام الأَجَلُّ، صدر الإسلام والمسلمين، قطب الإمامة في العالمين، ملك علماء الشرق والصين: أبو

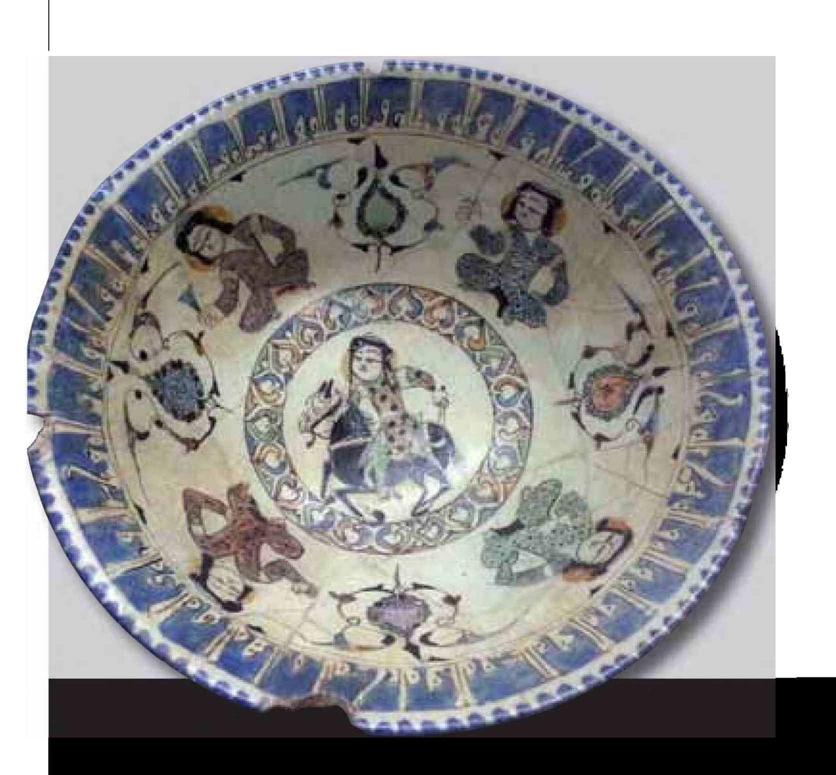
اشتهرت صينية الحوانيت بكثرة محلاتها التجارية ذات العلاقة بالصين؛ فهل كان ذلك بسبب أن أصحابها كانوا من أهل الصين؟ أم لأنها كانت تعجُّ بالبضائع الصينية



المكارم أشرف بن محمد بن أبي شجاع محمد بن أحمد... ابن العباس بن عليّ بن أبي طالب. وُلد في رجب سنة ثمان وستين وأربع مئة» [القند، ص٩٣] والإشارة إليه بملك علماء الشرق والصين توحي بوجود علماء مسلمين داخل الصين في تلك الحقبة.

كما عُرف أحد القادة العسكريين من الأشراف العباسيين، وهو أمير الجيوش طاهر العباسي، بلقب «باب ماجين»، ويُقْصَدُ بباب هنا: الشيخ أو الداعية؛ فلعله دخل الصين للدعوة، فعُرف بذلك.

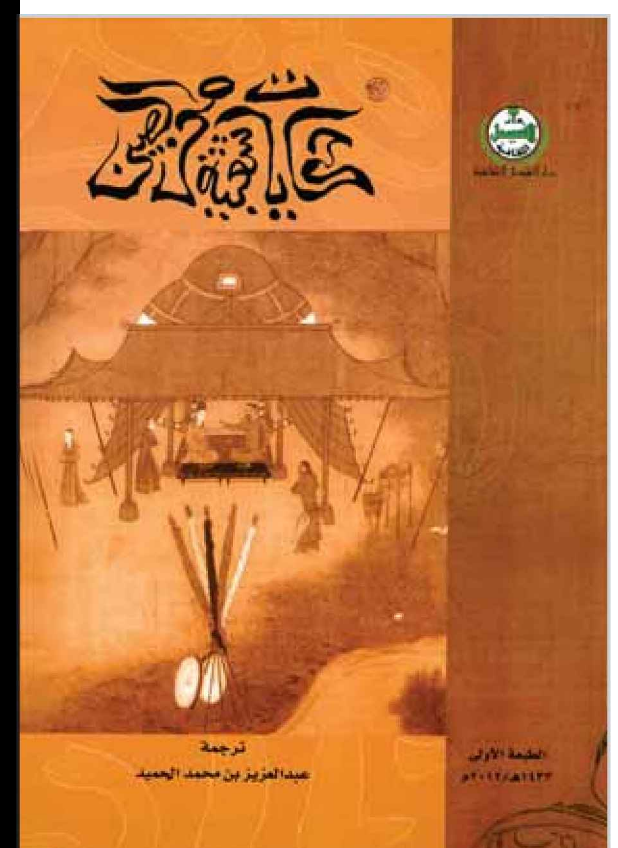
أَشْهَرُ العربِ الذين حملوا لقب الصينيِّ، شيخ السَّمْعَانِيِّ: أبو الحسنِ سعدُ الخيرِ بنُ محمدِ بنِ سهلِ بنِ سعدٍ الأنصاريُّ الأندلسيُّ



محلات تحمل اسم الصين

كانت هناك محلات في بعض المدن الإسلامية تحمل اسم الصين؛ مثل: باب الصين في سمرقند، منها: أزهر بن يونس بن العبدي السمرقندي «من باب الصين في المدينة»، ولعل إطلاق هذا المسمى لكونه مدخل الواردين من الصين. ويسود الاعتقاد بأن قومية خوي الصينية المسلمة من أصل عربي، وهي قومية تقطن مناطق في شمال غربي الصين، وعاصمتها نينغيشيا. ومن التأثيرات الصينية ذات الصلة بالفنون: رسم الشخوص الصينية في الأواني والمخطوطات العربية المنمنمة؛ مثل: مقامات الحريريّ، وكليلة ودمنة، ويُشار إليها عادة، ولا سيما لدى الغربيين، بالمغولية، والصواب أنها تأثيرات صينية؛ إذ لم يكن للمغول أي تأثير حضاريّ في العالم الإسلاميّ المعروف في ذلك الوقت.

كانت هناك محلات في بعض المدن الإسلامية تحمل اسم الصين؛ مثل: باب الصين في سمرقند، ولعل إطلاق هذا المسمى لكونه مدخل الواردين من الصين



ومن أبرز النماذج الفنية: زخرفة داخل زبدية من الخزف، رُسمت في محيطها الداخليّ صور نساء صينيات؛ إضافة إلى زخارف نباتية، يعود تاريخها إلى أواخر القرن السادس، أو بداية القرن السابع الهجريين. ولعل أوضح مثال للتأثير الصينيّ الماديّ، أن كلمة «صيني» أُطلقت على الصحون المستخدمة للطعام، ولا يزال هذا المسمى مستعملاً إلى اليوم، فكل الصحون الفخارية يُطلق عليها: صينيّ، وإن اختلفت بلاد صناعتها، ومنها استخدام الصينية للآنية الكبيرة التي توضع عليها أواني الطعام والشراب. ومن التوسع في هذا الموضوع أن الخط العربيّ انتشر بين المسلمين الصينيين الذين كتبوا المصحف الشريف بخط مميز، يحمل تأثير الرسم الصيني للحروف.

وممن برع في هذا المجال: الخطاط الصيني الحاج نور الدين الذي نشر كتاباً كاملاً يضم أعماله الخطية، ومن بينها مجموعة من اللوحات استخدم فيها «التصيين» ببراعة، كما أنه خطَّ غلافَ كتاب «حكايات شعبية من الصين» الذي نشرته دار الفيصل الثقافية سنة ١٤٣٣هـ، بترجمة عبدالعزيز بن محمد الحميد، بطريقة فنية مميزة، تخفَّى فيها الحرف العربيُّ وراء التصيين.

حسين حسن حسين | هيئة التحرير

محمد يونس ابن صائغ نشأ في مدينة حيوية تتسم بالحركة التجارية في منطقة البنجال الشرقيّ في شمال شرق الهند، حيث وُلد فيها في عام ١٩٤٠م، وكان والده هازي دولا ميا شوداغار ميسور الحال، حريصاً على أن يتلقَّى أبناؤه التسعة أعلى مستوى ممكن من التعليم، وكان محمد ترتيبه الثالث بين إخوته. وكانت والدته صفية خاتون سيدة فاضلة تُحسِن إلى الفقراء، وتحرص على مساعدتهم قدر المستطاع، وقد ترك هذا البُعد الإنسانيّ أثراً إيجابياً في مسيرة يونس بعد ذلك؛ إذ تعلَّم منها أهمية أن تكون له في الحياة رسالة تتمثل في إسعاد الآخرين.

البروفيسور محمد يونس..

اقتصادي لامس الواقع وعايش المعاناة



من بنجلاديش إلى أمريكا ثم العودة

تلقَّى يونس تعليمه العالي في مجال الاقتصاد في بلاده، وبعد تخرجه انضم إلى لجنة التخطيط في الحكومة التي كان يرأسها نور الإسلام، ثم عُيِّن محاضراً في الاقتصاد في كلية شيتاجونج في عام ١٩٦١م، وأنشأ خلال هذه المدة مصنعاً للتعبئة والتغليف، وفي عام ١٩٦٥م، حصل على منحة من مؤسسة فولبرايت لدراسة الدكتوراه في جامعة فاندربيلت الأمريكية، وكان رائداً من رواد الحركة الطلابية المطالبة باستقلال بنجلاديش عن باكستان، حتى تحقق ذلك في عام ١٩٧١م، ثم عاد إلى بلاده في العام التالي ليدرِّس الاقتصاد في جامعة شيتاجونج، وكانت بنجلاديش تمرُّ وقتئذ بظروف اقتصادية عصيبة؛ وصلت إلى حدّ المجاعة في عام ١٩٧٤م، فمات

نحو مليون ونصف المليون من جرائها.
كان هذا الواقع المرير يؤلمه، وهو الذي درس النظريات الاقتصادية في أرقى الجامعات، وكانت الهياكل العظمية التي يصادفها في الطرقات تجعله يشعر بالتقصير والعجز، وانصب تفكيره في كيف له أن يحسّن حال هؤلاء الناس بالعِلم الذي ناله، فوجد أن البرج العاجي الذي هو عليه لا يسمح له برؤية دقائق الواقع؛ لذا قرّر أن ينغمس في حياة البسطاء ليعرف كيف يعيشون، ويكسبون رزقهم، ويواجهون مطالب الحياة، فقرّر أن يزور القرية المجاورة للجامعة، ويدرس أحوال ساكنيها من قرب، وبينما هو منهمك في معرفة الحقائق على الطبيعة صادف امرأة تصنع كراسي الخيزران، وتتقن صنعتها إتقاناً مبهراً، فسألها عن دخلها اليوميّ، فوجد أنه سنتان أمريكيان في اليوم، فصدمته ضآلة الدخل، وكان السبب أنها تقترض من أحد التجار لشراء الخيزران، ثم تبيعه الكراسي بثمن بخس، وهاله أن الخيزران الذي تصنع به المرأة الكراسي لا يتجاوز ثمنه ٢٠ سنتاً.
وخلص من هذه الحادثة إلى أن كثيرين مثل هذه المرأة يعانون؛ بسبب هذه السنتات القليلة التي يقترضونها، فقرّر أن يسجّل أسماء ٤٠ شخصاً ممن يعانون الظروف ذاتها، ويقرضهم المبلغ الذي يعينهم على التخلص من استغلال التجار المقرضِين، ووجد أن ما يحتاجون إليه ٢٧ دولاراً، فأعطى الطالب الذي عينه مسؤولاً عن البحث المبلغ؛ ليوزّعه على الأشخاص الذين حدّدهم، على أن يعيدوا مبلغ القرض بعد بيع منتجاتهم.

فكرة مثيرة للسخرية

طرح يونس فكرة إقراض الفقراء على مدير البنك المجاور للجامعة، لكنه سخر منه، مستغرباً أن يفكر في إقراض هؤلاء الذين لن يستطيعوا قضاء القروض، لكنه نصحه بطرح الفكرة على رؤسائه، ففعل، ووجد الجواب نفسه، وعندما أخفق في إقناع مسؤولي البنوك بفكرته كان الحلّ أن يصير هو الضامن والكفيل للمقترضين.
وعندما أعاد أهل القرية القروض التي حصلوا عليها، ذهب فرحاً إلى مدير البنك ليثبت له صدق هؤلاء الفقراء، لكن الرجل سخر منه مرة أخرى، وقال: إنهم يستدرجونك، ففي المرة المقبلة لن يعيدوها، ففعل ثانية، وأعادوها، وقال مدير البنك: إن نجاح الفكرة في هذه القرية لا يعني إمكان تعميمها، ففعل الأمر نفسه في قرية أخرى، فنجحت الفكرة، لكنه أخفق في إقناع المسؤولين.
وعندما وجد هذا التعسف فكّر في إنشاء بنك مستقلّ يقوم بتنفيذ الفكرة، فحاول إقناع الحكومة التي لم تقتنع إلا بعد مرور عامين، فكان انطلاق بنك جرامين Grameen Bank رسمياً في أكتوبر عام ١٩٨٣م؛ ليقوم بتقديم القروض إلى الفقراء بنظام القروض المتناهية الصغر التي تساعدهم على إنشاء أعمال بسيطة تدرّ عليهم دخلاً مقبولاً.
أسس البنك (جرامين أوغ)؛ لتُعنَى بتصريف منتجات الأعمال اليدوية للمقترضين من البنك، وبلغت مبيعات المؤسسة خلال خمس سنوات ١٥ مليون دولار أمريكيّ، وكان تعداد العاملات ٨٠٠٠ عاملة حياكة يدوية قُمْنَ بإنتاج أقمشة صُدِّرت إلى إيطاليا، وفرنسا، والمملكة المتحدة، وألمانيا.
واستجابة لاحتياجات الواقع؛ أسس البنك في عام ١٩٩٧م شركة جرامين فون؛ لتعمل في تقديم الخدمات الهاتفية لمنظمي العمل القرويّ، وقدم قروضاً لنحو ٤٣ ألف قرويّ لشراء هواتف نقالة، وأسس البنك شركة لتزويد الفقراء بخدمات الإنترنت، إضافة إلى مقاهي إنترنت في القرى، وقام البنك جرامين باستثمار أموال المتبرّعين وتدويرها؛ من أجل تقديم القروض إلى الفقراء، وتوسيع خدمات البنك.

> درس يونس النظريات الاقتصادية في أرقى الجامعات، وكانت الهياكل العظمية التي يصادفها في الطرقات تجعله يشعر بالتقصير والعجز


محمد يونس يتوسط مجموعة من السيدات المستفيدات من مشروعه

جوائز وأوسمة

نـال البروفيسـور محمـد يونـس إضافة إلـى جائزة نوبل للسـلام، وسـام الحرية الرئاسـيّ الذي يعدّ أعلى وسام أمريكيّ، والميدالية الذهبية للكونجرس، وجائزة رامون ماجسايساي الفليبينية في عام ١٩٨٤م، وجائزة الغذاء العالمية، وجائزة سيمون بوليفـار الدوليـة فـي عـام ١٩٩٦م، وجائزة أمير أسـتورياس للوفاق، وجائزة سـيدني للسـلام في عام ١٩٩٨م، وجائزة سـيول للسـلام في عـام ٢٠٠٦م، وجائزة الأميـر عبدالعزيز بن عبدالله العالميـة للشـخصية القيادية العالميـة لريادة الأعمال في عـام ٢٠١٤م، وحصل يونس على ٥٠ درجة دكتوراه فخرية من جامعات مختلفة في ٢٠ بلداً، و ١١٣ جائزةً عالميةً من ٢٦ دولةً، وأوسمة شرف من دول عدة.

صـوَّروا لـه أن الفقـراء محتالـون؛ فأثبـت أنهم أكثر وفاءً من كثير مـن الأغنيـاء

أنواع القروض

تتنوع القروض الحسنة التي يقدمها بنك الفقراء؛ فمنها القرض العام، وهو النوع الأساسي من القروض في البنك، ويحصل عليه كل أعضاء المصرف، ويبلغ الحد الأقصى له ١٠ آلاف تكا، ويستخدم في جميع أغراض الاستثمار الفرديّ.

ويدعم القرض الموسميّ بشكل رئيس الزراعات الموسمية، وهو نوعان: فردي والحد الأقصى له ٣ آلاف تكا تردّ في موسم الحصاد أو في مدة ستة أشهر، وجماعي ويبلغ حده الأقصى١٠ آلاف تكا للمجموعة، و١٣٥ ألف تكا للمركز من٦ مجموعات.

ويمنح البنك ما يعرف بقرض الأسرة، وتحصل الأسرة عليه بوساطة المرأة، وهي المسؤولة عنه قانونياً، ويسدّد على أقساط أسبوعية خلال عام، والحدّ الأقصى له ٣٠ ألف تكا، لكنه يراوح في الأغلب بين ١٠ و١٥ ألف تكا، ويشترط له أن تكون المرأة قد سبق لها الاقتراض أربع مرات.

ومن القروض الأخرى: قرض الإسكان، وقرض التكنولوجيا، وقروض صناديق الادخار.

ويستثمر الفقراء قروض بنك جرامي في مصايد الأسماك، ومشروعات الريّ والنسيج، وغيرها، كما أن من بينهم رواد أعمال يتبنون مشروعات مبتكرة تدرّ عليهم دخلاً جيداً، ومنهم من حقّق نجاحاً كبيراً، وانطلق في عالم المال والأعمال محققاً مكانة كبيرة.

وامتد تأثير بنك جرامين من بنجلاديش إلى دول كثيرة، مطلقاً فكرة البرامج المصممة للقرية الصغيرة، التي تدار بوساطة الحكومات أو القطاع المصرفيّ أو البنوك، فالفكرة تنفذ في أوربا في كلّ من فرنسا، والنرويج، والسويد، وإيطاليا، وإسبانيا، والبرتغال، وفي منطقة الشرق الأقصى؛ مثل: الصين والهند ومعظم البلاد الإفريقية، ومنطقة الخليج العربيّ، ووجدت الفكرة انتشاراً كبيراً في مدن عدة بالولايات المتحدة الأمريكية من خلال (جرامين أمريكا) منذ عام ٢٠٠٨م.

ويقول يونس: إنه لم يكن يتوقع نجاح فكرة بنك الفقراء، الذي أصبح أساساً لبنك الفقراء العالميّ الذي يخدم مليونَيْ فرد ونصف المليون في أكثر من مئة دولة منتشرة في القارات الخمس.

الأغنياء والأنانية المفرطة

ينتقد يونس النظام الاقتصاديّ العالميّ القائم على أساس أن البنوك وخدماتها هي للأغنياء، فهم الذين يستطيعون الحصول على القروض، وزيادة حجم رؤوس أموالهم، وثرواتهم، وهم الذين يسعون إلى تحقيق المكاسب الضخمة على حساب الفقراء بأنانية مفرطة، أصبحت هي التي تقود الاقتصاد العالميّ.

وفي الوقت نفسه، يلقي الاقتصاد العالميّ اللوم على أسلوب التربية الذي ننشئ فيه أبناءنا، والمفهوم الخطأ الذي يجعلهم يتعلمون لكي يحصلوا على وظيفة؛ مما زاد معدل البطالة في العالم بين الشباب ليبلغ ٧٠٪، وهو يرى أن الهدف الأصيل لبنك جرامين هو العمل على تغيير هذه المفهومات، وإفهام الشباب فكرة عدم انتظار الوظيفة، وأن عليهم السعي ليكونوا أصحاب أعمال خاصة تتيح لهم فرص التطوير وتأكيد الذات، وتستوعب أيادي عاملة تقلص معدل البطالة، وتدفع عجلة التنمية الوطنية.

اعتراف عالمي

نال البروفيسور محمد يونس جائزة نوبل للسلام في عام ٢٠٠٦م، مناصفةً مع بنك جرامين، لإسهامهما في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وذكرت لجنة نوبل النرويجية في مسوغات منحه الجائزة أن محمد يونس نجح في ترجمة الرؤى إلى إجراءات عملية لمصلحة الملايين من الناس ليس في بنجلاديش فحسب، إنما في كثير من البلدان الأخرى. قد تكون القروض للفقراء من دون أي ضمان مالي تبدو فكرة مستحيلة، لكن منذ بدايات متواضعة قبل ثلاثة عقود، بوساطة بنك جرامين قبل كل شيء، جعل محمد يونس من القروض الصغيرة أداة أكثر أهمية من أيّ وقت مضى في مكافحة الفقر.

ويعدّ يونس أول بنجالي ينال هذه الجائزة، وقد خصّص جزءاً من نصيبه من الجائزة (مليون و٤٠٠ ألف دولار) لإنشاء شركة لتقديم الموادّ الغذائية للفقراء بأسعار زهيدة، وخصّص الجزء المتبقي لإقامة مستشفى العيون للفقراء في بنجلاديش.

وكان الرئيس الأمريكيّ الأسبق بيل كلينتون من أوائل الذين نادوا باستحقاق يونس هذه الجائزة، وهو الذي كان وراء انتشار فكرة بنك جرامين في بلاده، فعندما كان حاكم ولاية أركانساس في منتصف الثمانينات دعا يونس، وعهد إليه إنشاء مصرف مماثل لمصرف جرامين في ولايته؛ لمساعدة الشباب والنساء على تأسيس مشروعات صغيرة، توفر لهم ولغيرهم فرص العمل والعيش الكريم.



عيونُكِ خُضْر

عيونُـكِ خُضْـرٌ وقلبُـكِ أخضـرْ
وصوتُـكِ رنَّـةُ نـايٍ طـروبٍ
وشَـعْرُكِ شَـلالُ نُـورٍ وعطـرٍ
كَمَـوجٍ بِـهِ تَسْـتحمُّ النجـومُ
تُفَجِّـرُ نَبْعـاً بِلَـوْنِ اللجيـن
وترسُـم ثَغْـراً وديعـاً ضحـوكاً
وتَكْتُـبُ شِـعراً لـه ألْـفُ معْنًـى
أراكِ فأُبْصِـرُ زَهْـرَ الربيـعِ
دَعينـي أعُـبُّ شـذاكِ، فإنِّـي
أنـا كالفَـراشِ يُحـبُّ الزهـورَ
تَزيديـن فـي كل يـوم جمـالاً
أقـولُ: أُحِبُّـكِ! لكـنْ أرانـي
فأمضـي أُفتِّـشُ عـن أحـرُفٍ
وأصْرِفُ في نسـجها طـول ليلي
لِغيـركِ مـا قالهـا السـابقون
وأبحـثُ في شِـعْرِ أهـلِ الغـرامِ،
عَسَـى أهتَـدي لـكلام جديـدٍ
أهيـمُ بحُسْـنِكِ ليـلاً نهـاراً
فهـل غـادر الشـعراءُ كلامـاً
وهـل وجـدوا فـي الكلام سـبيلاً
وهل هام (قيسٌ بليلى) هيامي
فأنـتِ التـي كنـتِ، بـل لا تـزالُ
وأنـتِ التـي كنـتِ نهـرَ عَبيـرٍ
وخَـدُّكِ باقـةُ وردٍ مُعَطَّـرْ
وثَغْـرُكِ خمـرٌ حـلالٌ وسُـكَّرْ
علـى صـدركِ المرمـريِّ تَحَـدَّرْ
كنُقطـةِ حِبْـرٍ علـى الطـرسِ تَقْطُرْ
كما لاح، فـي جَنَّـةِ الخُلْـدِ، كوثَـرْ
كَحَقْـلٍ مِـنَ الأُقْحُـوانِ المُنَـوَّرْ
بكل الذي جاء في الشـعرِ يَسْـخَرْ
وإنْ غـابَ فصـلُ الربيـعِ المنـوّرْ
بـه أسْـتَعيدُ شـبابي المبكِّـرْ
إذا ذاق منهـا السُّـلافَةَ يَسْـكَرْ
وحبُّـكِ فـي القلـبِ ينمـو ويكبُـرْ
أقـول كلامـاً قديمـا مُكَـرَّرْ
بهـا لهَـوَايَ العميـق أُصَـوِّرْ
أُحـاول عـن عُمْـق حبـي أُعبِّـرْ
ولا طَرقَـتْ بالَهُـمْ منـذ أدهُـرْ
وأشـعارُهُمْ مثـلُ نَبْـعٍ تَفَجَّـرْ
يُسـاوي (أحِبُّـكِ ألفـاً) وأكثَـرْ
كمـا هـام حُبّـاً بعبلـةَ عنتـرْ
لقلبـي بـه عـن هـوايَ أُعَبِّـرْ
لقـول الـذي فـوق مـا يُتَصَـوَّرْ؟
وهـلْ كان فيمـا يقـول يُفَكِّـرْ؟
عيونُـكِ خُضْـراً وقلبُـكِ أخضـرْ
وخَـدُّكِ باقـةُ وردٍ مُعَطَّـرْ

العياشي أدراوي | المغرب



الخطاب الإعلامي وتغييب الوعي

غير خافٍ أن العالَم صار يتحول بشكل سريع مؤسِّساً نظاماً مغايراً؛ على المستويات كافة؛ الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية، وهو نظام قوامه التدافع بين الحضارات، والاحتكاك بين الثقافات، والتصارع بين القيم والرموز، وهو وضع تؤدِّي فيه التكنولوجيا الحديثة؛ من وسائل الإعلام والتواصل وسبل تبادل المعلومات وأسس المعرفة دوراً مهماً، فرض تصوراتٍ وحقائقَ جديدةً، وغيَّب أموراً يقينيةً كانت مستقرَّة في شكل من أشكال إعادة هندسة الفكر والواقع، وإذا كان التحوّل سمةً جوهريةً من سمات التاريخ والحضارات، وكان التفاعلُ الثقافيُّ ظاهرةً لصيقةً بالصيرورة التاريخية الإنسانية، فإن ما يميز هذا التحول والتفاعل في العصر الراهن من غيره جملة أمور؛ أهمها شدة الاحتكار، وسرعة الامتداد، واختلال التوازن بين الثقافات المتفاعلة؛ مما يسبب الشعور بهيمنة الجانب القويّ، وزيادة سيطرة القطب الواحد؛ لهذا يفرض الواقعُ التفكيرَ في الأدوار التي صار يؤدِّيها الإعلامُ المعاصر، والبحث في الأهداف والمقاصد؛ للوقوف على طبيعة الفلسفة الموجِّهة له، وتأثيراتها الثقافية في الفكر والوعي معاً.

الخطاب الإعلامي.. مقاربة تشخيصية

الأدوار الإيجابية

ليس ثمة شكّ في أن الإعلام المعاصر –وبخاصة المرئيّ– يؤدّي أدواراً على قدر كبير من الأهمية في التوعية، والتنمية المجتمعية والكونية، والمساهمة في التثقيف؛ للارتقاء بنوعية الحياة؛ من ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر:

١– كسر العزلة المفروضة على الناس في مختلف المجتمعات؛ مما يرفع وضع الحصار المعلوماتيّ الذي طوّق كثيراً من المجتمعات في زمن ليس بالقصير، فالإعلام يُخرِج الإنسان من المحلّيَّة الضيِّقة إلى العالَمية والكونية، فتتحطم بذلك قيود الحظر المفروضة على معرفته؛ لهذا لم تعُدْ هناك رقابة ممكنة بمعنى الحصار والحظر. فمع كسر العزلة يقوم الإعلام الفضائيُّ خاصةً بفضح كلّ ممارسات القهر والاستبداد والغبن والفساد؛ ليصير بذلك «أداةً كبرى للشفافية والملاحقة»[١].

٢– خلق حالة كونية من التقارب الإنسانيّ، وتوسيع الآفاق؛ لتحقيق المشاركة العالمية في قضايا المسار والمصير باستمرار، والاتصال بكلّ ما يجري في الكون في التوّ واللحظة[٢]، وللمرء أن يتصوَّر مقدار النموّ المعرفيّ الناتج عن ذلك كلّه.

٣– فتح سبل التثقيف والتعلُّم من الآخرين؛ مما يتيح فرصة فعلية لإثراء حياة الإنسان، والارتقاء بمستويات معارفه، وقراراته، وخياراته، وسلوكياته، وتطلُّعاته.

وغنيّ عن البيان أن ما ذُكر بوصفه إيجابيات الإعلام المعاصر يلتقي مسألةً أساسيةً، تتمثل في خلق أُفق إنسانيّ أكثر امتداداً، يتجاوز ما يمكن عدّه خصوصيات، وما تقتضيه من نقاء وأصالة وتميز وانعزال. إنه واقع جديد لا مكان فيه إلّا للكونيّ والمشترك، واقع مفتوح له منطقه الخاصّ، الذي لا يقبل إلا منطق التفاعل والمشاركة، وهُويته الخاصة التي لا تُعرَف إلا بالهُويات الهجينة المحكومة بتوجُّهات الثقافة الرأسمالية وأيديولوجيا الإعلام الموجّه –ابتداءً وانتهاءً– من قِبَل فلسفة العولمة التي ترومُ نسخَ ما كان يُعَدُّ قبلها من الثوابت أو اليقينيات.

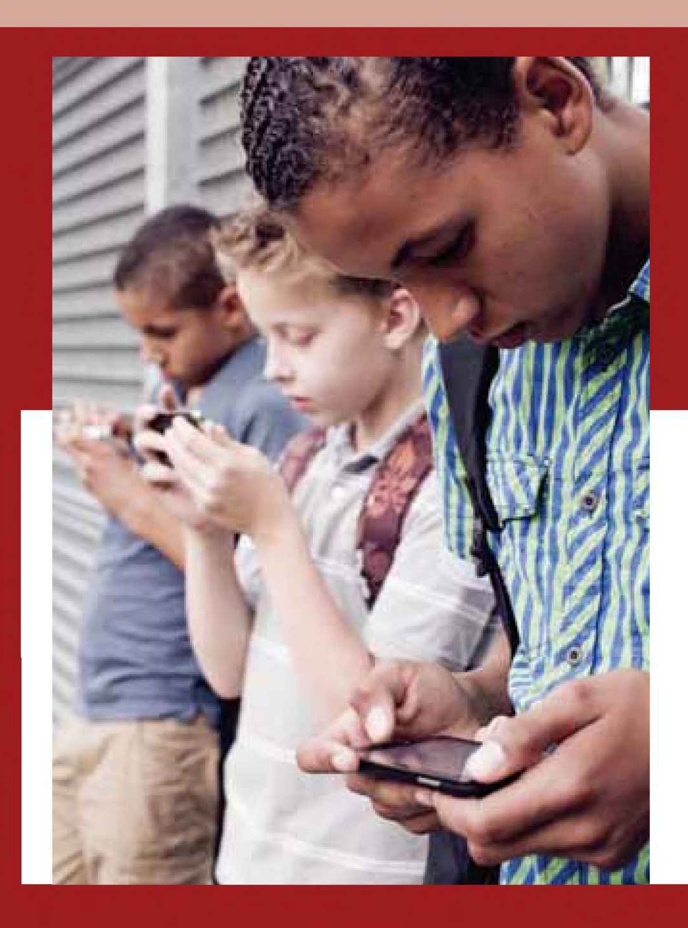
المفعولات السلبية

إن إيجابيات الإعلام الراهن –على الرغم من كثرتها– لا يمكن قياسها أو مقارنتها بمفعولاته السلبية، وآثاره السيئة، سواء أكان على المستوى الكمّيّ العدديّ أم على مستوى الفاعلية والتأثير، فالإعلام اليوم هو الفاعل الأساسيّ في إعادة إنتاج الوعي، وصناعة الثقافة، وتشكيل الإدراك والأذواق والتوجُّهات والقيم، وتحديد المواقف والخيارات والسلوكيات، استناداً إلى إشاعة ثقافة الصورة المَشْهَد[٣] ببلاغتها الجديدة، ونحوها المغاير، ومجازها المختلف عن مجاز ثقافة المكتوب التي كانت تقتضي آليات محدّدة للتلقّي والفهم والتأويل؛ آليات لم تعُدْ قادرةً على التفاعل مع الثقافة الجديدة (ثقافة الصورة) بتوجُّهاتها وأهدافها المتعددة في المظهر، المتَّحِدة في الجوهر، على نحو ما يتَّضح من النماذج الآتية:

١– التركيز في التسلية والترفيه من خلال الإثارة الحِسِّيَّة؛ الشيء الذي جعل الترفيه وصناعة المتعة فلسفةً تجاريةً، وليس إسعاداً محضاً للمشاهِد، فالكثير من القنوات الإعلامية صارت متخصصةً في هذا النوع من الترفيه،

عالَم «مُمنتَج»

يصير الخطاب الإعلاميّ خطاباً انتقائياً، لا يصوِّر الواقع بقدر ما يخلق واقعاً آخر افتراضياً Vertual قائماً أساساً على الإخراج والمعالَجة Montage، وما يقتضيانه من (بلاغة إلكترونية) و(نحو تقنيّ)، فيصير عالَماً (ممنتجاً) -نسبة إلى المونتاج- ووفق تعبير بورديو p. Bourdieu تعاد صياغة الحقائق، وبناء المُسلَّمات، وقلب أنظمة التفكير وأنساق الوجود والحياة، وما يترتب على ذلك من زعزعة الرموز الثقافية، وإفقادها القدرة على تقديم المعنى، على نحو يؤدِّي إلى عدم ثبات الذات وتشظيها وتفكُّكها.



الإعلام يُخرِج الإنسان من المحلِّيَّة الضيِّقة إلى العالَمية والكونية، فتتحطم بذلك قيود الحظر المفروضة على معرفته؛ فلم تعُدْ هناك رقابة ممكنة بمعنى الحصار والحظر

ومروَّجة له بوصفه فلسفةً في الحياة (وبخاصة في محيط الشباب)؛ خدمةً لسياسة التخدير والإلهاء[٤]. وأصاب بريجنسكي، المُنظِّر المعروف للنظام العالميّ الجديد؛ إذ ابتدع -للدَّلالة على هذه الحال وتشجيعها- تعبير رضاعة التسلية Tittytainment. وهذه الرضاعة تقدِّم جرعاتٍ متواصلةً من عدم المبالاة، والحيوية المفرطة، والحداثة الشهوانية التي ترسِّخ اللذَّة بوصفها قيمةً مثاليةً.

٢- تهميش الفاعلية، وتخدير الوعي من خلال النجومية وبزنسة الرياضة[٥]؛ ففي أثناء بحثها عن الإثارة وجذب المشاهدين إليها تركز أغلبية وسائل الإعلام في النجومية بشتى أصنافها (رياضية، فنية، دينية،...)، وتخصِّص لأخبار النجوم من المساحة ووقت البثّ ما لا تُخصِّصه للموضوعات الأخرى، على الرغم من أن الرياضة هي أبرز ميادين النجومية على الشاشات وصفحات الصحف والمجلات، على نحو لا يحتاج إلى توضيح وتأكيد مساهمة الإعلام بشكل كبير في تسهيل سبل المتعة والمشاركة الرياضية لمليارات المشاهدين على مستوى العالم، فخَلَق ذلك إمكانيات غير معهودة من التفاعل الإنسانيّ في أكثر الأنشطة نبلاً وارتقاءً وهي الأنشطة الرياضية، فقد تحوَّلت الرياضة إلى لحظات من التحمُّس للإنجازات الخارقة، والتنافس في تجاوز الذات وقدرتها، وخلقتْ نوعاً من المشاركة العالمية بفضل الشاشات، حتى إنها صارت العقيدة الجديدة للشباب والأجيال الصاعدة التي حلَّت محلّ العقائد الاجتماعية والسياسية[٦].

ومن الواضح أن صناعة النجوم إنما تكون لأغراض ترويجية على صلة وثيقة بثقافة الربح والتشجيع على الاستهلاك، أما نجومية الجهد والإنتاج والعمل فهي قابعة في مكانها المتواضع، فقد صارت النجومية ومتعة المشاهدة الرياضية كالنجوم التي تملأ على الشباب دنياهم التي خلت من حماس العطاء والمشاركة، وغدت أملاً يحلم به الشاب؛ كي يصبح نجماً كروياً، فيقفز بذلك من فوق حاجز الفقر والبؤس، وينضمّ إلى عالم المشهورين الأثرياء[٧].

٣- خلق ما يسمى بصناعة الموافقة التي تتحقق حين يتعطل الحسّ النقديّ، وتثار الشهوات والرغبات؛ لذلك تسيطر الإعلانات الاستهلاكية على الفضاء الإعلاميّ، فيتحوّل البثّ إلى إطار إعلانات محض، يملأ الفراغ ببرامج متنوعة توافق الأيدولوجيا الاستهلاكية التي تعمل على بناء تصوُّر للعالم، ونمط حياة تقوم مرجعيته وأحكام قيمته على الاستهلاك[٨].

إنه ترويج للفلسفة الاستهلاكية للوجود، وهي فلسفة تقترن أساساً بالأنانية والحظ والحظوة الفرديين، والقدرة الفردية على الاستهلاك، مقارنة بالآخرين الأقل قدرة وحظاً، وأدَّى ترسيخ هذا النوع من التفكير والشعور إلى إصابة الانتماء الاجتماعيّ في مقتله، وتعطّل العطاء مثل تعطل النحن المشارِكة[٩].

الخُطا السريعة لثقافة الواقع المفرط تخترق الأفق الدنيويّ والشخصيّ والجماعيّ إلى اللحظة الفورية، وتصبح التقاليد والعادات والموروثات شبه متلاشية



٤- تكثيف المعلومة، وضغط الزمن، أو ترسيخ السرعة والآنية، فالشاشة دائماً في عجلة من أمرها، لا مجالَ للتوقُّف والتفكير والعودة إلى الوراء، إنها تعمل على ضغط الزمن قدر الإمكان؛ لذلك نرى الأحداث والإيقاعات سريعةً، وكذلك الاتصالات (سؤال يليه جواب؛ الآن، بسرعة). وصور الفيديو متتابعة متلاحقة؛ على هذا النحو «يعيش المشاهِد في حاضر أبديّ، واهتمامات اللحظة. إنها ثقافة الراهن، أما الديمومة وحِسّ الاستمرارية فيغيبان عن الوعي الاجتماعيّ والأفق السياسيّ، وذلك ما يفرض البحث عن متع اللحظة الراهنة»[١٠]، ولعل أخطر ما في ثقافة اللحظة كونها تساهم في نسف التاريخ والهُوِيَّة لصالح الاستهلاك والإثارة وفق تعبير باتريك شارودو[١١].

على هذا الأساس، فإن ثمة ما يحضّ على القول: إن وظيفة وسائل الإعلام -كما يرى فريديريك جيمسون أحد أساتذة تاريخ الحضارة بجامعة كاليفورنيا- ليست سوى دفع الوقائع الحاضرة إلى الماضي بأسرع وقت ممكن، وكأننا تحت رحمة وكلاء آليات فقدان الذاكرة، وهذا يؤدّي إلى أن المشاهِد المتلقّي يعيش في الآنية والراهنية ومتطلبات اللحظة التي تدفعها ما قبلها؛ كي يدفعها ما بعدها، فلا يكاد يصل إلى نهاية النشرة أو البرنامج حتى يكون قد طُوِي أولُهما، ووفق هذا فلا وقت للتفكير والاستيعاب والتحليل والنقد، إنها انطباعات تتراكم من دون إتاحة المجال للاشتغال بها، واتّخاذ مواقف منها؛ الأمر الذي يحوّل المشارَكة والفاعلية إلى المشاهدة والسلبية.

وإذا نُسفت الديمومة بهذا الشكل، وتسارع الزمن حتى يصير محض لحظات ولقطات متدافعة ينسخ بعضُها بعضاً، لا تقدّم من القضايا إلا مظهرها، ومن الحقائق إلا سطحها، فإن التاريخ ذاته يُنسَف معها، وإذا تفتَّت التاريخ تعذَّر التموقع في الزمن، وبالتالي تُهدَّد الهُويةُ من خلال العيش في الراهنية الدائمة؛ مما يرسِّخ مرجعية كونية غير راسخة لا في الزمان، ولا في المكان[١٢].

فالخُطا السريعة لثقافة الواقع المفرط تخترق الأفق الدنيويّ والشخصيّ والجماعيّ إلى اللحظة الفورية، وتصبح التقاليد والعادات والموروثات شبه متلاشية. إنَّ ما هو محتسب الآن، وما هو مُعدّ هو كونُك قادراً على الشعور باللحظة الآنية، والتمتُّع بها، فالنشوة والتنفيس عن العواطف يصبحان من فئةٍ تتفوّق على الكفاءة والإنتاجية[١٣]. وفق هذا السياق غير العادي، يرى جاك جوتراند J.Gautrand أن الوسائل السمعية والبصرية الحديثة أسست علاقةً إنسانيةً مع الزمن، وذلك بإيهامة أنها يمكنها أن تؤثّر في هذا الزمن، وأن تُوقِفه، أو تسرعه، أو تعود به إلى الوراء[١٤].

٥- مزج قيم الأصالة وبخاصة في المجتمعات العربية، وتعميق الغزو الثقافيّ، فوسائل الإعلام وأدواته بوصفهما المرتكزات الأساسية التي تستند إليهما العولمة، يُروِّجان توجُّهات وقيماً تضادّ الانتماء، والعطاء، والالتزام بقضايا الوطن والأمة والمصير، والمشاركة في صناعتها[١٥]، بوساطة إخضاع الناس لنوع من التنميط الثقافيّ والاجتماعيّ في صورة (نمذجة) الحياة، وصناعة الذوق، وهذا لا يقضي على الخصوصيات الاجتماعية فحسْب، إنما يقضي -أيضاً- على القيم الثقافية والذهنية في الاختيار والتذوُّق وحركة التمييز، على نحو ما يقول بودريارد J. Boudrillard.

لعلَّ ذلك ما أفضى إلى حرمان (العلامة الثقافية) من أيّ مرجعية سياقية، فظهرت العلامات الثقافية خاليةً من مرجعياتها؛ مما جعلها خاويةً وهشةً وسطحيةً، فصار الإعلام المرئيّ خاصةً آلةً اقتصاديةً، وليس مصدراً للأفكار الخلَّاقة، ومَوْرداً للثقافة الرصينة، وطبيعيٌّ أن تتخلَّق الآلةُ بأخلاق صيانتها منسجمةً مع مجتمع (الفردية) المركّب من المرح والاستهلاك الفوريّ؛ لذلك لا يمكن أن تتواءم مع إثارة النقد، وإنتاج القناعات الراسخة، والمبادئ الثابتة، وإنما شيء ما بين القَبول السطحيّ والإشاعة الاجتماعية وقبول الإشاعة[١٦].

إن الثقافة البصرية تصير وفق هذا التخلُّق ثقافةً مجزأةً سطحيةً استهلاكيةً، تُساهِم في تفكيك البِنَى الثقافية القائمة وتدميرها، والأخطر من ذلك أن هذه الثقافة (الثقافة البصرية) غير قادرة وحدَها على تشكيل بِنَى جديدة؛ لأن الإعلام المرئيّ خاصةً يقدّم تصوُّراً للعالم يسوده التركيز الاعتباطيّ المفاجئ في القضايا، والإيقاف المفاجئ لها؛ لذلك فهو «أداة مميزة لفرض الكثير من مفاهيم العصر، لفرض وتيرة الحدث، ولاختزال التعقيد إلى صورة بسيطة»[١٧].

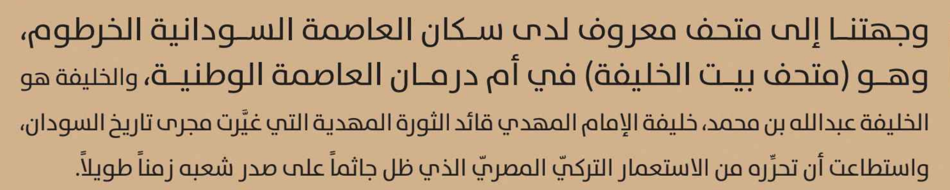
الإعلام اليوم هو الفاعل الأساسيّ في إعادة إنتاج الوعي، وصناعة الثقافة، وتشكيل الإدراك والأذواق والتوجُّهات والقيم، وتحديد المواقف والخيارات والسلوكيات

الهوامش والمراجع

(١) مصطفى حجازي، علم النفس والعولمة: رؤى مستقبلية في التربية والتنمية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص١٢٠، عام ٢٠١٠م.
(٢) المرجع السابق.
(٣) للتوسع يراجع: عبدالله الغذامي، الثقافة التلفزيونية: سقوط النخبة وبروز الشعبي (الفصل الأول)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، عام ٢٠٠٥م.
(٤) مصطفى حجازي، علم النفس والعولمة، ص١٢٢.
(٥) مصطفى حجازي، حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوات الأصولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص٥٥، عام ١٩٩٨م.
(٦) المرجع السابق، ص٥٦.
(٧) مصطفى حجازي، علم النفس والعولمة، ص١٢٩.
(٨) نهوند القادري عيسى، قراءة في ثقافة الفضائيات العربية: الوقوف على تخوم التفكيك، مركز دراسات الوحدة العربية، ص٥٠، عام ٢٠٠٨م.
(٩) مصطفى حجازي، علم النفس والعولمة، ص١٢٢.
(١٠) نهوند القادري عيسى، قراءة في ثقافة الفضائيات العربية، ص٤٧.
(11) pratick charaudeau، Le discours d'information mediatique، (paris: nathan; paris: Institut national de l'audivirisuel) p:152، 1997.
(١٢) مصطفى حجازي، حصار الثقافة، ص٥٢.
(١٣) جيريمي ريفكين، عصر الوصول: الثقافة الجديدة للرأسمالية المفرطة، ترجمة: صباح صديق الدملوجي، المنظمة العربية للترجمة، ص٢٥٧ وما بعدها، عام ٢٠٠٩م.
(14) Jacques gautrand، L'empire des ecrans، preaux clercs، p105، 2002.
(١٥) مصطفى حجازي، علم النفس والعولمة، ص١٢٤.
(١٦) علي ناصر كنانة، إنتاج وإعادة إنتاج الوعي : عناصر الاستمالة والتضليل، منشورات الجمل، ص٢٦ - ٢٧، عام ٢٠٠٩م.
(١٧) المرجع السابق، ص٣٠.

متحف

بيت الخليفة



وجهتنـا إلى متحف معروف لدى سـكان العاصمة السـودانية الخرطوم، وهـو (متحف بيـت الخليفة) في أم درمـان العاصمة الوطنيـة، والخليفة هو الخليفة عبدالله بن محمد، خليفة الإمام المهدي قائد الثورة المهدية التي غيَّرت مجرى تاريخ السودان، واستطاعت أن تحرِّره من الاستعمار التركيّ المصريّ الذي ظل جاثماً على صدر شعبه زمناً طويلاً.



بيت الخليفة

يقع بيت الخليفة في مدينة أم درمان العاصمة الوطنية للسودان، وتبلغ مساحته نحو ٣٥٠٠م٢، وقام ببنائه حمد عبدالنور تحت إشراف الإيطالي بيترو، وبُني البيت على مرحلتين: المرحلة الأولى تتكون من طابق واحد، وبُنيت في المدة (١٨٨٧- ١٨٨٨م)، والمرحلة الثانية هي بناء طابقين، ونُفِّذت عام ١٨٩١م. ويقع البيت في منطقة يفوح منها عبق التاريخ، ويتوسط مجموعة من المواقع الأثرية المهمة



بالمدينة في ذلك الوقت؛ إذ يجاور جامع الخليفة من جهة الشرق، في مواجهة قبة الإمام المهدي، ويحدّه من الشرق بيت الأمير شيخ الدين بن الخليفة، ومن الجنوب بيت السيد البشري بن الإمام المهدي، ويحيط بكل هذه الآثار التاريخية سور أم درمان التاريخيّ الذي كان يحيط مرافق الدولة المختلفة.

بعد هزيمة جيوش الدولة المهدية في موقعة كرري الفاصلة في ٢ سبتمبر عام ١٨٩٨م ودخول الجيش الغازي أم درمان واستباحتها زمناً؛ استقلّ الحاكم الإنجليزي كتشنر باشا هذا المنزل للسكن إلى حين إصلاح ما خربته الحرب في سراي غردون باشا الإنجليزي حاكم عام بلاد السودان الذي قتله الإمام المهدي في أثناء تحرير الخرطوم في ٢٦ يناير عام ١٨٨٥م، ثم استغلّ البيت بعد ذلك في سكن مفتش مركز أم درمان الإنجليزيّ إلى أن يُبنَى منزل جديد له عام ١٩١١م.

وتعرّض المنزل بعد ذلك للهجر، وصار يستعمل إصطبلاً للخيل إلى عام ١٩٢٤م حينما قدم أحد المفتشين الإنجليز، ويُدعى برمبل ومعه زوجته، وكانت لها اهتمامات تاريخية، فطرحت فكرة تحويل البيت إلى متحف، واقترح برمبل الفكرة على السكرتير الإداري، فوافق عليها؛ ليصبح بيت الخليفة متحفاً عام ١٩٢٨م.

التجوال في أقسام المتحف

أول ما يلفت نظر الزائر عند المدخل لوحة على الحائط كُتب عليها باللغة الإنجليزية HVBRT HOWARD FELL HERE SEPT.2.1898، والشخص المذكور هو المراسل الحربيّ لصحيفة التايمز البريطانية، وكان يغطي أخبار المعارك، وكان يقف في هذا المكان عندما كانت مدافع الإنجليز تدكّ قبة الإمام المهدي انتقاماً لمقتل غردون باشا الذي صنعت منه الصحافة البريطانية قدّيساً، وقد حدث ذلك بعد انتصار الغزاة في معركة كرري وسقوط أم درمان في أيديهم، وأصيب الصحفيّ بشَظِيّة أردته قتيلاً في الحال. وفي داخل المتحف جهة اليسار أربع عربات تجرّها الخيول، أو ما يعرف باسم (الكارته) أو (الحنطور) وجدت بأم درمان أيام الاحتلال.

مصانع الزخيرة

نجد أنفسنا في صالات العرض أمام مصنع متكامل للزخيرة، يتكون من (هون) كبير مصنوع من النحاس الخالص، كان يستعمله الأنصار في سحق الكبريت؛ ليصنعوا منه الزخيرة، ويوجد بالقرب منه نماذج للآلات التي كانت تُستخدم لكبس البارود، ونماذج من القوالب التي كانت تُستخدم لهذا الغرض، وكمية من الزخيرة التي كان يصنعها الأنصار ويستخدمونها في حروبهم. فقد أقام الخليفة عبدالله مصانع لتصنيع الزخيرة، وإمداد جيشه بها، ومصانع لاستخراج البارود من جبال كتم والحلفايا وأم درمان، وأقام أماكن للتعبئة والإعداد في مصانع أم درمان وفي جزيرة توتي. وهكذا استطاع أن يمدّ جيشه باحتياجاته من المصادر المحلية، ويكسر الحصار الذي فُرض عليه من الدول الأوربية، وكان له إمداد لا بأس به من الرصاص والنحاس المحليَيْنِ؛

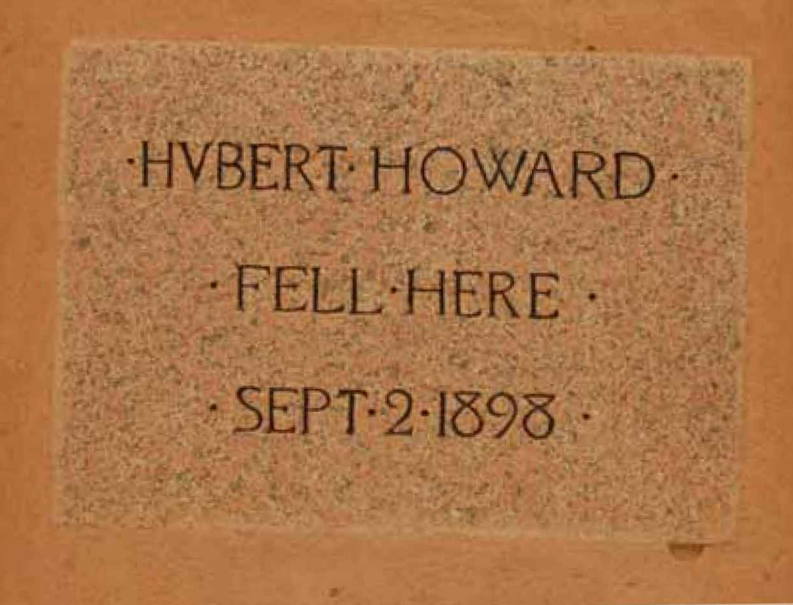


لصنع المفرقعات والظروف.

ويوجد بالغرفة مجموعة من المسدسات التركية، وبنادق متنوعة الأحجام والأنواع، ومجموعة من الدَّرَق المصنوعة من جلد التمساح وفرس البحر، إضافة إلى مجموعة من الدروع المصنوعة من الحديد التي يلبسها قادة جيوش الأنصار؛ للحماية من السلاح الأبيض (السيوف والرماح والحراب وغيرها). وتضم الغرفة -أيضاً- لوحة كتبت باللغة الإنجليزية، تحدّد الخسائر التي تكبّدها كل جانب في معركة كرري المشهورة التي أدّت إلى نهاية الدولة المهدية.

ولعل أهم ما يلفت النظر قبل الدخول إلى هذه الغرفة هو نموذج للحارس الخاص للخليفة عبدالله الذي يقف أمام باب الغرفة، ولا يدخل أحد على الخليفة عبدالله إلا بإذن منه، واسمه الحركي (أبو جبة).





يقع بيت الخليفة في مدينة أم درمان العاصمة الوطنية للسودان، وتبلغ مساحته نحو ٣٥٠٠م٢، وقام ببنائه حمد عبدالنور تحت إشراف الإيطالي بيترو

قاعة مجلس الشورى

يوجد في المدخل إلى قاعة مجلس الشورى مدفعان؛ أحدهما غَنِمتْه قوات الأنصار في معركة شيكان التي أباد فيها الأنصار جيش هكس باشا عن آخره، أحد هذين المدفعين يستقرّ فوق قاعدة ويضرب من على ظهر السفن، أما الآخر فيستقرّ فوق عجلات وتجرّه الخيول، وقد شارك المدفعان في ضرب قبة الإمام المهدي بعد انتصار قوات الاحتلال في معركة كرري.

وقاعة مجلس شورى الخليفة قاعة واسعة، كان الخليفة يجتمع فيها مع أهل الرأي والمشورة؛ ليناقش معهم الأمور التي تهمّ الدولة، وكان مجلس الخليفة يختلف باختلاف الموضوعات التي يراد أخذ الرأي فيها، وكانت أهمية الموضوع المطروح وسِرِّيَّته هي التي تحدِّد نوع العضوية وطريقة النقاش ومكانه، وكان بعض الموضوعات الخاصة والخطط الإدارية والعسكرية يعقد بقاعة المجلس داخل البيت؛ حيث يدخل الخليفة بعد أداء الصلاة؛ ليناقش الأمور مع مَن يختار مِن مجلس الشورى، أما الأمور التي تتطلب السرية والمعاملة الخاصة، فينتقي الخليفة بعض الأفراد؛ لينفرد بهم في غرفته الخاصة. وفي الغرفة الداخلية أو العلوية قد ينفرد الخليفة بأحد معاونيه أو كَتَبة الرسائل؛ لدراسة المسائل المهمة، واتخاذ قرار سِرِّيّ فيها.

وينعقد المجلس بالجامع، وتفرش أرض الجامع بالفِراء و(البروش)، ويرأس الخليفة الاجتماع، ويجلس الباقون أمامه في شكل نصف دائرة، أما في قاعة المجلس الرئيسة فالأمر يختلف؛ حيث يجلس الخليفة فوق سرير عليه (برش) مصنوع من السعف أو الفرو، على حين يجلس الأعضاء أمامه على الأرض.

وعُرِضت على جدران هذه الغرفة مجموعة من الآثار التاريخية؛ منها: بساط الصلاة، وكان يطلق عليه اسم (المقلوبة)، وهو مصنوع من قصب نبات الدخن، وهو نبات ذو رائحة زكية من النباتات الباردة، وقيل في سبب تسمية بساط الصلاة بالمقلوبة: إن الرجال والنساء كانوا يصلّون عليه، وقيل: إن الإمام المهدي نفسه قد صلى عليه.



أصدر بيت المال في المهدية ثلاث فئات نقدية، شملت الجنيه الذهبي، والريال الفضي، ونصف الريال، وكان الجنيه الذهبي صورة طبق الأصل من الجنيه المصري

ويوجد -أيضاً- لوحة علم للدولة المهدية، كُتب عليها: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، محمد المهدي خليفة رسول الله، وعلم تركيا، وقماش من النعش الذي كان يغطي تابوت الإمام المهدي، ونموذج للجُبَّة المرقَّعة التي كان يلبسها الأنصار، إضافةً إلى خطاب من الإمام المهدي إلى أهل الحلاوين، يحثّهم على الاهتمام بالزراعة، والسعي للرزق، إضافةً إلى لوحة للخليفة عبدالله في مجلس الشورى توضّح كيفية جلوس الخليفة في أثناء انعقاد المجلس.

العُملة المهدية

في قسم المال الذي هو عصب الحياة، نرى كيف كانت تسير الحياة الاقتصادية في الدولة المهدية من خلال ما عُرض من آثار، ففي الحقبة التركية لم يكن هناك نقد موحَّد، وتداول الناس عدة عملات؛ منها: العملة التركية ممثلة في الريال المجيدي، وبعض العملات الصغيرة الأخرى، وتداول المواطنون العملة المصرية بفئاتها المختلفة، والعملة الإنجليزية، والريال النمساوي، والريال الإسباني، والريال المغربي، والفرنك السويسري، بل إن المعاملات كانت تجري أحياناً باستخدام الأوراق والجلود. وفي السنوات الأولى من الثورة المهدية تُدوول كل العملات وجميع النقد في ذلك الوقت، وفي عام ١٨٨٥م ضُربت أول عملة سودانية (الريال الفضي، والجنيه الذهبي، ثم الفئات الصغرى من النحاس).

ومن أجل ضبط حركة العملات النقدية قامت الدولة المهدية بسحب معظم المسكوكات النقدية التي كانت متداولةً في أيدي الأنصار، ووضعتها في بيت المال، وبهذه الخطوة قضت الدولة المهدية، إلى حد كبير، على ظاهرة التضخُّم. وفي محاولة جادَّة لإنشاء نظام نقدي في السودان بوضع دعائم اقتصادية منفصلة عن الخلافة الإسلامية في تركيا؛ أمر الإمامُ المهديُّ أحمدَ ود سليمان -أمينَ بيت المال- بضرب عملة محلية تسدّ الفجوة التي أحدثها التناقص المستمرّ في العملات الأجنبية، ولأول مرة في فبراير عام ١٨٨٥م أصدر بيت المال ثلاث فئات نقدية، شملت

الخليفة عبدالله التعايشي

هو الخليفة عبدالله بن السيد محمد، وُلد بدار التعايشة فـي قرية أم دافوق بجنوب دارفور عام ١٨٤٦م، ونشـأ في طفولته في مسجد أجداده وكانوا من حملة القرآن، فقـد وفـد جدهـم الأكبر السـيد محمد القطـب الواوي مـن تونس ذات السـمة الصوفية آنذاك إلى دار التعايشـة بدارفور، ثـم رجع إلى تونس حيث توفاه الله في مدينة القيروان، ولا يزال ضريحه مزاراً لمُريديه، وهو مؤسس الطريقة السمانية بغرب السودان.

حفـظ الخليفـة عبداللـه القـرآن الكريـم بوسـاطة الكتابـة علـى اللـوح الخشـبيّ، ودرس العلـوم الشـرعية والفقـه واللغـة العربيـة علـى يد والـده السـيد محمد، وعند قيام الثورة المهديـة اتصل الخليفة عبدالله بالإمام المهـدي، وأصبح من أخلص مريديه، وأدَّى دوراً مهماً وحاسـماً فـي الثورة المهدية، وقاد موقعة غدير الراية الزرقاء (السـوداء) التي كانت تضم أبناء غرب السودان، وبعد فتح الأبيض صار اليدَ اليمنى للإمام المهـدي بوصفـه أميـر الجيـش، وخليفـة الخلفـاء، والنائب عـن الإمام المهدي، وبعد وفاة الإمام المهدي خلفه في قيادة الدولة المهدية، وواجه عقبات كثيرة داخلية وخارجية، وامتدت مدة حكمه من وفاة الإمام محمد أحمـد المهدي في ٢٢ يونيو عام ١٨٨٥م إلى استشـهاده يوم الجمعـة ٢٤ نوفمبر عام ١٨٩٩م بأم دبيكرات جنوب غرب مدينة كوسـتي بالنيل الأبيض.

أحد جنود المهدية

يوجـد فـي قاعة مجلـس الشـورى مدفعـان؛ أحدهما غَنِمتْه قوات الأنصار في معركة شيكان، ويستقرّ فوق قاعدة ويضرب من على ظهر السفن، والآخر يستقرّ فوق عجلات وتجرّه الخيول

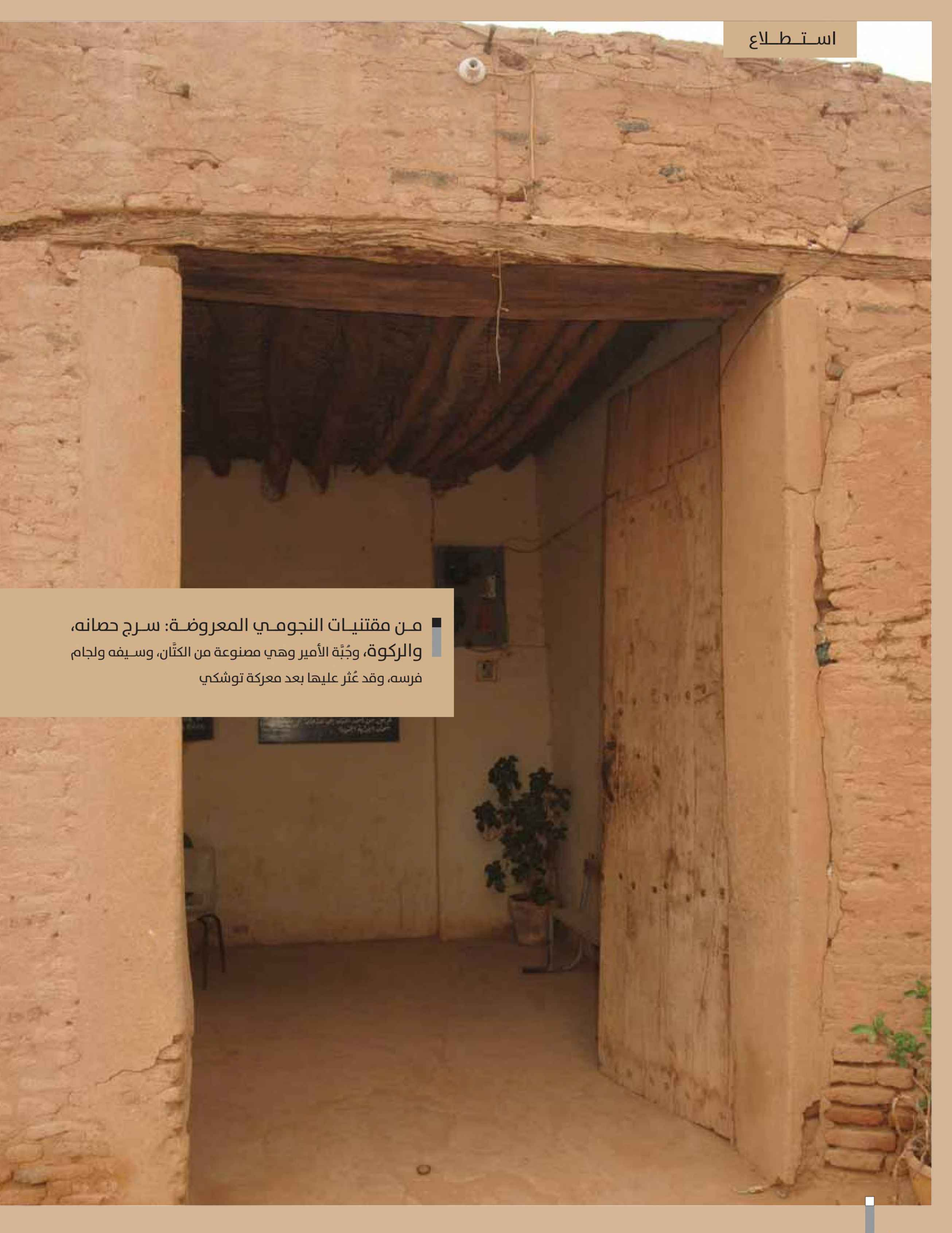
الجنيه الذهبي، والريال الفضي، ونصف الريال، وكان الجنيه الذهبي صورة طبق الأصل من الجنيه المصري؛ إذ ضرب على طُغْرائه اسم السلطان عبدالحميد، وعلى الوجه الآخر تاريخ الضرب عام ١٢٥٥هـ، وقد سُحب هذا الجنيه فيما بعد، وضُرب جنيه يحمل اسم الإمام المهدي، وكتب على طُغْرائه: الريال الفضي بأمر المهدي، وعلى الوجه الآخر: ضُرب في الهجرة سنة ١٣٠٢هـ.

العملة في عهد الخليفة عبدالله

في عهد الخليفة عبدالله وجه أمين بيت المال إبراهيم محمد عدلان عام ١٨٨٧م بفتح دار الضرب وسك فئات مختلفة؛ منها أربع فئات، شملت الريال المقبول، ونصف الريال، وربع الريال، والقروش بأنواعها، وجاء في الطُّغْراء كلمة: مقبولاً؛ عوضاً من: بأمر المهدي، وفي الوجه الآخر: ضُرب في أم درمان سنة ١٣٠٤هـ.

وفي أمانة النور الجريفاوي (١٨٩١- ١٨٩٤م) ضُرب نوعان من العملة؛ النوع الأول: الريال أبو كبس؛ نسبة إلى الحراب التي كانت على جانبيه، والنوع الثاني: العملة الجديدة، وصدر في العام نفسه ثلاث فئات نقدية: ربع ريال، وأربعة قروش، وقرشان. وفي سنة ١٤١١هـ ظهر نوع جديد من العملة يقارب العملة الجديدة؛ اسمه أبو هلال نسبة للأَهِلَّة المنقوشة على جانبيه، وعرفت هذه العملة -أيضاً- باسم (عبدالمجيد) نسبة إلى صانعها، وفي سنة ١٣١٢هـ ضُربت طبعة ثانية من أبي هلال، ونُسبت لاسم صانعها (وقيع الله)، وحُذفت عبارة (عُملة جديدة) من طُغْرائها، واستبدلت بها كلمة (مقبول). وفي سنة ١٣١٥هـ صدرت عملة أخرى نُحاسية لخليفة المهدي، تشبه (أبو كبس) في شكلها العام، لكنها لم تكن متقنة الصنع، وعُرفت محلياً بـأبي شالاية.

وعرض في المتحف نماذج من العملات التي كانت سائدةً في الدولة المهدية؛ منها: الريال أبو كبس، إضافة إلى ختم الإمام المهدي، الذي كان يستخدم في دفع العشور، وعُرضت آلة كاملة كانت تستخدم في سكّ العملة في ذلك العهد.



مـن مقتنيـات النجومـي المعروضـة: سـرج حصانه، والركوة، وجُبَّة الأمير وهي مصنوعة من الكتَّان، وسـيفه ولجام فرسه، وقد عُثر عليها بعد معركة توشكي

مقتنيات السلاطين والأمراء

يوجد في غرف العرض مجموعة من مقتنيات بعض أمراء المهدية؛ على النحو الآتي:

- الأمير عبدالرحمن النجومي

أحد أمراء المهدية العظام، كان يلقّب بأمير الأمراء، وهو ثالث ثلاثة يصفهم الإنجليز بالقادة الذهبيين في الثورة المهدية، وهم: الأمير عثمان دقنة، والأمير حمدان أبو عنجة، والأمير عبدالرحمن النجومي، وينحدر النجومي من قبيلة الجعليين، وانضم إلى الإمام المهدي عام ١٨٨١م في بداية الدعوة، وهو من المهديين الأوائل الذين شاركوا في معركة (الجزيرة أبا) أولى معارك الثورة المهدية، وأدّى دوراً مهماً في معركة شيكان؛ إذ استطاع كسر المربع البريطانيّ الذي كان يقوده هكس باشا، وألحق بذلك الجيش هزيمة ساحقة، وكان له دور بارز في حصار الخرطوم وتحريرها؛ إذ استطاع بعبقريته العسكرية الفذة أن يُحدث ثغرة في دفاعات غردون باشا من خلال بوابة المسلمية والقصر يوم ٢٦ يناير عام ١٨٨٥م، وقتل غردون باشا في القصر. وفي يوليو من العام نفسه صار النجومي أميراً لبربر ودنقلا، وأسند إليه الإمامُ المهدي قبل وفاته قيادة الجيش المتوجه إلى مصر؛ لتحرير شعبها من قبضة الخِدِيو والإنجليز أعداء الإسلام.

وبعد وفاة الإمام المهدي بايع النجومي الخليفة عبدالله الذي أيّد توجه الأمير عبدالرحمن النجومي إلى مصر تنفيذاً لأوامر الإمام المهدي، وكان يخاطبه في كل رسائله التي أرسلها إليه بالحبيب الأمير عبدالرحمن النجومي، ووضع تحت قيادته في هذه الحملة جمعاً من الأمراء وأبناء غرب السودان، وصار الأمير عبدالرحمن النجومي بذلك قائداً لجيش يمثّل وَحْدة السودان.

سار النجومي لإنجاز المهمة التي أوكلت إليه، وواجه في سبيلها صعوبات جمة؛ من حيث شُحّ الإمدادات، وبعد المسافة، ووعورة الطريق الصحراوية؛ مما أثار أعداء المهدية، فأشاعوا أن الخليفة عبدالله كان يريد التخلص من الأمير عبدالرحمن النجومي، وهذا كذب وافتراء؛ لأن إخلاص النجومي للخليفة عبدالله وإيمانه بالمهدية لم يكن موضع شك في نفسه أو في نفس الخليفة عبدالله في يوم من الأيام.

واشتهر الأمير عبدالرحمن النجومي بشجاعته الفائقة، وتميَّز من غيره بقدرات عسكرية هائلة، وصبر عظيم على الشدائد؛ إلى أن لقي ربه شهيداً في معركة توشكي في ٣ أغسطس عام ١٨٨٩م داخل الحدود المصرية، ولم يتجاوز عمره ستة وثلاثين عاماً.

ومن مقتنيات الأمير عبدالرحن النجومي المعروضة: سرج حصانه، والركوة، وهي وعاء مصنوع من الجلد، يُحمل فيه الماء في أثناء الحرب، كذلك توجد جُبّة الأمير وهي مصنوعة من الكتّان، وسيفه ولجام فرسه، ويقال: إن هذه المقتنيات عُثر عليها بعد معركة توشكي.



مجسَّم لجندي

- السلطان علي دينار

هو سلطان دارفور، وحفيد السلطان محمد الفضل الذي عاش في المدة (١٧٧٩-١٨٣٩م)، وصار علي دينار سلطاناً على دارفور بعد السلطان أبي الخيرات بن السلطان إبراهيم عام ١٨٨٩م، وفي هذه الأثناء كان الأمير عثمان جانو أميراً على دارفور، وبعد وفاته خلفه الأمير محمود ود أحمد الذي نقل إلى السلطان علي دينار استدعاء الخليفة عبدالله إياه إلى أم درمان؛ لتجديد البيعة، فحضر من دون تردُّد، وصار من المقرَّبين إلى الخليفة عبدالله، ثم التحق بجيش الكارة بقيادة الأمير إبراهيم الخليل، واشترك معه في عملياته الناجحة في جبال النوبة؛ مما قوّى عُرى الصداقة بينهما.

وفي ٣ سبتمبر عام ١٨٩٨م، اشترك علي دينار مع جنود الراية الزرقاء في معركة كرري، وأوكل إليه الخليفة عبدالله من مقرّ قيادته في المعركة مهمّة انتشال جثمان صديقه الأمير إبراهيم الخليل عندما سقط شهيداً في المعركة وسط وابل من الرصاص والقذائف؛ ليدفن بمنزله بأم درمان، وقد فعل علي دينار ذلك بشجاعة نادرة، وبعد رجوع الخليفة عبدالله من كرري إلى أم درمان، وقبل خروجه منها مهاجراً اجتمع مع صفوة رجاله؛ أمثال السيد المكي السيد إسماعيل الولي، والسلطان علي دينار، والسيد أبي القاسم هاشم، والشيخ

محمود البدوي، وغيرهم من الأعيان والكبراء في دولة المهدية؛ إذ أعفاهم من الهجرة معه ليبقوا بأم درمان؛ للمحافظة على أهليهم وأُسَرهم، وطلب من السيد المكي والسلطان علي دينار أن يذهبا إلى غرب السودان: كردفان ودارفور؛ للمحافظة على أهليهما وديارهما. وذهب علي دينار إلى دارفور ومعه الأمير علي السنوسي؛ إذ استعاد ملك أجداده، وفي عام ١٩٠٠م اعترفت الحكومة رسمياً بعلي دينار سلطاناً على دارفور، واتُّفِق معه على دفع الجزية للحكومة. وكان السلطان علي دينار رجلاً مسلماً محبوباً، تميزت دارفور في عهده برغد العيش؛ حتى أطلق الناس على الفاشر عاصمة ملكه (الخير خنقها)، وكان السلطان علي دينار حريصاً على إقامة شعائر الإسلام ومتمسكاً بتعاليمه، وحاول الاستعمار تشويه صورته الإسلامية، فأشاعوا عنه العنف والظلم. وكان على اتصال بخليفة المسلمين في تركيا، والملك السنوسي في ليبيا، وكان يرسل محملاً سنوياً لكسوة الكعبة المشرفة، إضافة إلى حفر الآبار التي تعرف إلى هذا اليوم بـ (آبار علي) لسقاية الحجيج.

وأعلن السلطان علي دينار تأييده خليفة المسلمين في تركيا ضد الإنجليز وقوات الحلفاء، فأرسلت الحكومة المصرية البريطانية قوةً مسلحةً بقيادة اللواء كِلي هدلستون عام ١٩١٦م؛ لمحاربة السلطان علي دينار، فدارت المعركة الأخيرة التي استشهد فيها السلطان علي دينار بقرية كلمي جنوب زالنجي في ٦ نوفمبر عام ١٩١٦م، وصارت دارفور منذ ذلك التاريخ تابعةً لسلطة الحكم الثنائي.

ومن مقتنياته المعروضة: طاقية أو طربوش مصنوع من الخيط متعدد الألوان، والمخلوفة (وهي مثل اللحاف المحشوّ توضع على سرج الحصان)، وراية الأمير رمضان ابن السلطان علي دينار، ونحاس السلطان المسبوك من النحاس الخالص بتاريخ ١٣١٧هـ، وسَرْج السلطان وهو مزيّن ومكتوب بالنقش، وقاش حصان السلطان، وإبريق من النحاس كان يستعمل في الوضوء والشراب، وعَلَم أصفر وجد في معسكر السلطان علي دينار بعد استشهاده، وبعض النقود تسمى (رضينة) ضُربت في عهد السلطان علي دينار، وسرج جمل السلطان.

- الأمير يعقوب (أخو الخليفة)

يعدّ الأمير يعقوب -شقيق الخليفة عبدالله- الرجل الثاني في الدولة؛ إذ كان يتولى منصب رئيس أركان جيش الخليفة، واحتفظ بسجلات كاملة لكل أفراد قواته التي تجاوزت عشرات الألوف من الأمراء والأفراد والسريَّات، وسجل كميات الزخائر والأسلحة، وأشرف على الترسانات المختلفة ومصانع البارود بكفاءة عالية، إضافة إلى تولّيه إمارة الراية الزرقاء التي تحتاج قيادتها إلى

من إصدارات عهد المهدية

من مقتنيات السلطان علي دينار المعروضة: طربوش مصنـوع من الخيـط متعدد الألوان، والمخلوفـة، وراية الأمير رمضان ابن السلطان علي دينار، ونحاس السلطان وسرجه



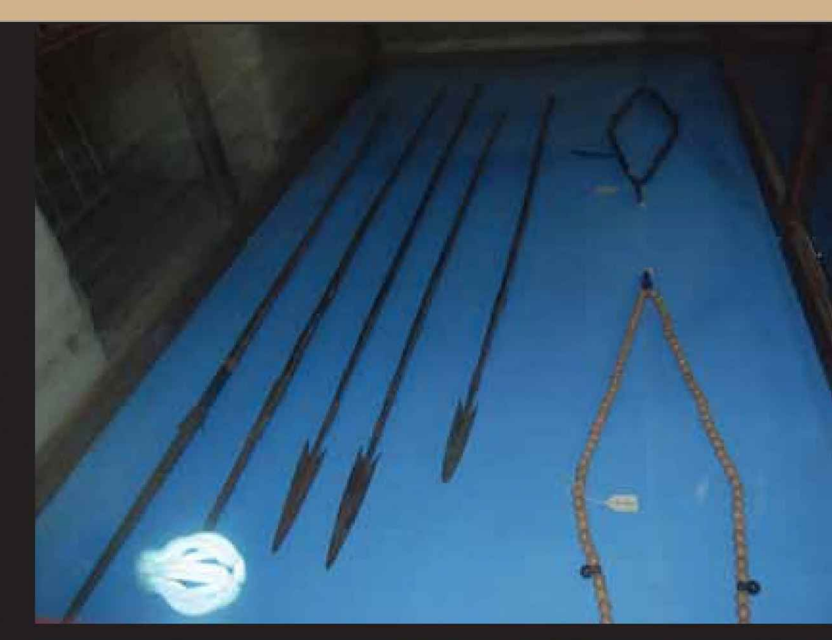
ووقفوا في صفها منذ انطلاقتها الأولى، وكان بطلاً من أبطال حصار الخرطوم؛ إذ قاد بداية الحصار قبل أن يتسلمه الأمير عبدالرحمن النجومي، وتولّى إمارة شرق السودان عندما كان الأمير عثمان دقنة يتولى قيادة الجيش وشؤون الحرب، في عهد الخليفة عبدالله، ثم نقل إلى أم درمان عام ١٨٩٠م، وعيّنه الخليفة أميراً على بربر، ومنها نقل إلى كسلا. وفي أثناء ثورة الأشراف نفاه الخليفة عبدالله إلى الرجاف، ثم عاد إلى بلده قرية أم غنيم، وتوفي في أم درمان عام ١٩١٦م. ومن مقتنيات الأمير أبو قرجة المعروضة: صورة فوتوغرافية للأمير مع سيرته الذاتية، وسيفه.

- الأمير عثمان أبو بكر دقنة

وُلد الأمير عثمان في روابي البحر الأحمر عام ١٨٤٠م، وهو ينتمي إلى أحد بطون قبيلة الهدندوة، وتلقّى دقنة تعليمه بالكُتّاب فحفظ القرآن الكريم، وتفقّه في الدين، ثم عمل في بداية حياته بالتجارة في سواكن، وتعرضت تجارته للمصادرة بعد أن اتُّهم بممارسة تجارة الرقيق، والتحق بالمهدي بعد انتصاره في معركة الأبيض، وعقد له الإمام المهدي الولاية على شرق السودان فخاض كثيراً من الحروب والمعارك الشرسة ضد قوات الاحتلال، واستطاع بقوته وعبقريته الحربية أن يقهر جيوش الإمبراطورية التي لا تغيب الشمس عن مستعمراتها في العالم في ذلك الحين. وأن يكسر المربع الذي استعصى على أكبر قائد حربي عرفته أوربا في تاريخها القديم والحديث؛ نابليون بونابرت الذي فشل في اختراق المربع في معركة (ووترلو) الشهيرة، فأذلّ الأمير دقنةُ الإمبراطوريةَ وجيشها الملكيَّ، وهزمهم شرَّ هزيمة.

وظل الأمير يجاهد الغزاة المحتلّين حتى نهاية عام ١٨٨٩م، ثم أخذ نفوذه يتدهوّر وسط الاضطراب العام الذي وقع في شرق السودان، وازدياد الخلافات بين القبائل، فاضطرّ إلى الانحسار إلى أروما على نهر عطبرة، لكنه لم يستكن، فشارك في معركة النخيلة تحت قيادة محمود ود أحمد، وبعد الهزيمة جمع الأمير عثمان دقنة ما بقي من جنود محمود ود أحمد أحياء، وانتوى التوجّه بهم إلى الشرق لمواصلة الجهاد، لكن الخليفة أرسل إليه يطلب منه القدوم إلى أم درمان؛ للمشاركة في الموقعة الفاصلة في كرري. وبالفعل شارك الأمير في معركة كرري، وبعد الهزيمة نجا الأمير عثمان دقنة هذه المرة -أيضاً- وانسحب إلى الشرق، وكان ينتوي مواصلة الجهاد ضد هذه القوة الغاشمة، لكن الوشاية مكنت مأمور سواكن محمد بك أحمد من القبض عليه عام ١٩٠٠م، ونُقل من سواكن إلى رشيد، ثم دمياط، ثم وادي حلفا، وظل في الأسر حتى تُوفّي في ٨ ديسمبر عام ١٩٢٦م، ونُقل جثمانه إلى أركويت عام ١٩٦٤م بعد غرق وادي حلفا إثر قيام السد العالي.

ومن معروضات الأمير دقنة: عدد من السُّبح، وصورة فوتوغرافية للأمير عقب اعتقاله، إضافةً إلى بعض الأسلحة التي كان الأمير يستعملها في حروبه ضد المحتلّين، ومنها الحراب، وآلة أخرى للحرب تسمى (الكوكاب)، وهي من الأسلحة التي كانت تستخدمها القبائل النيلية في صيد الأسماك،





مجهود كبير، ويعود الفضل إليه في تحويل جيش المهدية إلى جيش نظامي، وعُرف عن الأمير يعقوب حبّه الشديد وإخلاصه لأخيه الخليفة عبدالله. ومن يدخل متحف بيت الخليفة يدرك محبة الخليفة أخاه الأمير يعقوب واحترامه إياه؛ إذ يوجد باب يفضي إلى حريم الخليفة مكتوب عليه: (لم يكن يدخل من هذا الباب غير الأمير يعقوب)، وكان الخليفة يستشيره في كل شيء، وكانا يجتمعان معاً في خلوة ليدبرا الأمر، ويتّخذا القرارات المهمّة والحاسمة التي تتصل بالدولة، وقد أطلق عليه الخليفة لقب (جراب الرأي).

ومن آثار الأمير يعقوب المعروضة: جبة مصنوعة من القطن الخالص الناصع البياض، وأخرى من القطن الملوَّن عليها طاقية تسمى (أم قرينات)، يلبسها جيش الأمير يعقوب.

- الأمير محمد عثمان أبو قرجة

وُلد الأمير محمد بالقطينة الدناقلة، وكان من كبار المهدية الذين أيّدوها

وقد سمّاها الأمير (الصيد العكر)، والعنقريب الذي كان يستعمله الأمير في جلوسه ورُقاده، ولوحة تسجِّل تاريخ المعارك التي خاضها، وصورة فوتوغرافية للأمير يونس الدكيم وهو أسير في معركة أم دبيكرات.

آثار الجنرال غردون باشا

لعل اللافت للنظر في هذا الجناح الآثار الكثيرة التي تخصّ الجنرال غردون موزَّعة على أماكن كثيرة من زوايا الجناح، والجنرال غردون هو قائد إنجليزيّ من أصل أسكتلنديّ مشهور في تاريخ المستعمرات البريطانية، وشارك في حروب كثيرة في أوربا والصين في خدمة الإمبراطورية البريطانية، ودخل في خدمة الحكومة المصرية، وصار مديراً على الاستوائية عام ١٨٧٤م، وعمل على توسيع نفوذ الخديو، لكنه استقال عام ١٨٧٧م، ثم عاد حاكماً عاماً على السودان، ومكلَّفاً بمحاربة تجارة الرقيق، ثم استقال مرةً أخرى عام ١٨٧٩م، وعُيِّن حاكماً عاماً على السودان عام ١٨٨٤م إبان الثورة المهدية، وكُلِّف بإنقاذ الحاميات المصرية في السودان، وإخلاء السودان، لكنه انحرف عن مهمَّته، وعزم على محاربة ثوار المهدية، وظلّ يواجه المشكلات إلى أن حُوصِر في الخرطوم، وقتل في أثناء تحريرها في ٢٦ يناير عام ١٨٨٥م، ولم تفلح الحملة التي أرسلت لإنقاذه؛ إذ وصلت بعد يومين من المعركة.

وعند استعراض آثار غردون بالمتحف نجد صوراً متعددة له في أوضاع مختلفة؛ منها صور له عندما عاد من الصين التي كانت مستعمرةً بريطانيةً، ونماذج لعملات ورقية كثيرة من فئات مختلفة، طُبعت في مصر، واستُعملت في السودان في أثناء حصار الأنصار لغردون في الخرطوم، ونجد بعض الميداليات؛ مثل: ميدالية نجمة غردون التي صُنعت في الخرطوم وأُهديت للقس قوين، ونجد كشف تبرعات من جوهنستان وما جاورها من قرى أسكتلندية عام ١٨٩٨م؛ لبناء كلية غردون التذكارية (جامعة الخرطوم حالياً)، وكانت هذه الكلية قد أقيمت تخليداً لذكرى الجنرال غردون الذي يعدّه الإنجليز قديساً بعد مقتله على أيدي الأنصار، أهداها اللورد كتشنر إلى المتحف. ومن الآثار الخاصة بغردون -أيضاً- جُبَّة، قيل: إنها جبة تنكرية كان الجنرال يستعملها في بعض الأوقات عند الحاجة، وغطاء واقٍ لليدين كان يستعمله غردون، إضافةً إلى إبريق من الجلد، وبيانو كان الجنرال يعزف عليه.

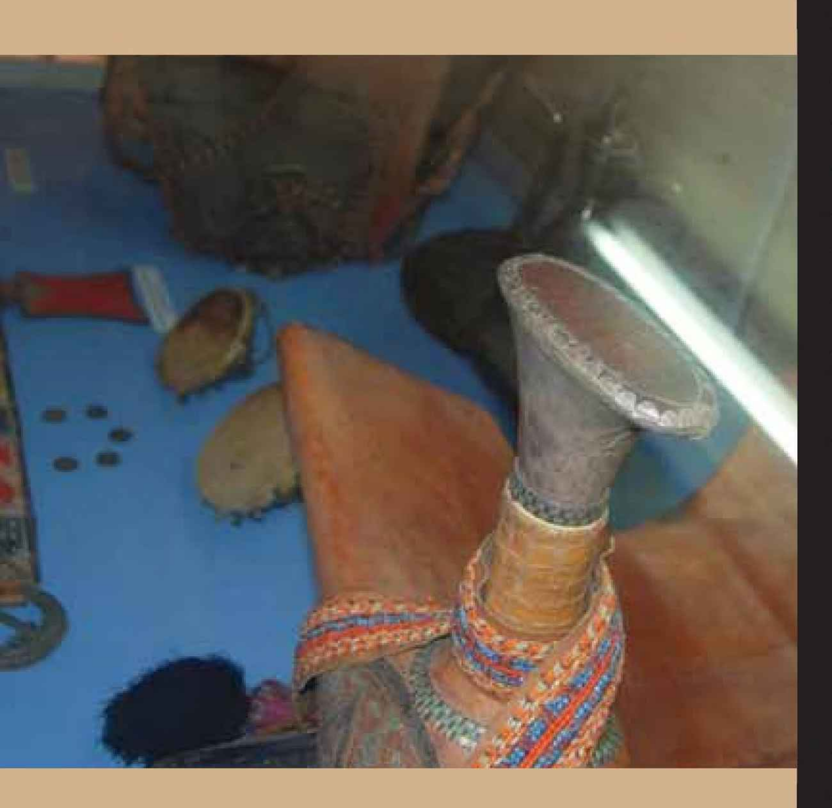
المطبعة الحجرية

تقع المطبعة الحجرية داخل بيت الأمانة، ويبدو أن الإدارة المصرية قد استوردت هذه المطبعة الحجرية الصغيرة بعد فتح الخرطوم؛ لتلبية متطلبات الإدارة، وافتتاح مدرسة الخرطوم، وطُبعت بوساطتها منشورات الحكومة ضد دعوة المهدي الأولى، ونقود أو أذونات، وعندما حررت مدينة الخرطوم وبنيت مدينة أم درمان، نُقلت هذه المطبعة إلى بيت الأمانة بأم درمان، وخُصص لها فريق يقوم بإدارتها وتشغيلها، على رأسه أمين المطبعة ووكيلها مختار محمود بادي، وكان لها كاتب رئيس هو إبراهيم المطبعجي، إضافةً إلى عمال آخرين، وقسم للتجليد

جناح أم كلثوم الخاص

هــو جناح شـخصيّ للخليفة، يُعرَف ببيـت أم كلثوم؛ أشـهر زوجات الخليفـة عبدالله، وهـي ابنة الإمام المهـدي، ويوجـد فـي هـذا الجناح سـرير بـه باب، قيـل: إنـه صُنـع فـي الهنـد، وعليه (بـرش) مـن السـعف، وصورة فوتوغرافية للسـيدة أم كلثوم، والجزء الأعلـى من منبر الخليفة عبدالله، وعصاه، ونسخة من راتب الإمام المهدي، ومجموعة من السُّبح تخصّ الإمام المهدي، وقَدَح كبير مصنوع من الخشـب، كان يستخدم في تقديم الطعام لمجموعة من الناس في المناسبات المختلفة، وقيل: إن هذا القَدَح كان هديةً من اللورد كرومر.

مـن معروضات الأمير عثمان دقنة: عدد من السُّـبح، وصورة فوتوغرافية للأمير عقب اعتقاله، إضافةً إلى بعض الأسلحة التي كان الأمير يستعملها في حروبه ضد المحتلّين



أدّت المطبعـة الحجرية دوراً كبيراً ومؤثِّراً، فقد كانت وسـيلةً ثقافيةً وإعلاميةً للاسـتنفار، وكانت المنشورات تُطبَع وتُوزَّع على كل الجبهات، فلا يقلّ تأثيرها عن تأثير الجيوش



يرأسه الجاك السيوفي، أما إعداد النصوص ومراجعة المسودات والإشراف على طباعتها، فهو من مسؤولية أبي القاسم أحمد هاشم، ويعاونه المدثر إبراهيم الحجاز، وأحمد علي قاضي الإسلام، وكانت إدارتها تتبع بيت المال، وطبعت بوساطة هذه المطبعة منشورات الإمام المهدي وراتبه، ورسائل الخليفة عبدالله ومنشوراته وإنذاراته إلى كل من الخِدِيو بمصر، والسلطان العثماني بالآستانة، والملكة فيكتوريا ملكة إنجلترا، وأهل شنقيط ونيجيريا ومراكش، إضافةً إلى الرسائل التي أرسلت إلى السنوسي بليبيا، وإلى الحجاز، وطُبع -أيضاً- كثير من الرسائل التي أرسلها الخليفة عبدالله إلى مناطق كثيرة من السودان، وتناول فيها شتى أمور الدولة.

وأدّت هذه المطبعة دوراً كبيراً ومؤثّراً، فقد كانت وسيلةً ثقافيةً وإعلاميةً للاستنفار، فمثلما كانت تُعبأ الجيوش، وتُرسَل إلى مناطق العمليات للجهاد، كذلك المنشورات كانت تُطبَع وتُوزَّع على كل الجبهات، فلا يقلّ تأثيرها عن تأثير الجيوش، وكانت الوسيلة الوحيدة للإعلام الرسميّ، ونشر التقارير الرسمية، ووسيلة الاتصال بين القادة والمراكز والقاعدة العريضة، وأدّت المطبعة -أيضاً- دوراً مهماً في الحياة الفكرية والثقافية، وأغنت الدعوة الجهادية لدولة المهدية بالكثير من الأفكار والأسس النظرية.

ونجد في هذا الجناح مجموعةً كبيرةً من الآثار المعروضة التي تؤرِّخ للدولة المهدية؛ منها: سرج لجمل يعرف بـ(أبو سنامين)، وكان هذا النوع من الجمال قد استورده الجنرال غردون باشا من الصين؛ ليرسل بوساطتها الرسائلَ من بربر إلى سواكن، ونجد مصحفاً عُثر عليه في جيب الخليفة بعد معركة الجديد، ويوجد في هذه الغرفة راتب الإمام المهدي، إلى جانب لوحة كبيرة للخليفة عبدالله وهو يمتطي صهوة حصانه؛ لقيادة جيوش المهدية، ومكان اللوحة بوابة عبدالقيوم، وصورة فوتوغرافية للأمير عثمان شيخ الدين وهو أسير في معركة أم دبيكرات، وبعض الصور الفوتوغرافية لبعض أمراء المهدية. ولعل أعجب ما نشاهده في هذا المتحف هو الكأس المصنوعة من قرن الخرتيت -وحيد القرن- التي قيل عنها: إنها تُبطل تأثير السمّ إذا وُضِع فيها، وقيل: إن الخليفة كان يشرب من هذه الكأس!!!

هذا هو المنزل الذي كانت تدار منه الدولة المهدية التي امتدّت حدودها من دارفور غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً، ومن بحر الغزال جنوباً إلى أقصى الشمال، وحكمت السودان أربع عشرة سنة هي مدة حكم الخليفة عبدالله بن محمد؛ إذ امتدت مدة حكمه من وفاة المهدي في ٢٢ يونيو عام ١٨٨٥م إلى استشهاده في أم دبيكرات في ٢٤ نوفمبر عام ١٨٩٩م، لتُطْوى بذلك صفحة مضيئة من صفحات البطولة والجهاد في تاريخ السودان.



القبقاب..

انفراد عربي ودلالات اجتماعية



ناعـم، عطـوف، زحـاف، رطب، صحي، قـوي، رنَّان، كعبه العالـي زينة العـروس، ومصاحبها في حمـام الهناء؛ لزيادة طولها ورقتها وأنوثتها، دقته شـفرة سـرية لقلب الحبيب، قائد عصر الجواري الذهبي، وحامل فرحة العيد، وهِبَة رمضانية، وصدقة للمسـاجد، دليل العظمة والشـموخ، وسفير هدايا الملوك والسلاطين، والمنقذ من أوحال الشتاء، ومع ذلك فهو مخادع، ووضيع، وكاذب وهدَّار، وسـبب الهلاك والموت، مدمي الرؤوس، ومُشـعِل المعارك، ويرافق وداع الخطيب (المتعوس)، ووسـيلة للانتقام، ودليل الإدانة، والعقاب، وتغيُّر الحال وتبدلّها.



جذبتني رَنَّة القبقاب بعيداً من رنين (الموبايل) بشدة؛ للتجوال بين ثنايا تاريخنا وتراثنا، حيث يقف فيها القبقاب شامخاً ومؤثراً، على الرغم من تراجعه واندثاره الآن، فلم أجد أدقّ من هذين البيتين لابن هانئ الأندلسي، وهو يصف لسان حال القبقاب وهو يبكي على حاله:

كنتُ غصناً بين الأنـام رطيباً ... مائس العطف من غناء الحمام

صـــرتُ أحكي رؤوس أعداك ... في الذل برغم أداس بالأقدام

وتختلف رؤية القَبْقاب في المنام، فهي تدل على الزهد والتوبة، والطهارة والزواج للعَزَب، أو تدل على الخصام، أو إظهار سِرّ لمن يريد كتمانه، ومَن رأى أنَّه يمشي في قَبْقاب زجاجيّ فإنه نَمَّام مُنافِق، ومَن رأى أنه يلبس قبقاباً جديداً فإنه يشتري غلاماً.

وتنطلق دَقَّة القَبْقاب المدوية في الأمثال؛ كي تصنع البهجة والمؤامرة وتقلب الحال وتغيرها، فيقال في الأمثال: (سبحان العاطي الوَهَّاب بعد الشبشب والقبقاب)؛ أي أنه بعد الفقر أصبح غنياً ونسي أيامه القديمة الفقيرة، ويقال أيضاً: (صرصار الشّشْمة والقبْقَاب عملوا علينا أصحاب)، أو: (المكنسة والقبقاب عملوا علينا أصحاب)، وهو يطلق على الوَضِيعين يتّفقان ويتآمران للنِّكَاية بكريم، بينما نجد في ارتباطه بالأعياد كان يقال: (من ليس له قبقاب ليس له عيد)، أو: (رَيَّحْ مَدَاسَك يرتاح راسك).

كان يلبـس القبقـاب من كان يرغب فـي تطويل قامته لابتلائـه بالقصـر المفرط، أو كان محبـاً العظمة والظهـور، وكان استعماله والسير به له قواعد خاصة به تحتاج إلى تدريب

مميزات القبقاب

للقبقاب كثير من المميزات، فهو رخيص الثمن، وصِحِّيّ، يشد الظهر، ومريح للقدمين، ولا يتلف بمرور الزمن، ولا تتعلق به القاذورات، ولا يحمل نجاسة في حَمَّامات المساجد في أثناء الوضوء، إضافة إلى أنه متين يتحمل الأعمال، وكان يُلبس داخل البيت خاصةً للنساء؛



أشهر الوقائع واقعة القَبْقاب الذي قُتِلت به شَـجَرُ الدُّرّ على أيدي الجـواري، وكان مصنوعاً من خشب الورد، ويسمى (قبقاب أم علي)

القبقاب والمفهومات الشعبية

القَبْقَابُ: نَّعْلٌ تُتَّخَذُ من خشب، وشِرَاكُها من جلد أو نحوه. وجمعه: قباقيب، والاسم جاء من صوته؛ لأنه يُحْدِثُ صوتاً مزعجاً أثناء السَّيْر، والقَبْقاب يكثر انتعاله في الحَمَّام، ومصدر قَبْقَبَ، شَخْصٌ قَبْقاب؛ أي: ثرثار مهذار؛ لذلك تطلق على الرجل كثير الكلام والكذاب؛ أي خَلط وهذر فهو قَبْقَابٌ.

ويرتبط القَبْقاب بمفهومات متعددة في الثقافة الشعبية؛ منها: التشاؤم من انكفائه على وجهه، وتعليق أحد القَبْقابين دفعاً للحسد، وضرب القَبْقابين بعضهما ببعض لاستجلاب الشر والمشكلات، ومع ذلك نظل نبحث عن جمال المرأة حين تُقَبْقِب بدلال، متذكِّرين الأغنية الشهيرة للفنانة شادية: (رنة قبقابي يامّة.. بتميل راسي.. الكل قالوا اسم الله.. حتى العزول القاسي)، يقابلها أغنية: (مَرّيت من قُدّام بابها وسمعت رنة قبقابها) التي كان شباب الشام يتغزلون بها للفتاة التي يحبونها.

كان القَبْقاب في الماضي من ضمن أساسيات جهاز العروس، وكان يغلف بالمخمل، ويطلق على قبقاب العروس في منطقة الحجاز اسم (القرحاف)



لأنه مريح في أثناء الحركة والقيام بالأعمال المنزلية، وفي الحمامات الشعبية، وفي الأسواق والأزقَّة، وكان الرجال يلبسونه في الشوارع اتقاءً من الوحل في أيام الشتاء.

وكانت العائلات تميز القباقيب بعضها من بعض بوساطة وضع مسمار أو أكثر في مقدمة القبقاب، إضافةً إلى ألوان سير القَبْقاب؛ إذ كان عادةً يُزيَّن القَبْقاب الخاصّ بالأطفال بالورد والألوان، على حين تُميَّز قباقيب الرجال من غيرها بألوانها التي تراوح بين اللونين البني والأسود.

وشكل القَبْقاب في الماضي مختلف عما نراه اليوم، فنجد بعض القباقيب قريب من الأرض، وبعضها يصل ارتفاعه إلى نصف ذراع، وكان يلبسه من كان يرغب في تطويل قامته لابتلائه بالقصر المفرط، أو كان محباً العظمة والظهور، وكان استعماله والسير به له قواعد خاصة به تحتاج إلى تدريب؛ كي تتمكن الفتاة من إصدار الصوت في القَبْقاب فيبلغ أثره إلى نفوس شباب الحارة.

والقَبْقاب الذي نراه الآن يتكون من قالب خشبي ذي المقاس الموحد، وقطعة من (كاوتش) سيارة، ومسامير، وقطعة صغيرة من الصاج؛ لإحكام ربط (الكاوتش) بالقالب الخشبي، وأصعب مرحلة هي تصميم القوالب الخشبية التي تتم بوساطة ورش نجارة متخصصة، وفي الماضي كان الحِرَفِيُّون ينحتون النِّعال بأيديهم إلى أن ظهرت آلات



تؤدي هذه المهمة، فأصبح عملهم يقتصر على تثبيت الجزء المصنوع من الجلد، ويعد خشب التوت والجازورين والفيكس هم أفضل أنواع الخشب المستخدمة في صناعة القبقاب.

القبقاب وصراع الحضارات

في صراع الحضارات، يقف القَبْقاب العربي شامخاً أمام الغرب وجبروته، فلم أعثر في بحثي عنه في الحضارة الأوربية إلا في موضع واحد -ولا يصح أن نعدّ حذاء سندريلا قبقاباً- وهو: «لا ينبغي أن نُلبس الميت قبقابيه لئلا تُجرح رجلاه، فيدخل الجنة، وهو أعرج؛ الأمر الذي لا يُرضي القديس يوحنا». على حين ينتشر القَبْقاب العربي في كل محطاتنا التاريخية، ويشارك في وضع التاريخ أو تغيير مجراه، وأشهر الوقائع في ذلك واقعة القَبْقاب الذي قُتِلت به شَجَرُ الدُّرّ على أيدي الجواري، وكان مصنوعاً من خشب الورد، ويسمي (قبقاب أم علي)، يليه (قبقاب الدراويش)، وكان سلاحاً قوياً ضد جنود الحملة الفرنسية في ثورة القاهرة الثانية؛ إذ دَقَّت فيه النساءُ مسماراً؛ كي يصيب جنود الحملة.

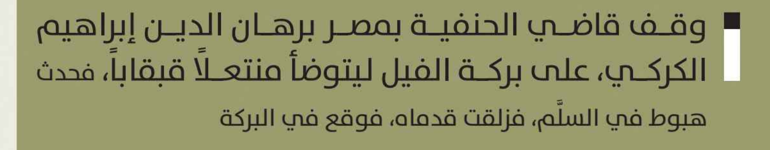
القباقيب الدمشقية هي الأشهر

تُعَدّ دمشق من أشهر المدن التي صنعت القباقيب، وبها سوق عريقة تسمى (سوق القباقبية)، ومن هذه السوق كانت القباقيب تُصدَّر إلى جميع المدن العربية، وعلى الرغم من وجود صُنَّاع مَهَرة في تلك البلاد، فإنهم لم يكونوا في حرفية الدمشقيين ومهارتهم؛ لذلك فالقباقيب الدمشقية لها أشكال ومسميات؛ منها (الزحاف)، ويقال له: الزحافي، ويُعَدّ أكثر الأشكال رواجاً لِرخَصِه، وتنتعله العامة لسهولة المشي والجري به، و(قبقاب سجك) ويتميز من غيره بأن مقدمته ملتصقة بالأرض ومؤخرته لها كعب مرتفع، و(الشبراوي) وهو المرتفع عن الأرض بمقدار شبر، وهو قبقاب نسائي استُخدم بكثرة، ويكون خشبه مرصعاً بالصَّدف، وسيره مطرَّزاً بخطوط الفضة، و(الجركسي) أو ما يسمى (قبقاب المهاجرين)، وسُمِّي بهذا الاسم لقيام بعض الحرفيين من المهاجرين والجراكسة، الذين قدموا دمشق بصناعَتِه لأهل بلادهم الأصليين، وهو أقل الأشكال ارتفاعاً وألصقها بالأرض وأبخسها ثمناً، وهناك (العكاوي) وهو أقل ارتفاعاً عن الأرض من (الشبراوي)، ولا يعلم أحد سبب تلك التسمية، فربما كان أهل عكا يلبسونه خاصةً، أو أنه كان يُصنع في مدينتهم عكا. وهناك قبقاب (الكندرة) وهو يشبه قبقاب الجراكسة إلا أنَّ له مقدمة ومؤخرة، وقد انتعله كثير من الفقراء والموسرين؛ اتقاءً من أوحال الشتاء ورخص ثمنه.

وكان القَبْقاب في الماضي من ضمن أساسيات جهاز العروس -وكرسي الحمام كذلك- وكان القبقاب يغلف بالمخمل، ويطلق على قبقاب العروس في منطقة الحجاز اسم (القرحاف)، وله أسلوب مميز من غيره في تزيينه وتجميله بالفضة والذهب.

وأغرب قصص القَبْقاب التي وجدتها في تاريخنا ما حُكي عن أحد لاعبي السيرك الذي سافر من حلب إلى دمشق ، وأظهر ألعاباً وفنوناً غريبة منها أنه مشى على الحبال منتعلاً قبقاباً وتحته ألواح الصابون. وهناك حادثة شهيرة أخرى كان القَبْقاب فيها سبباً في الهلاك والموت، وهو ما حدث لقاضي الحنفية بمصر برهان الدين إبراهيم الكركي (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)، وكان يقف على بركة الفيل ليتوضأ وفي رجله قبقاب، فحدث هبوط في السلم فزلقت قدماه فوقع في البركة، وكانت ممتلئةً بمياه فيضان النيل، ولم ينتبه إليه أحد لينقذه، وعندما





وقف قاضي الحنفية بمصر برهان الدين إبراهيم الكركي، على بركة الفيل ليتوضأ منتعلاً قبقاباً، فحدث هبوط في السلّم، فزلقت قدماه، فوقع في البركة

القباقيب الذهبية

انفرد السلاطين والملوك بامتلاك القَبْقاب الذهبي المرصَّع بالجواهر، واتخذته النساء في عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون علامة على الموضة والثَّراء، فبلغ ثمن أحد القباقيب خمسة وسبعين ألف درهم فضة؛ أي ما يعادل ثلاثة آلاف دينار مصري عام ١٣٧٢م، وعندما قدم الأمير منجك نائب الشام إلى مصر، كان من ضمن هداياه إلى السلطان ثلاثة قباقيب نسائية من الذهب، فيها اثنان مرصَّعان بالجواهر، قيمتها مئة وخمسون ألف درهم.

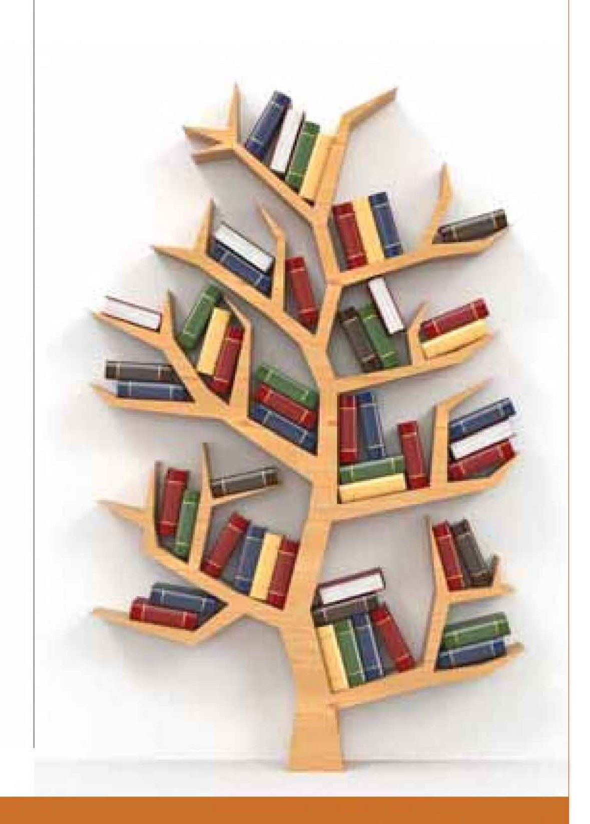


غاب وبحثوا عنه وجدوا عمامته طافية فوق الماء وأحد قَبْقابيه على السُلَّم. وكان أهل دمشق يستخدمون القَبْقاب بوصفه نوعاً من العقاب والتنديد والتسميع بالجاني؛ إذ دخل ضمن أدوات العقاب، وكان يُعلّق في عنق المُشهَّر بهم.

وعلى الرغم من فائدة القبقاب وجماله، فإنه يحمل القسوة ويمثل حرجاً للعريس الذي يتقدم إلى خِطبة فتاة، فبعد أن يزور بيت الفتاة ويراها وتراه، ولم تُعجب العروس به، كانوا يضعون قبقاباً على عتبة باب الدار، وعندما يخرج الخاطِب من منزل العروس ويرى القَبْقاب على الباب يعلم عدم قَبول خِطبته فلا يعود، أو يصبغونه بلون ذهبي ويضعونه في علبه فاخرة ويرسلونها إلى أهله.

أما الآن فيرى كثيرون القبقاب لا يناسب العصر؛ لاختلاف أنماط الحياة والسكن والتطور، فلم يعد القَبْقاب حذاءً شعبياً، بل أصبح حذاء سياحياً، وفي بعض الأحيان حذاءً طبياً، يصفه الأطباء لبعض المرضى؛ ممن يعانون مشكلات في أقدامهم؛ مثل: الحساسية، أو مرض السكري، لكن لا يزال الصوت الذي يصدره يثير لدى السامع إحساساً مختلفاً يعيده بالذاكرة إلى الزمن القديم.

ولا نستطيع أن نخلع القَبْقاب من قدم التاريخ العربي، إلا بعد أن نستمع إلى نصيحة أهل الشام القديمة التي تقول: البسوا في أرجلكم القبقاب، فهو من الخشب ومريحٌ للقدمين، ولا يتأثر بالحرارة أو البرودة، ولا يسبب التشققات الجلدية؛ لأنه ليس هناك أحنّ من الخشب على بني آدم. هذا وننتظر أن نسمع دقة القَبْقاب العربي تحدث دوياً هائلاً في التاريخ العالمي، كما تدقّ في أسماعنا بوصفها دليلاً على عمق تراثنا العربي الخالد.





تفاصيل

عبدالله الكويليت

- أولوياتنا أرقام متأخرة عند الآخرين.
- هل من جرَّاح فذّ يفصلنا عن هذا الوهم الذي التصقنا به؟
- لا تتساوى الأيادي المرفوعة؛ فمنها من يستأذن، ومنها من يشحذ، وثالثة تُداري سوءتها.. اليد المحتجة التي تشير إلى الخلل هي الجديرة بالاحترام.
- حين اكتأب الملح من الجفاف رمى نفسه في الماء وانتحر.
- أخطاء النسيان مهذَّبة ورقيقة إذا ما قيست بخشونة التذكُّر وقسوته!
- خبز المصادفات السعيدة لا يوجد إلا على ولائم الزمن المفاجئة.
- لترتاحي أيَّتها الأقنعة قليلاً، سأتركك برهةً؛ كي أنظر إلى ما تبقى من وجهي الحقيقيّ في المرآة وأتمعَّن فيه؛ فقد تداخلت عليَّ التفاصيل والوجوه المختلفة!
- الديمقراطية فلم جميل يُعرَض في بيت ليس لنا، ونطلّ عليه من نافذة بيت لا نملكه!
- البحر غابة سائلة.
- تحت قشرة الظلّ يوجد ظلٌّ آخر: ظلُّ الظلِّ!
- الملل الطويل زقاق صغير متفرِّع من شارع اللاجدوى.
- المسافة بين الغمازتين وحبَّات الكرز تقاس برفيف الابتسامات.
- من يهوى ركوب بساط الأسئلة المقلقة؛ عليه أن يحتمل رياح الأجوبة الهوجاء، وغيومها السوداء الغامضة!
- اشتريت مسامير جديدة؛ لأعلِّق عليها ابتساماتي الرسمية؛ لكن لشدة بلاهتها سقطت مع أول نسمة عابرة!
- المحتضر شخص يُجري حواره الأخير مع الموت!
- شواهد القبور وحدَها من يواسي الموتى، حين يغادر المعزون.
- جميعنا يطل من ثقوب صغيرة، ويتحدث من ثقوب أصغر!
- هل نستطيع محاكمة القلق تحت الفصل السابع؟
- السُّحب كالبشر غير عادلة في عواطفها!
- لا توجد رصاصة خجلى.. توجد رصاصة هوجاء.
- الزمن الذي عاشه أسلافنا هو الزمن ذاته الذي نعيشه.. لا يعرف أحد منا: من أين أتى؟ ومتى ولد؟ وكم عمره؟ .. إنه يمضي على حافَتِهِ لا يعبأ بنا!
- على سُلَّم اللذة تتسابق أقدام الرغبات.
- مزيلات الأوهام الأصلية لا تباع إلا في صيدليات الحرية.
- يدا الوداع قصيرتان أكثر من اللازم.
- الغياب بصورة ما فعلٌ ماضٍ.
- الفرح كائن برِّيٌّ.. طُوبى لمَن استطاع ترويضه.



الجمعية السعودية الخيرية للتوحد

تنظم

برنامج كفالة طفل يعاني من التوحد للأسر المحتاجة

يمكنكم تخفيف معاناتهم عن طريق :

- كفالة طفل مصاب بالتوحد لكي يلتحق بمركز الجمعية السعودية الخيرية للتوحد وقدرها (١٨,٠٠٠) ريال سنوياً.
- نصف كفالة (٩٠٠٠) ريال .
- كفالة لأكثر من حالة (تحدد حسب العدد) .

يتم تمويل البرنامج بدعمكم عن طريق التبرعات والهبات والزكاة

- بعد دراسة الحالة الاقتصادية والاجتماعية للأسرة المحتاجة من قبل المختصين.



تقدم الجمعية السعودية الخيرية للتوحد:

- التشخيص والتقييم للقدرات ومستوى الأداء.
- الخدمات التربوية المتخصصة.
- الخدمات التأهيلية المتخصصة.
- الخدمات الاجتماعية.
- التدريب على التواصل.
- تعديل السلوك.
- التدريب على الاستقلالية.
- الرحلات والزيارات الترفيهية والتعليمية.
- المواصلات من المنزل إلى المراكز والعكس (قدر الإمكان).
- التوعية والتدريب للأسر حول الكيفية المثلى للتعامل مع الحالات في المنزل والمدرسة.

هاتف : ٢١٢٠٠٥٠ - ٤٤١٣٠١٠ فاكس : ٢١٢١٠٠٨
ص ب ٦٩٢٩٦ الرياض ١١٥٤٧ P.O Box 69296 Riyadh11547
Tel ٤٤١٣٠١٠ – ٢١٢٠٠٥٠ Fax ٢١٢١٠٠٨



Disabled Children's Association





